

الشمس والليل

أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور

أ. د حسن شاذلي فرهود

كتبها وأهداها

أبو أوس إبراهيم الشمسان تركي بن سهو العتيبي
عوض بن حمد القوزي محمد بن باطل الحربي

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الشَّلايَا

أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور

حسن شاذلي فرهود

كتبها وأهداها

أبو العباس محمد بن صالح العثيمين

الأستاذ في قسم النحو وفقه اللغة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

محمد بن صالح العثيمين

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية
جامعة الملك سعود

أبو الواسع إبراهيم السمان

الأستاذ في قسم اللغة العربية
جامعة الملك سعود

عوض بن محمد الفوزي

الأستاذ في قسم اللغة العربية
جامعة الملك سعود

١٤٢٨ - ٢٠٠٧ م

()



الشمسان، أبوأوس إبراهيم والعتيبي، تركي والقوزي، عوض والباتل، محمد
الشاذليات / أبوأوس إبراهيم الشمسان وتركيب بن سهو العتيبي وعوض بن حمد القوزي
ومحمد الباتل الحربي - الرياض، ١٤٢٨ هـ

٢٦٢ ص، ٢١ × ٢٨ سم

- - - :

١- اللغة العربية - مجموعات أ - العنوان

١٤٢٨/٣٨٦

ديوي ٨، ٤١٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٣٨٦

- - - :

إهداء

في هذا الكتاب من الأعمال ما هو قديم وجديد
رأينا أن نهدّيها لأستاذنا الدكتور حسن، ونرجو
هدفاً سامياً هو أن نخدم علم العربية صرفه ونحوه
وهذا ما سيبعث في أنفسنا إن تحقّق السرور
دامت أيامه بالصحة والهناء ومتعه بكل طريف

المحتويات

١	مقدمة	كتبها: أ.د. أبوأوس إبراهيم الشمسان
٥	تقديم	كتبه: أ.د. عوض بن حمد القوزي
٩	التخلص من التماثلات لفظاً	كتبه: أ.د. أبوأوس إبراهيم الشمسان
٧٥	التخلص من التماثلات خطأً	كتبه: أ.د. أبوأوس إبراهيم الشمسان
١٠٩	من علماء العربية: محمد عبدالحالق عضية	كتبه: أ.د. تركي بن سهو نزال العتيبي
١٣١	تيسير تعليم النحو	كتبه: أ.د. عوض بن حمد القوزي
١٤٧	الياء المحذوفة في القرآن الكريم	كتبه: أ.د. عوض بن حمد القوزي
١٩٧	ضمير النصب والجر المتصل للغائبة المؤنثة في شمالي نجد	كتبه: د. محمد الباتل الحربي
٢٣٣	مجيء القسم قبل النافي وحذفه بعده	كتبه: د. محمد الباتل الحربي

مُقَدِّمَةٌ

وهب نفسه للغة وعلومها تعلمًا وتعليمًا وتحقيقًا ونشرًا لكونوزها. فحين كان الناس يتكالبون على فرص الاستثمار في العقار أو غيرها من طرائق تحسين الأحوال المالية في فترة الطفرة الاقتصادية، في ذلك الحين كان يفني وقته في المطالعة ويذهب نور عينيه في قراءة المخطوطات ليخرجها لمن يروم قراءة كتب التراث والاستفادة منها، إنه أستاذنا النحوي القدير الدكتور حسن الشاذلي فرهود.

والأستاذ الدكتور حسن رجل يعرفه ويعترف له بالتقدمة والفضل كل من هو ظالع بأمور التراث واللغة، كان له ولزميله الدكتور عبدالله الوهبي رحمه الله فضل كبير في إغناء مكتبة جامعة الملك سعود بمكتبات كاملة ووفقًا إلى شرائها من جمهورية مصر العربية وأسسًا قسم المخطوطات في الجامعة حتى صار بعد ذلك مركزًا من أهم مراكز المخطوطات في بلادنا.

كان مُعلمًا قديرًا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وإن ناله بذلك غير قليل من الأذى الذي صبر عليه صبر العالم المحتسب، واشتهر أمره بين طلابه، عرفوا فيه جده وصرامته والمستوى الرفيع الذي يضع عليه أسئلته، فلم يكن للمهمل أو المتساهل نصيب من النجاح، وكان ذلك يشق عليهم فما تعودوا إلا الرفق واللين في الأسئلة والسهولة في الامتحانات؛ ولكنهم واجهوا أسئلته فوجدوا إجابتها حسب وهمهم دونها خرط القتاد.

ومن طرائف ما حدث أن اسمه في جدول المحاضرات كان يكتب (الشاذلي) وفي فصل من الفصول غيّر كاتب الجدول بأن وضع أمام مقرره (فرهود)، فكان أن تباشر بعض الطلاب الراسيين وعمّت الفرحة أوساطهم؛ فالذي سيدرسهم لهذا العام مدرس جديد هو (فرهود) ولم يعد الشاذلي

حجر عثرة أمامهم، ولكنهم فغروا أفواههم حين دخل عليهم الشاذلي بشحمه ولحمه وبوجهه الأسمر ونظارته السميكة التي ينزلها شيئاً قليلاً على أرنبه أنفه ليطالع من أمامه من فوقها بعينين واسعتين، تبين للطلاب بعد ذلك أن فرهوداً هو الشاذلي نفسه فلم يجدوا طريقاً إلا أن يشمروا عن ساعد الجد تشميراً.

كان من أهم الأساتذة الذين جذبوني لدراسة اللغة العربية فقد دفعني وأنا في السنة الأولى وهي سنة تحضيرية عامة إلى أن أتخصص فيها في ذلك الوقت؛ دفعني إلى أن أكتب بحثاً في النحو فكتبت عن حروف الجر، وكان بحثاً ابتدائياً متصفاً بغير قليل من القصور وكذلك تتصف أعمال المبتدئين، وسلمت له البحث ولكنه رأى فيه ما استحسنته من طالب مبتدئ فرصد لي درجة عالية، وأكملت دراستي في القسم ثم ابتعثت إلى جامعة القاهرة وعدت لأعمل في الجامعة وكان أستاذنا قد تقاعد وترك العمل في القسم، وكنا مع بعض الزملاء من طلابه نستأذنه من حين إلى آخر في الزيارة فيلقانا حفيماً بنا يظهر لنا من كرمه وتقديره ما ينجلنا، كان كريم النفس يحفظ للناس أقدارهم لا يفرق بين كبير أو صغير. ومن أعجب الأمور أنه راح مرة يثني على الفترة التي كنا فيها طلاباً في الكلية، وأعجب ما في الأمر أنه لم ينس بحث حروف الجر، وكنت أعجب لذلك؛ ولكن الأمر الذي أدهشني وأدهش من حولي أنه نهض من مكانه وغاب عنا دقائق ثم عاد وفي يده مخطوطة بحث حروف الجر، وهي المخطوطة الوحيدة كتبتها بيدي حين كنت طالباً في الكلية وحفظها الأستاذ حفظه الله، وكان من كرمه أن قال إنه يستفيد من هذا البحث إلى الآن.

كنا طلاباً في قسم اللغة العربية حين رأينا أول عمل منشور للدكتور حسن وهو تحقيقه لكتاب (الإيضاح العضدي) لأبي علي الفارسي، طبع في القاهرة عام ١٩٦٩م. كنا واقفين أمام الفصل حين أقبل أحد زملائنا وهو يبتسم ثم قال لنا: لقد كشف الدكتور أمري. فقلنا: كيف؟ قال: ذهبت إليه وسلمت عليه وذكرت له أننا اطلعنا على الكتاب الممتاز الذي نشرتموه وهو كتاب قيّم فقطاني على الفور ولم يتركني لأسترسل وقال: أنا... أنا.. أنا ما عندي نسخ للإهداء. لقد أدرك أن الطالب جاءه

يريد نسخة من الكتاب ولكنه لم يكن له حيلة في هذا فليس لديه نسخ وهذا أمر قد يجعل المؤلف نفسه في حرج من أحبابه ومريديه حين تنفذ نسخ الكتاب لأن ما طبع منها قليل أو لأن جهة الطبع لم تزود الكاتب إلا بعدد من النسخ قليلة.

ولعل كثرة الطلب لكتاب الإيضاح هو ما جعل الأستاذ يعيد نشر الكتاب مرة أخرى عام ١٩٨٨م على أنه الجزء الأول من الإيضاح العضدي. ونسختي من الكتاب هدية منه، عليها إهداؤه وتوقيعه. وسبقت هذه النشرة بإصداره كتاب (التكملة) لأبي علي الفارسي عام ١٩٨١م، وهو الجزء الثاني من كتاب الإيضاح العضدي ونشرت التكملة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود).

ومن أعمال الأستاذ تحقيقه لكتاب (المقصود والممدود) لأبي عبدالله إبراهيم بن محمد نبطويه، طبع في القاهرة عام ١٩٨٠م. ومن تحقيقاته (كتاب مختصر في ذكر الألفات) لأبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، نشر في القاهرة عام ١٩٨٠م. وكتاب (حروف الممدود والمقصود) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، نشر في الرياض عام ١٩٨٥م. وكتاب (شرح أبنية سيبويه) لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان النحوي، نشر في الرياض عام ١٩٨٧م. وكتاب (شرح الأتمودج في النحو) لمحمد بن عبدالغني الأردبيلي، نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٩٩٠م.

وإنه ليسرنا اليوم أن نقدم هذه الأبحاث إلى أستاذنا الذي تعلمنا من خلقه وعلمه، وما نفعه اليوم هو تعبير عن محبتنا لشخصه وتقديرنا لما يمثله من علم وإخلاص للعربية وانقطاع لخدمتها وخدمة المشتغلين بأمرها، وهو شعور يحمله كل من اتصل به وعرفه.

خطرت فكرة التكريم لي ذات يوم فمضيت إلى أخي الأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي أعرض عليه أن نكتب كتاباً نكرم به أستاذنا ففرح بذلك واستحسن الأمر وهو يشارك بكتابة تقديم عن أستاذنا وبمحثين، وانظم إلينا مشكوراً أخي الدكتور محمد بن باتل الحربي فكتب بمحثين أيضاً. وكنت في زيارة إلى أخي الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فلما حدثته بأمر الكتاب فرح بذلك وأثنى عليه فعرضت عليه أن يشارك معنا في تكريم

الأستاذ لأنه من محبيه ، فاستجاب بحب ورضا وكتب عن شخصية علمية هو الدكتور محمد عبدالحالق
عضيمة ، وكان بينه وبين أستاذ ودّ وتعاون علمي واحترام متبادل.
وإننا لنترجو أن يلقي عملنا هذا القبول من القارئ الكريم والرضا من أستاذنا الكريم. والله ولي
التوفيق.

حرر في ١٤/١/١٤٢٨هـ

وكتبه

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الأستاذ في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تقديم

الشاذلي كما عرفته



أما ونحن نقدم هذا الكتاب التذكري إلى أحد رواد الحركة التعليمية في بلادنا، فإنها مناسبة أن يتعرف القارئ عليه من خلال ما توفر لنا من معلومات عنه، فالأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود، قليل الكلام عن نفسه وعن الآخرين، يشغلك وأنت معه بنفسك، إذ يرى أن موقعه يجعله ملكاً جليسه، سواء أكان الجليس طالباً أم زميلاً أم صديقاً عادياً، أم غير ذلك، يميل إلى الصمت، ويكثر التفكير، يحب العزلة إلا من الكتاب، ولربما اختار خير الجلساء، ليستفيد منه، ويفيده بالمقابل بنشر كنوزه وآرائه، ومن هنا تركنا - ونحن تلاميذه - بعيداً عن حياته الخاصة والعامة، على الرغم من قربنا إليه وقربه إلى نفوسنا.

الدكتور حسن شاذلي فرهود صبور لا يتشكى، ولا يتبرم أمام الآخرين، ولربما فرح فأخفى نشوة الفرح، فهو في الحزن صابر، وفي الفرح راض شاكراً، وكأنه يقول: هكذا هي الحياة، فلا أحزانها تستمر ولا أفراحها تدوم، وما علينا إلا تقبلها والرضا بما تأتي به. مشغول بالعلم، مشغوف بالتراث، معرض تماماً عما تعلق به كثير من زملائه من أمور الدنيا، فلم يسع لمنصب، ولم ينشغل بجمع مال، وما خاصم أحداً، ولا اعتدى على أحد. هو مثال للموظف القدير، والأستاذ الأمين، حريصاً على الإفادة، قدوة في المحافظة على الوقت وأداء الواجب. يهش لزيارته في مكتبه، ويكرمه ويخدمه في منزله، تمنعه سجيته أن يبادر زائره بالسؤال عن حاجته، ولا يمل جليسه مهما طال مكثه لديه، وهو يفتح بابه لزيارته أكثر من أن يطرق أبواب الآخرين، يحبك في داره، ويعتذر عن تقصيره في ردّ الزيارة، حتى صار معروفاً لدى طلابه وزملائه بأن من يجب قربه واستمرار حبل المودة معه، فلا يعاتبه على إغفاله ردّ الزيارة، وهو لا يعاتب أحداً إذا قصر في زيارته أو الاتصال به.

الدكتور حسن شاذلي فرهود مفتون بالعلم، مخلص للكتاب، يسأل عن أخبار تلاميذه وزملائه، ويفرح لما يسمع من أخبارهم العلمية، يحبك وأنت تسأله في العلم وتستفتيه أو تشاوره، فهو جواد بعلمه، جواد بأدبه وخلقه، سمح في معشره، جادّ في عمله وبجته.

قبل أكثر من ربع قرن من الزمان صحبتته وأنا طالب في مرحلة الماجستير بإشرافه، ولما لم يتغير شيء في هذا الرجل إلا التقدم في السن، فإني لا أجد حرجاً من تكرار ما سطرت وأنا أقدم له الشكر عرفاناً بما أسدى إليّ من نصح، وما قدم لبحثي من عون وتوجيه: "ما إن تحمل مسؤولية الإشراف على هذا البحث حتى تلقاني بالحدب والرعاية، وفتح لي خزانة كتبه، وأمدني بكنوزها من مطبوع ومخطوط في غير منّ، وأتاح لي فرصة لقائه في الكلية وفي منزله، ولم يبخل عليّ بغزير علمه، وصادق توجيهه ونصحه، وأشهد أنني قد أثقلت عليه طيله الصحبة مع (المصطلح النحوي)، ولعمري ما أحسست منه تدمراً، ولا تضجراً، ولا تبرماً، - على كثرة الإلحاح والاسترشاد- فكان يلقاني في تواضع العلماء، ورعاية الآباء، فجزاه الله عني وعن العلم الذي حمل أمانته خير الجزاء".

وعلى الرغم من صحة نيفت على الثلاثين عاماً، بدأت عندما تتلمذت عليه في المرحلة الجامعية، فمرحلة الماجستير بعدها، ثم استمرت حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من طول المعرفة به فإنني لم أعرف عنه وعن سيرته إلا القليل، وهاكم ما استطعت معرفته عن أستاذي الفاضل المتواضع الدكتور حسن شاذلي فرهود: فهو من مواليد ينبع البحر، نشأ وترعرع في أحضانها، تعلم القراءة والكتابة وحفظ بعضاً من القرآن الكريم في كتاتيبها، إذ كانت الكتاتيب المكان الوحيد لبدء التعليم، وقاعدته الأولى في كل أنحاء البلاد.

درس مراحل التعليم الأولى: الابتدائية في ينبع، والثانوية في مكة المكرمة.

ابتعث إلى القاهرة سنة ١٩٥٤م للدراسة الجامعية، وحصل على درجة ليسانس في الآداب من قسم اللغة العربية سنة ١٩٥٨م ودبلوم في التربية وعلم النفس سنة ١٩٥٩م من كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة.

عمل بعد عودته خبيراً تربوياً بوزارة المعارف، ثم نقل إلى جامعة الملك سعود بالرياض مسجلاً لكليتي الآداب والتجارة، فمعيداً بكلية الآداب قسم اللغة العربية.

أكمل تعليمه العالي في بريطانيا، حيث حصل على درجة دكتوراه الفلسفة في فقه اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ١٤ سبتمبر عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

شارك في النهضة التعليمية في مراحلها العليا في بلاده، وتدرج في السلك الأكاديمي من أول درجاته إلى أعلاها، كما هو موضح في الجدول الآتي:

الوظيفة	تاريخ بدايتها	تاريخ نهايتها
معيد	١٣٧٩/٤/٣٠ هـ	١٣٨٦/٧/١ هـ
مدرس	١٣٨٦/٧/١ هـ	١٣٨٧/٩/٢٩ هـ
أستاذ مساعد	١٣٨٧/٩/٢٩ هـ	١٣٩٤/٧/١ هـ
أستاذ مشارك	١٣٩٤/٧/١ هـ	١٣٩٨/٩/٤ هـ
أستاذ	١٣٩٨/٩/٤ هـ	١٤٠٦/١/١ هـ

ومن أعماله الجليلة ومشاركاته أنه :

- ❖ رأس قسم المخطوطات والوثائق بجامعة الملك سعود.
- ❖ شارك في عضوية هيئة التحرير لمجلة كلية الآداب ثم رأس تحرير المجلة نفسها.
- ❖ رأس لجان الاختبارات في كلية الآداب لعدد من السنوات.
- ❖ انتدب للتدريس في كلية البترول والمعادن بالظهران لفصل دراسي كامل.
- ❖ أشرف على الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه لطلاب وطالبات الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة الملك سعود.
- ❖ شارك في لجان متعددة داخل الوطن وخارجه ، كالمشاركة في لجان التحكيم للبحوث المقدمة للترقية في بعض الجامعات في الدول العربية والمملكة العربية السعودية.
- ❖ مثل بلاده في العديد من المؤتمرات الدولية.
- ❖ شارك في لجان التحكيم لتقويم بعض البحوث للجوائز العالمية.
- ❖ عضو لجنة تأليف كتب اللغة العربية للمرحلة الثانوية بوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات.
- ❖ له سبعة وعشرون مؤلفاً بين تحقيق وتأليف.
- ❖ منح ميدالية الاستحقاق بأمر المقام السامي من الدرجة الأولى مع البراءة الخاصة بها بمناسبة مرور ربع قرن على تأسيس جامعة الملك سعود.
- وتقاعد أخيراً عام ١٤٠٦ هـ قبل أن يبلغ الإحالة الرسمية.
- أمد الله في عمره ، وبارك جهوده ، وجزاه خير الجزاء كفاء ما قدم لوطنه ولتراث الأمة من خدمات ،
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

التخلص من التماثلات لفظاً

أبوأوس إبراهيم الشمسان

الأستاذ في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

تكراه العرب اجتماع الأصوات التماثلات، كاجتماع: الهمزات، والواوات، والياءات، والنونات، والحروف المضعفة بصفة خاصة. ولذا ندر ورود كلمات حروفها كلها من جنس واحد؛ فالجذر الثلاثي قلّ محيئه على مثال الخمسة. وتعود تلك الكراهية إلى ما يؤديه الاجتماع من ثقل، وهو ثقل ذو مراتب كما يلاحظ في تأليف الكلمات؛ فالتماثلات من غير العلل أكثر من التماثلات من العلل، والتماثل في العين واللام أكثر منه في الفاء واللام؛ لأن التماثل في العين واللام يمكن التخلص منه بالإدغام وليس كذلك التماثل في الفاء واللام. ومن أجل ذلك جاء من العلل تماثل العين واللام وأهمل ذو الفاء واللام. وعلى نحو ما يكره التقاء التماثل من الحروف يكره ذلك في الحركات. وهذه التماثلات قد يصار إلى تفادي اجتماعها بوسائل مختلفة. أما كراهة التماثل فتفاديه مرتبط بمبدأ لغوي عام هو بذل الجهد الأقل عند الإجراء اللغوي؛ لذا تحدث جملة من التغيرات هي ما يسمى بوسائل التخلص من ذلك التماثل. وسوف نحاول جهداً تنظيم تلك الوسائل. ومن تلك الوسائل إدغام الصامتين ليتوصل إلى نطقهما بقاء واحد لأعضاء النطق، ومنها تخفيف أحد الصامتين، ومنها قلبه أو إبداله ليتخالفاً، ومنها حذف أحدهما، ومنها إقحام صوت بين التماثلين. وتمثل الوسائل السابقة قواعد التخلص من التماثلات ولها ترتيب؛ إذ القاعدة الأولى هي الإدغام. فإن تعذر الإدغام؛ لأن الأصوات يصعب إدغامها - مثل الهمزتين من كلمتين - طبقت القاعدة الثانية، وهي التخفيف. وقد يتعذر الإدغام لوجود ثلاثة تماثلات، وكذا يتعذر التخفيف؛ لأنها أصوات لا تخفف؛ لذلك تطبق القاعدة الثالثة، وهي القلب أو الإبدال. ولكن قد يتعذر الإدغام، ويتعذر التخفيف، والقلب؛ ولذلك تطبق القاعدة الرابعة، وهي الحذف. فإن كان الصوت مما يمكن إبداله جاز تطبيق القاعدة الثالثة أو الرابعة والأمر في ذلك اتجاه لهجي. ولكن قد لا يمكن تطبيق قاعدة من القواعد السابقة فتطبق القاعدة الخامسة، وهي إقحام صوت بين مثلين من تلك التماثلات. وينقسم حكم التخلص من التماثل قسمين: واجب، وجائز. أما الواجب فهو ما ورد فيه عن العرب طريقة واحدة هي طريقة التخلص، وأما الجائز فهو ما ورد فيه عن العرب طريقان فأكثر، منها الإبقاء على تلك التماثلات دون تخليص من تماثلها. وهو أمر لهجي حاول البحث رصده أيضاً.

التخلص من التماثلات لفظاً

يصرح سيبويه في مواطن كثيرة من كتابه بكرهية العرب لاجتماع التماثلات، ومن هذه التماثلات المكروهة: الهمزات، والواوات، والياءات، والنونات، والحروف المضعّفة بصفة عامة، وكذا الحرفان الساكنان. قال سيبويه عن التضعيف: "أعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد"^(١).

ومما يشعر بكرهتهم ندرة ورود كلمات حروفها كلها من جنس واحد، قال ابن خالويه: "ليس في كلام العرب: كلمة تامة حروفها كلها من جنس واحد فأدغم استثقالاً، إلا حرفين: غلام بَيَّة، أي سمين... والحرف الثاني: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَيْسَ بَقِيْتُ إِلَى قَابِلٍ لِأَجْعَلَنَّ النَّاسَ بَيَّانًا وَاحِدًا"^(٢).

ولذا فإن الجذر الثلاثي قل مجيئه على مثال الخمسة، قال سيبويه: "ألا ترى أنهم لم يجيؤوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة، نحو: ضَرَبَ، ولم يجيئ فَعَلُّ ولا فَعَلُّ إلا قليلاً، ولم يبنوهنَّ على فَعَالِل كراهية التضعيف"^(٣).

ولكرهية اجتماع الواوين لم يرد فعل فاؤه ولامه واو، قال سيبويه: "واعلم أن الفاء لا تكون واوًا واللام واوًا في حرف واحد. ألا ترى أنه ليس مثل وَعَوْتُ في الكلام، كرهوا ذلك كما كرهوا أن تكون العين واوًا واللام واوًا ثانية، فلما كان ذلك مكروهًا في موضع يكثر فيه التضعيف نحو رَدَدْتُ وَصِمْتُ، طرحوا هذا من الكلام مبدلاً وعلى الأصل، حيث كان مثلُ قَلِقَ وَسَلِسَ أَقْلَ من مثل رَدَدْتُ وَصِمْتُ"^(٤).

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (ط٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٩م. ٤: ٤١٧.

(٢) أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (مكة المكرمة، ١٩٧٩م). ص ٣٦.

(٣) الكتاب، ٤: ٤١٧.

(٤) الكتاب، ٤: ٤٠٠، و العين واللام لا يكونان واوًا في كلمة واحدة". انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي/ القاهرة) مادة: وزا. أما الياء فذكر المازني مجيء الفاء واللام منها، على قلة، مثل: يديت إليه يداً. انظر: أبو الفتح

ويفهم من ذلك أن للثقل مراتب في تأليف الكلمات فالمتماثلات من غير العلل أكثر من المتماثلات من العلل. والمتماثل في العين واللام أكثر منه في الفاء واللام؛ لأن التماثل في العين واللام يمكن التخلص منه بالإدغام وليس كذلك التماثل في الفاء واللام. ومن أجل ذلك جاء من العلل تماثل العين واللام وأهمل ذو الفاء واللام.

وهذه المعتلات عيناً ولاماً قد يصر إلى تفادي التماثل فيها، قال المازني: "اعلم أنك إذا قلت: (فَعَلْتُ) من هذا عدلته إلى (فَعِلْتُ) لينقلب موضع اللام ياء استثقلاً لبنات الواوين في الفعل؛ كما استثقلوا أن تجيء الهمزة مضاعفة، وما قرب من الهمزة في المخرج؛ فلم يتكلموا به إلا قليلاً كراهة ما يستثقلون، والواو مما تُسْتَثْقَلُ، فكرهوا التضعيف فيها؛ وذلك نحو: (قَوَيْتُ، وَحَوَيْتُ)"^(١). وبين ابن جني أصل الفعل قبل الإعلال فقال: "فأصل (قَوَيْتُ، وَحَوَيْتُ: قَوَوْتُ، وَحَوَوْتُ) فانقلبت اللام التي هي واو ياء؛ لانكسار ما قبلها، ولم يستعملوا فيه (فَعَلْتُ) ولا (فَعَلْتُ)، فيقولوا: (قَوَوْتُ، تَقَوُّوْ، وَقَوَوْتُ)؛ لأنهم إذا استثقلوا الواو الواحدة فبنوا الماضي على (فَعَلْتُ) لتتقلب ياءً نحو: (شَقَيْتُ، وَرَضَيْتُ)، فهم باستثقال الواوين والضمة أجدر"^(٢).

وإن يكن التقاء المتماثلات من الحروف مكروهاً فإن التقاء ثقيلين مكروه أيضاً؛ وذلك التقاء التضعيف والثقل من الحركات وهو الضمة، فالضمة تستثقل مع الحروف المضعفة، قال سيبويه: "واعلم أن ما كان من التضعيف من هذه الأشياء فإنه لا يكاد يكون فيه فَعَلْتُ وَفَعُلْتُ؛ لأنهم قد يستثقلون فَعُلْتُ والتضعيف فلما اجتمعا حادوا إلى غير ذلك، وهو قولك: دَلَّ يَدُلُّ، دُلًّا وَذُلَّةً، وذليلٌ، فالاسم والمصدر يوافق ما ذكرنا، والفعل يجيء على باب جَلَسَ يَجْلِسُ"^(٣)، وقد يجمع بينهما على قلة، قال سيبويه: "وزعم يونس أن من العرب من يقول لَبَيْتَ تَلْبُ، كما قالوا: ظَرَفْتُ تَظْرُفُ،

عثمان بن جني، المنصف: شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين (ط١، القاهرة، ١٩٥٤م). ٢: ٢١٥.

(١) المنصف، ٢: ٢٠٩.

(٢) المنصف، ٢: ٢١٠.

(٣) الكتاب، ٤: ٣٦ - ٣٧.

وإنما قلَّ هذا؛ لأنَّ هذه الضمة تستثقل فيما ذكرت لك، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعوا فرُّوا منهما^(١).

أما تفسير هذا فهو مرتبط بمبدأ لغوي عام هو بذل الجهد الأقل عند الإجراء اللغوي، وهذا ما يعبر عنه سيبويه على نحو رائع في قوله: "وذلك لأنه يثقل عليهم أ، يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تبعاً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت"^(٢).

ويبين في رسده للظواهر اللغوية أنَّ طائفة من التغيرات الصوتية والصرفية مردها إلى تلك الكراهية.

وهذه التغيرات ما هي إلا وسائل التخلص من ذلك التماثل، وسوف نحاول جهدنا تنظيم تلك الوسائل معتمدين على المادة المتفرقة في كتاب سيبويه في المقام الأول وما نجده بعد ذلك في غيره. ويمكن التقسيم على أساس وسائل التخلص من التماثل وجعل ذلك مداخل للحديث. ويمكن أيضاً التقسيم على أساس التماثلات وجعل ذلك مدخلاً للحديث يبيِّن فيه وسائل التخلص من التماثلات لا بيان التماثلات نفسها اكتفاءً بالإشارة إليها سابقاً.

أولاً: وسائل التخلص من التماثلات

١- الإدغام

يمكن أن يُعدَّ الإدغام من أهم ما تتوسل به العربية للتخلص من الأصوات المضعفة، وذلك بإدغامها وقد تقدم التفسير اللغوي لذلك. وتعود تلك الأهمية إلى أنه يجمع بين المحافظة على التماثلين والتخلص من ثقل اجتماعهما. وأمثله كثيرة سنجتزئ ببعضها عن بعض، فمن ذلك التخلص من اجتماع التماثلين في الفعل المضعف، قال سيبويه: "أما ما كانت عينه ولامه من موضع واحد فإذا

(١) الكتاب، ٤: ٣٧.

(٢) الكتاب، ٤: ٤١٧.

تحركت اللام منه وهو فعل ألزموه الإدغام، وأسكنوا العين. فهذا مثلثبّ في لغة تميم وأهل الحجاز^(١)، ولما كان شرط الإدغام سكون الأول وتحرك الثاني كان أهل الحجاز لا يدغمون إن جزم الفعل، أما بنو تميم فإن حرصهم على التخلص من التضعيف جعلهم يدغمون، قال سيبويه: "فإن أسكنت اللام فإن أهل الحجاز يجرونه على الأصل؛ لأنه لا يسكن حرفان. وأما بنو تميم فيسكنون الأول ويحركون الآخر ليرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة وصار تحريك الآخر على الأصل، لثلا يسكن حرفان، بمنزلة إخراج الآخرين على الأصل لثلا يسكننا"^(٢). ومثل الأفعال الأسماء المشتقة منها، مثل سيبويه لذلك في قوله: "وذلك قولك: مُسْتَرِدُّ ومُسْتَعِدُّ ومُمِدُّ ومُمَدُّ ومُسْتَعَدُّ، وإنما الأصل مُسْتَعِدُّ ومُمَدِّدٌ ومُسْتَعَدُّ"^(٣).

وعلى الرغم من اختلاف الحجاز و تميم في إدغام الفعل المجزوم فإن فك الإدغام هو طريقتهما إن كان الفعل مسنداً إلى ضمير رفع متحرك، قال سيبويه: "وأهل الحجاز وغيرهم، مجتمعون على أنهم يقولون للنساء: ارْدُدْنَ، وذلك لأنّ الدال لم تسكن ههنا لأمر ولا نهى. وكذلك كل حرف قبل نون النساء لا يسكن لأمر ولا لحرف يجزم"^(٤).

وأما بعض العرب فيمعن في كراهية التضعيف فلا يفك الإدغام بل يبقى عليه وإن كان الفعل مسنداً إلى هذه النون التي تقتضي السكون المخل بشرط الإدغام، قال سيبويه: "وزعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون: رَدَّنْ ومدَّنْ وردَّتْ، جعلوه بمنزلة رَدَّ ومدَّ"^(٥).

(١) الكتاب، ٤: ٤١٧.

(٢) الكتاب، ٤: ٤١٧ - ٤١٨.

(٣) الكتاب، ٤: ٤١٨.

(٤) الكتاب، ٣: ٥٣٤.

(٥) الكتاب، ٣: ٥٣٥. وجاء في شرح الشافية: "وبعضهم يزيد ألفاً بعد الإدغام، نحو: رَدَّتْ وردَّانْ؛ ليبقي ما قبل هذه الضمائر ساكناً كما في غير المدغم". انظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد (مصورة دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٥م). ٣: ٢٤٥.

ومن شدة كراهيتهم للتماثلات ما نجدهم تخلصوا منه على بعد. مثال ذلك ما يفصله ابن جني في قوله: "وقد أجرت العرب ما ليس بلازم مُجرى اللازم في مواضع من كلامها منها قوله تعالى: لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي [٣٨- الكهف]؛ والأصل (لَكِنَّا أَنَا) فخففت الهمزة بأن حذفت وألقيت حركتها على النون الساكنة قبلها؛ فصارت في التقدير (لَكِنْنَا) فكرهوا اجتماع حرفين مثلين متحركين؛ فأسكنوا الأولى منهما وأدغموها في الثانية فقالوا: (لَكِنَّا)"^(١).

ومن قبيل ذلك ما قد يدغم فيه التاء في عين الفعل المماثلة لها أي حين يكون تاءً في بناء (أَفْتَعَلَ). قال ابن جني: "اعلم أن من قال (قَتَلَ) فإنما كره ظهور التاءين في (أَفْتَتَلَ) فسكن الأولى ونقل حركتها إلى القاف، فحذف همزة الوصل لتحرك ما بعدها، ثم أدغم التاء الأولى في الثانية، فقال (قَتَلَ)"^(٢). وربما دفعتهم رغبتهم في التخلص من التماثلين بالإدغام إلى قلب أحدهما ليقارب حرفاً مجاوراً يدغم فيه، ومن ذلك (ست)؛ فالأصل فيها (سدس)، قلبت السين تاءً لتدغم في الدال، ونقل قول سيبويه في ذلك في موضعه عند الكلام على إبدال السين تاءً في الفقرة (٧/٣) من هذا البحث.

ومن التخلص بالإدغام التخلص من التقاء نون الرفع ونون الوقاية، قال المازني: "ومثل ذلك (هم يضربونني ويشتمونني) يجوز فيهما الإظهار والإدغام. ومثله (هو يدفئني) لأن هذه النون لا يلزمها أن يكون بعدها نون، وإنما تكون إذا عنى المتكلم نفسه"^(٣)، قال ابن جني في شرحه القول السابق: "ومن يدغم يجريه مجرى اللازم فيقول (يضربوننا، وهو يُمكنني)، قال الله تعالى: قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ [٨٠- الأنعام]"^(٤) وذكر ابن جني أن هناك من يتخلص من ذلك بحذف النون الآخرة^(٥).

(١) المنصف، ٢: ٢٨.

(٢) المنصف، ٢: ٢٢٢.

(٣) المنصف، ٢: ٣٣٦.

(٤) المنصف، ٢: ٣٣٧.

(٥) المنصف، ٢: ٣٣٧. وانظر موضع حذف النون مدخل ٢/٤.

ويتبين من النظر في أمثلة التخلص من المتماثلين بالإدغام أن من ذلك ما هو من قبيل الواجب الذي اتفق عليه العرب ومنه ما هو من قبيل الجائز إذ يأتيه بعضهم ويتركه بعض وذلك لمن أراد الخفة، ويكون الأمر سمة من سمات اللغة الخاصة، إذ يعود الحجازيون إلى إظهار التضعيف في الفعل المجزوم ويبقى التميميون على الإدغام.

٢- التخفيف

إنّ اجتماع همزتين من كلمتين ثقيل ولكنه ثقل لا يدرك التخلص منه بالإدغام؛ بل بالتخفيف. والهمزة تخفف في اللفظ؛ ولكن ما يهمنا من أسباب تخفيفها هو عند اجتماع الهمزتين؛ ذلك أن جمهرة العرب تعمد إلى تخفيف إحداهما "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققاً"^(١)، وقد وردت القراءة بتحقيق الهمزتين، على نحو قراءة قوله تعالى سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ [٦- البقرة] وقوله تعالى أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ [١٣- البقرة] وقوله تعالى وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [٤٣- فاطر] وقد نبّه الأخفش إلى شذوذ ذلك في قوله: "وكلّ هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً، ولكن إذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتى ليس بينهما شيء، فإن إحداهما تخفف في جميع كلام العرب إلا في هذه اللغة الشاذة القليلة"^(٢). ونسب الأخفش القراءة بتحقيق الهمزتين إلى أهل الكوفة وبعض أهل البصرة^(٣).

ويطلق التخفيف عند سيوييه على جملة أحوال صوتية وصرفية مختلفة تعرض للهمزة، من ذلك تحويلها إلى همزة بين بين، وقلبها ألفاً أو ياء مدّ أو واو مدّ، وحذفها. وهذا ظاهر من كلامه وأمثله؛ لأن الغاية من ذلك هو طلب الخفة على اللسان ودفع بعض الجهد عنه، وليس التخفيف مصطلحاً خاصاً بظاهرة محددة؛ ولكننا سوف نقتصر في هذا الموضع على تحويل الهمزة إلى همزة بين

(١) الكتاب، ٣: ٥٤٨.

(٢) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس (ط٢)، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر / الكويت،

١٩٨١م. ١: ٤٢.

(٣) معاني القرآن، ١: ٤٤.

بين لشدة انطباق مفهوم التخفيف عليها لأنها همزة مخففة لكنها بزنة المحققة تماماً. أما بقية المظاهر فسردتها إلى مواضعها.

يعرض سيويه للغة أهل الحجاز في الهمزتين الملتقيتين في مثل (إِقْرَأْ آيَةَ) فيذكر أنهم يقولون (إِقْرَأْ آيَةَ)؛ "لأن أهل الحجاز يخففونهما جميعاً يجعلون همزة (إِقْرَأْ) ألفاً ساكنة ويخففون همزة (آيَةَ)"^(١). وتخفيف همزة (آيَةَ) يجعلها (بين بين). قال السيرافي "يقلبون الأولى ألفاً لأنها ساكنة وقبلها فتحة، ويجعلون الثانية بين بين"^(٢).

وقد تكون الهمزتان متحركتين وإحدهما آخر كلمة والأخرى أول كلمة. ولذلك قد تخفف الأولى وتحقق الثانية. من ذلك الهمزتان المتحركتان في مثل (قَرَأَ أَبُوكَ)، فمن خَفَّفَ الأولى قال (قَرَأَ أَبُوكَ)، بأن يجعلها بين بين، ومن خَفَّفَ الثانية قال (قَرَأَ أَبُوكَ) يجعلها بين بين^(٣).

وينسب سيويه القول بتخفيف الهمزة الأولى إلى أبي عمرو، ففي قوله تعالى فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا [١٨ - محمد] تصير: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا، وقوله يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ [٧ - مريم] تصير: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ. وقد تخفف الثانية فتصير: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا، وَيَا زَكَرِيَّا إِنَّا، وفي قول الشاعر:

كُلُّ غَرَاءٍ إِذَا مَا بَرَزَتْ تُرْهَبُ الْعَيْنُ عَلَيْهَا وَالْحَدُّ

وينسب سيويه إلى الخليل تفضيل هذه الطريقة لأنها توافق نظائر لها من إبدال الآخرة من الهمزتين الملتقيتين، وذلك مثل اسم الفاعل من جاء فهو (جَائِي) تحول الآخرة إلى ياء (جَائِي).

(١) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

(٢) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

(٣) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

و(أَدَم) تصير (آدَم)^(١). ووصف الأَخْفَش تخفيف الآخرة بأنه أقيس، لأنهم أبدلوا الآخرة حين اجتمعتا في كلمة واحدة^(٢).

وعلى الرغم من أن أبا عمرو قال بالتخلص من الأولى فإنه أخذ بطريقة الخليل في قوله تعالى
قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ [٧٢- هود]^(٣).

وعلينا أن نتنبه إلى أمر مهم هو أن ثمة فرقاً بين التخلص من الهمزة الثانية في الآية والتخلص من الهمزة الثانية في الأمثلة: جَائِي، أَدَم، من قبيل أن الأولى تصير همزة بين بين أما الآخرة فهي من قبيل قلب الهمزة ياءً أو ألفاً على نحو ما سيرد في موضعه. وهناك فرق بين التخفيف والقلب.

ولتخفيف الهمزة في كلمتين أحوال مختلفة، منها:

- إن كانتا مكسورتين وخففت الآخرة جعلتها بين الياء والهمزة أي همزة بين بين.
نحو (هَوَّلَاءِ إِمَاءُ اللَّهِ)^(٤).

- إن كانت الأولى مكسورة والآخرة مفتوحة أو مضمومة لم تجعل بين بين، بل ياءً خالصة، لانكسار ما قبلها. نحو (هَوَّلَاءِ أَخَوَاتُكَ)، و(هَوَّلَاءِ أَخَوَاتُكَ)^(٥).

٣) القلب أو الإبدال

هذا اللون من التخلص إنما يكون في تماثلات لا يفلح الإدغام في دفع اجتماعها، إما لأن شرط الإدغام غير متحقق أو أنه يفضي إلى خلل في البنية، ويكون في تماثلات لا سبيل إلى تخفيفها على نحو ما خففت الهمزة، والقلب وإن كان فيه تغيير للصوت فهو يحافظ على البناء الصرفي عندهم.

^(١) الكتاب، ٣: ٥٤٩. قن لقي همزة حققها أبو بكر وابن عامر وسهلها الحرميان وأبو عمر". انظر: أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، التيسير في

القراءات السبع، عناية: أوتوبرتزل (جمعية المستشرقين الألمانية/ استانبول، ١٩٣٠م). ص ٨٧.

^(٢) معاني القرآن، ١: ٤٢.

^(٣) الكتاب، ٣: ٥٤٩.

^(٤) معاني القرآن، ١: ٤٣.

^(٥) معاني القرآن، ١: ٤٣.

١/٣ - قلب الهمزة حرف علة

١/٣ - أ: القلب إلى ألف

"ومن ذلك آدم، أبدلوا مكانها الألف؛ لأن ما قبلها مفتوح. وكذلك لو كانت متحركة لصيرتها ألفاً"^(١). فهم يتخلصون من اجتماع همزتين بقلب الأولى ألفاً ومثال ذلك ما ذكره سيوييه في حديثه عن تخفيف الهمزة، فالذين يخففون (اقرأ آية) يقولون (اقرأ آية) بجعل الهمزة ألفاً؛ "لأن الهمزة الساكنة أبداً إذا خففت أبدل مكانها الحرف الذي منه حركة ما قبلها"^(٢).

١/٣ - ب: القلب إلى ياء

"فمن ذلك قولك في فاعل من جئت جائي، أبدلت^(٣) مكانها الياء لأن ما قبلها مكسور، فأبدلت مكانها الحرف الذي منه الحركة التي قبلها، كما فعلت ذلك بالهمزة الساكنة حين خففت"^(٤). ومن ذلك جمع (خطيئة، ورزيئة) على فعائل، فتهمزياء خطيئة ورزيئة كما تهمزياء (قبيلة)، ولام الكلمة همزة أيضاً فاجتمع همزتان (خطائي)، فقلبت الثانية ياءً لاجتماع الهمزتين فصارت (خطائي)، ثم أبدلت الياء ألفاً كما يفعل في مدارى، ولأن الهمزة قريبة من الألف مخرجاً - حسب قول ابن جني - أشبه ذلك اجتماع ثلاث ألفات فأبدلوا من الهمزة الياء، فصارت (خطايا)"^(٥).

(١) الكتاب، ٣: ٥٥٢.

(٢) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

(٣) انه معتل العين بالياء والقاعدة تقضي بهمز الياء في هذا الموضع فيصير: (جائي)؛ ولكن المستعمل في اللغة هو (جائي). وقد اختلف في تفسير هذا فذهب الخليل إلى أنه حدث فيه قلب مكاني بتقديم لامة فصار على وزن: (فالع)، أما سيوييه فقال إنه تخلص من الهمزة الثانية بقلبها ياء، وعلى هذا يكون وزنه (فاعل) على الأصل. (الكتاب، ٤: ٣٧٦).

(٤) الكتاب، ٣: ٥٥٢.

(٥) المنصف، ٢: ٥٤ - ٥٥. ويصدق هذا التخلص على قول الصرفيين غير أن عبدالصبور شاهين من الدارسين المحدثين يرد قول القدماء ويذهب إلى أن (خطايا) جمع للمفرد (خطيئة) بالياء المشددة على طريقة من لا ينطقون الهمزة من الفصحاء فلامها كلام (قضية). وقضية ومطية وهاوأة كلها ألفاظ لا يرى أن لها علاقة بالهمزة إذ لا تظهر في تصاريفها مطلقاً. وذهب أيضاً إلى أن من الأسهل عدّ هذا المفرد (خطيئة) مجموعاً على (فعالي) لا (فعائل)، مثل: عذارى، وصحارى، ومدارى. انظر: عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية (ط ١، مطبعة جامعة

١/٣ - ج: القلب إلى واو

وذلك "إذا جمعت آدم قلت أوادم، كما أنك إذا حَقَرْت قلت أُوَيْدِم؛ لأن هذه الألف لما كانت ثانية ساكنة وكانت زائدة؛ لأن البدل لا يكون من أنفس الحروف، فأرادوا أن يكسروا هذا الاسم الذي قد ثبتت فيه هذه الألف صيروا ألفه بمنزلة ألف خالد"^(١). ومعنى ذلك أن الجمع انطلق من البنية الظاهرة للمفرد ولم تأبه بالبنية الباطنة، والبنية الباطنة للمفرد هي (أُأَدَم)، أما الظاهرة فهي (أَادم)، والجمع يكون على (فَوَاعِل) أي بتحويل الفتحة الطويلة في المفرد صرفياً إلى ضمة طويلة على نحو جمع (خَالِد) على (خَوَالِد).

ومن قلب الهمزة واواً قلبها في مضارع (أَفْعَل) فاؤه همزة عند إسناده للمتكلم، "نحوأنا أَفْعَلُ من (آب)، تقول: (أُووب)"^(٢).

ومن ذلك قلب همزة فعل الأمر مهموز الفاء، قال الأخفش: "وإن كان ما قبلها مضموماً جعلت واواً، نحو: أُوُرُز، إذا أمرته أن يُورُز"^(٣). واستثني من ذلك ثلاثة أفعال مهموزة، هي: (أكل، أخذ، أمر)، فهي تحذف همزاتها لكنها قد تقلب واواً تسهياً لها، قال سيبويه "وأما ما جاء من الأفعال فحُذِّ، وكُلُّ، ومُرُّ. وبعض العرب يقول: أُوُكُلُ فَيُتَم"^(٤). ويفهم من هذا النص أن من العرب من يقدم قاعدة حذف الهمزة قبل تطبيق قاعدة التخلص من الساكنين بجلب همزة الوصل، ومنهم

القاهرة/ القاهرة، ١٩٧٧م. ص ١٨١. وأما وسمية المنصور فقد صنفت (خطايا) في الوزن (فعالي) موافقة بذلك الكوفيين، وعرضت آراء القدماء المختلفة في هذا الجمع مبينة أوجه الخلل فيها، وذهبت إلى أن المفرد والجمع أخذتا من المادة الاشتقاقية الأساسية وهي (خ/ط/ي)، وأن الهمزة هي تحقيق للألف الناتجة عن حذف الياء من (خَطِي)، في (خطا ← خطأ). وأن خطيئة أخذت من (خطأ). انظر: وسمية عبدالمحسن المنصور، صبيح الجموع في القرآن الكريم (ط١، مكتبة الرشد/ الرياض، ٢٠٠٤م). ١: ٥٥٠ - ٥٥٣.

(١) الكتاب، ٣: ٥٥٢.

(٢) معاني القرآن، ١: ٤٢.

(٣) معاني القرآن، ١: ٤٢.

(٤) الكتاب، ٤: ٢١٩.

من يقدم قاعدة التخلص من البدء بالساكن بهمزة الوصل ثم يتخلص من اجتماع الهمزتين بتسهيل الثانية أي إعلالها بقلبها واواً.

ومن التخلص بقلب الهمزة واواً جمع (دُوَابَةٌ)، قال سيبويه: "وكما قالوا (دَوَائِبُ)، فأبدلوا الواو كراهية الهمزة"^(١).

٢/٣ - قلب الواو

٢/٣ - أ: قلب الواو إلى ياء

بيّن سيبويه أنّ اجتماع الواوين مكروه كراهية اجتماع الهمزتين، حتى إنهم يجعلون الفعل من المصدر (قُوَّة) على باب من شأنه أن يهَيِّئ لقلب الواو إلى ياء، مثل البناء (فَعِل)؛ فكسرة العين سبب في قلب الواو التي هي لام الكلمة ياءً، قال سيبويه: "اعلم أنهما لا تثبتان كما تثبت الياءان في الفعل. وإنما كُرِهتا كما كرهت الهمزتان حتى تركوا فَعَلْتُ كما تركوه في الهمز في كلامهم، فإنما يجيء أبداً على فَعَلْتُ على شيء يقلب الواو ياءً"^(٢). ومثل لذلك سيبويه في قوله "وذلك نحو: قُوَيْتُ، وَحُوَيْتُ، وَقَوِيَّ"^(٣). ومن (التَوَّ) يقال: "تَوِيَّ المال" أي هلك^(٤)، ومن (الجَوَّ) يقال: "جَوِيَّ الرجل" أي أصابته حرقة من العشق، وَجَوِيَّ الشيء أنتن. وَجَوَيْتُ نفسي لم يوافقها جَوَّ البلاد^(٥)، ومن (الحُوَّة)^(٦): "حَوِيَّ يَحْوِي حُوَّةً"^(٧)، ومن (الضُوَّة): "ضَوِيَّ بالكسر يَضْوِي ضَوًى"^(٨).

(١) الكتاب، ٤: ٣٩٨.

(٢) الكتاب، ٤: ٤٠٠.

(٣) الكتاب، ٤: ٤٠٠.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (ط٢)، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٧٨ م. مادة (توي) ٦: ٢٢٩٠.

(٥) الصحاح، مادة (جوا) ٦: ٢٣٠٦.

(٦) وهي "لون يخالط الكُمَّة، مثل صدأ الحديد. وقال الأصمعي: الحُوَّة حمرة تضرب إلى السواد". انظر: الصحاح، مادة (حوا) ٦: ٢٣٢٢.

(٧) الصحاح، مادة (حوا) ٦: ٢٣٢٢.

(٨) الصحاح، مادة (ضوا) ٦: ٢٤١٠.

إذا التقت واوان أول كلمة قلبت أولاهما همزة قال سيبويه: "وإذا التقت الواوان أولاً أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك، لأنهم لما استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا، وكان ذلك مطرداً إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل، ولم يجعلوا في الواوين إلا البدل، لأنهما أثقل من الواو والضمة. فكما اطرد البدل في المضمون كذلك لزم البدل في هذا"^(١).

وهذا القول ليس على إطلاقه إذ فيه الواجب والجائز. ومثال الواجب ما نجده في قوله: "وتقول في فَوْعَلٍ من وَعَدْتُ: أَوْعَدْتُ، لأنهما واوان التقتا في أول الكلمة"^(٢). وفي قوله "وسألت الخليل عن (فُعَلٍ) من وَايْتُ فقال: وُؤْيِي كما ترى. فسألته عنها فيمن خفف همزة، فقال: أُوِيُّ كما ترى، فأبدل من الواو همزة؟ فقال: لا بد من همزة؛ لأنه لا يلتقي واوان في أول الحرف"^(٣). ويعلل المازني هذا بأن التضعيف في أول الكلمة يكاد لا يكون فكرهوا ترك الواوين؛ هذا إن لم تكن الواو الثانية مدداً فإن كانت مدداً فأنت بالخيار: فإن شئت همزت الأولى وإن شئت لم تهمز. وليس الهمز لاجتماع الواوين بل لضم الواو؛ ومثل لذلك بقوله تعالى مَا وُورِي عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهَما [٢٠]- الأعراف^(٤)؛ ويبيّن الفارسيّ بجلاء- في تعليقه على قول سيبويه بإبدال أولى الواوين همزة- أن اجتماع الواوين أول الكلمة على ضربين: ضرب جائز فيه قلب الواو، وضرب واجب فيه قلبها. أما الجائز فهو حين تكون الثانية واو مدٌّ غير لازمة كالفاعل المبني للفاعل من (وَعَدَ) على (وُوعَدَ) فيجوز: أُوَعَدَ^(٥). أما الواجب فذلك حين تكون الواو لازمة لا تنقلب، نحو (أَوَاصِل) جمع

(١) الكتاب، ٤: ٣٣٣.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٣٦.

(٣) الكتاب، ٣: ٣٣٣.

(٤) المنصف، ١: ٢١٧ - ٢١٨. قراءة الجمهور بالواو، وقرأ عبدالله بقلب الواو همزة (أُورِي). انظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (دار الفكر/ بيروت) ٢: ٧٢.

(٥) أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان الفارسي، المسائل المشككة: البغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي (وزارة الأوقاف/ بغداد، ١٩٨٣م). ص ٨٥.

(وَاصِل)، ونحو (أُوَيْصِل) تصغيره^(١). ومن هذا (أُولَى). "والأصل: وُولى، إلا أنّ الواو الأولى لزم قلبها، لأن الواو الثانية لازمة. فهذه الهمزة إنما هي منقلبة عن واو هي فاء، وانقلبت لاجتماع الواوين ولزومهما. وإن كانت الثانية مدّة"^(٢). ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جنّي، قال: "ولو جمعت (وَاقِدًا) لقلت: (أَوَاقِد) وأصله: (وَوَاقِد) فهمزت الأولى؛ لاجتماع الواوين. ومثله قول الشاعر:

ضَرَبْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَّتَكَ الْأَوَاقِي

فالأَوَاقِي جمع (وَاقِيَة)؛ وأصلها (وَوَاقٍ) فهمزت الأولى"^(٣). وأوضح ابن جنّي العلة التي من أجلها لم يجب همز الواو إن كانت الواو بعدها مدّة وهي أنها كالألف الذي لا يجب همز الواو قبله "فكما لا يجوز همزها في (وَاعِدَ) كذلك لم يجب همزها في (وُوعِدَ)"^(٤).

وتقلب الواو همزة وإن فصل بينهما بالألف، قال ابن جنّي: "وأصل هذا التغيير إنما هو لما اجتمعت فيه واوان نحو: (أَوَائِل) وأصلها (أَوَاوِل) فلما اجتمعت الواوان وليس بينهما إلا الألف، وهو حرف كالنفس ليس بحاجز حصين، ووليت الآخرة من الواوين آخر الكلمة همزوها كما يهمزون الأولى من الواوين إذا وقعتا في أول الكلمة"^(٥).

ويمكن بقليل من التوسع أن نعد من التقاء التماثل الواو والضمّة بعدها؛ إذ يجوز أن تقلب الواو همزة متى ضمت ضمًّا لازمًا لا عارضًا، قال المازني: "وكلما انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز"^(٦)؛ وقد مثل ابن جنّي لذلك في قوله: "نحو: (أُعِدَ) في (وُوعِدَ) و(أُزِنَ) في (وُوزِنَ) و(أُدُورَ) في (أُدُورَ) و(سُرْتُ سُورًا) في (سُورًا)، ومنه قوله تعالى: وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتُتْ [١١ - المرسلات] في

(١) البغداديات، ص ٨٦.

(٢) البغداديات، ص ٨٨.

(٣) المنصف، ١: ٢١٧ - ٢١٨.

(٤) المنصف، ١: ٢١٩.

(٥) المنصف، ٢: ٤٤ - ٤٥.

(٦) المنصف، ١: ٢١١.

(وُقَّتَتْ) وهي (فُعَلَّتْ) من الوقت. وقالوا: (أُجُوهُ) في (وُجُوهُ)^(١). ويعلّل ابن جنّي هذه الظاهرة في قوله: "لأن الضمة قد تجري مجرى الواو وهي واو صغيرة كما أن الكسرة ياء صغيرة والفتحة ألف صغيرة؛ وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كنّ مدّات، نحو (رسالة، وصحيفة، وعجوز)"^(٢). وما ذكره ابن جنّي عن الحركات والمدود هو ما عليه علماء الأصوات الحديث الذين يعدون المدود حركات طويلة لا تختلف عن القصيرة إلا بالكمّ الصوتي؛ فالمدّ بمقدار حركتين قصيرتين.

٢/٣ - ج: قلب الواو تاء

الأمثلة التي قلبت واوها همزة لاجتماع واوين أول الكلمة يمكن أن تبدل الواو فيها تاءً، قال سيبويه: "وربما أبدوا التاء إذا التقت الواوان، كما أبدلوا التاء فيما مضى. وليس ذلك بمطرد، ولم يكثر في هذا كما كثر في المضموم؛ لأن الواو مفتوحة، فشبهت بواو وحّد. فكما قلّت في هذه الواو وكانت قد تبدل منها، كذلك قلّت في هذه الواو. وذلك قولهم: تَوَلَّجٌ. وزعم الخليل أنها (فَوَعَلٌ)، فأبدلوا التاء مكان الواو، وجعل (فَوَعَلًا) أولى بها من (تَفَعَلٍ)، لأنك لا تكاد تجد في الكلام (تَفَعَلًا) اسمًا، و(فَوَعَلٌ) كثير"^(٣). والكلمة على قول الخليل: وولج ← تولج.

٣/٣ - قلب الألف اليائية الأصل إلى واو

لا ترد الألف في الاسم الثلاثي المقصور إلى الياء عند النسب بل تقلب واوًا؛ لأنهم لو قلبوها ياءً لاجتمعت متماثلات يكرهون اجتماعها، قال سيبويه مَثَلًا لذلك: "تقول في هُدَى: هُدَوِيٌّ، وفي رجل اسمه حَصَى: حَصَوِيٌّ، وفي رجل اسمه رَحَى: رَحَوِيٌّ"^(٤). وقال معللاً ذلك "وإنما منعهم من

(١) المنصف، ١: ٢١٣. ونسب النحاس القراءة بالهمزة إلى نافع وعاصم وحمزة والكسائي مع تشديد القاف (أُقَّتَتْ)، وإلى عيسى بن عمر وخالد بن إلياس بتخفيف القاف (أُقَّتَتْ). أما على الأصل وهو الواو فقرأ أبو عمرو (وُقَّتَتْ) بتشديد القاف، وبدون تشديد قرأ الحسن وأبو جعفر (وُقَّتَتْ). انظر: أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد (ط٢). عالم الكتب/ بيروت، ١٩٨٥ م.

١١٥ : ٥

(٢) المنصف، ١: ٢١٣.

(٣) الكتاب، ٤: ٣٣٣.

(٤) الكتاب، ٣: ٣٤٢.

الياء إذا كانت مبدلة استثقلاً لإظهارها أنهم لم يكونوا ليظهروها إلى ما يستخفون، وإنما كانوا يظهرونها إلى توالي الياءات والحركات وكسرتها، فيصير قريباً من أميٍّ؛ فلم يكونوا ليردوا الياء إلى ما يستثقلون إذ كانت معتلة مبدلة فراراً مما يستثقلون قبل أن يضاف الاسم، فكرهوا أن يردوا حرفاً قد استثقلوه قبل أن يضيفوا إلى الاسم في الإضافة، إذ كان رده إلى بناء أثقل منه في الياءات وتوالي الحركات؛ وكسرة الياء، وتوالي الياءات ما يثقله، لأننا رأيناهم غيروا للكسرتين والياءين الاسم استثقلاً، فلما كانت الياءان والكسرة والياء فيما توالى حركاته ازدادوا استثقلاً^(١).

٤/٣ - قلب الياء وإبدالها

٤/٣ - أ: قلب الياء إلى واو

من أمثلة هذا؛ قلب الياء واواً في (حيوان)^(٢). قال المازني: "وكان الخليل يقول: (حيوان) قلبوا الياء واواً لئلا يجتمع ياءان استثقلاً للحرفين من جنس واحد يلتقيان، ولا أرى هذا شيئاً"^(٣)، وقد انتصر ابن جني لمذهب الخليل وردّ قول المازني^(٤). ومذهب المازني أنّ لفظ (حيوان) جاء على خلاف استعمالهم فليس ثمّ ما عينه ياء ولامه واو^(٥).

ونجد في النسب أن ياء الثلاثي المنقوص تقلب واواً فراراً من اجتماع الياءات، ومن أجل ذلك تغير حركة عينه من الكسرة إلى الفتحة؛ لأنه لا يمكن قلب الياء مع وجودها، ولا يمكن الإبقاء على الياء كراهية اجتماع التماثلات. قال سيبويه يمثل لهذه الظاهرة: "وإذا كانت الثالثة، وكان الحرف الذي قبل الياء مكسوراً، فإن الإضافة إلى ذلك الاسم تصيره كالمضاف إليه في الباب الذي فوقه (يعني

(١) الكتاب، ٣: ٣٤٢.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٩٨.

(٣) المنصف، ٢: ٢٨٥.

(٤) المنصف، ٢: ٢٨٥.

(٥) المنصف، ٢: ٢٨٥.

المقصور)، وذلك قولهم في عَمٍ: عَمَوِيٌّ، وفي رَدٍ: رَدَوِيٌّ، وقالوا كلهم في الشَّجِي: شَجَوِيٌّ^(١). والعلة حسب ما نفهم من قول سيبويه أنّ الأسماء الصحيحة التي على بناء (فَعَل) تتحول إلى بناء (فَعَل) أي تفتح عينها عند النسب، فكذلك الأسماء المعتلة مثل (عَم) يعدل بها من (فَعَل) إلى (فَعَل)؛ أي تفتح عينها هرباً من التقاء الكسرة والياءات، ولأن هذا هو القياس. ولما فتحت العين حال ذلك دون حذف الياء فلم يبق إلا أن يتخلص منها بقلبها إلى واو كراهة اجتماع الياءات، قال سيبويه: "وذلك لأنهم رأوا (فَعَل) بمنزلة (فَعَل) في غير المعتل، كراهية للكسرتين مع الياءين ومع توالي الحركات، فأقروا الياء وأبدلوا، وصيروا الاسم إلى فَعَلٍ، لأنها لم تكن لتثبت ولا تُبدل مع الكسرة، وأرادوا أن يجري مجرى نظيره من غير المعتل، فلما وجدوا الباب والقياس في فَعَلٍ أن يكون بمنزلة فَعَلٍ أقروا الياء على حالها وأبدلوا، إذ وجدوا فَعَلٍ قد اثنأبَّ أن يكون بمنزلة فَعَلٍ"^(٢).

ومن قلب الياء واوًا قلبها في الاسم الثلاثي عينه ولامه ياءان عند النسب إليه؛ وذلك خشية اجتماع الياءات. ومثال ذلك ما ورد في قول سيبويه: "وسألته عن الإضافة إلى حَيَّةٍ، فقال: حَيَوِيٌّ، كراهية أن تجتمع الياءات. والدليل على ذلك قول العرب في حَيَّةٍ بن بَهْدَلَةَ: حَيَوِيٌّ، وحركت الياء لأنه لا تكون الواو ثابتة وقبلها ياء ساكنة"^(٣).

ويظهر أن هذا إجراء اختياري لورود القول بإبقاء الياء، قال سيبويه: "ومن قال: أُمِّيُّ قال حَيِّيُّ. وكان أبو عمرو يقول: حَيِّيُّ وليِّي"^(٤).

ومن قلب الياء واوًا قلب الياء في مؤنث الاسم الثلاثي الشبيه بالصحيح عند النسبة إليه في قول بعض العرب، ويبين سيبويه ذلك في قوله: "فإذا كانت هاء التأنيث بعد هذه الياءات فإن فيه اختلافاً: فمن الناس من يقول في رَمِيَّةٍ: رَمِيِّيُّ، وفي ظَبِيَّةٍ: ظَبِيِّيُّ، وفي دُمِيَّةٍ: دُمِيِّيُّ، وفي فِتْيَةِ: فِتْيِيُّ وهو

(١) الكتاب، ٣: ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٤٣.

(٣) الكتاب، ٣: ٣٤٥.

(٤) الكتاب، ٣: ٣٤٥.

القياس"^(١). أما القول الثاني فهو الذي يتخلص فيه من الياء، قال: "وأما يونس فكان يقول في ظَبِيَّةٍ: ظَبَوِيٌّ وفي دُمِيَّةٍ: دُمَوِيٌّ، وفي فِتْيَةٍ: فِتْوِيٌّ"^(٢). وينقل سيبويه العلة عن أستاذه الخليل فيقول: "فقال الخليل: كأنهم شبهوها حيث دخلتها الهاء بفَعْلَةٍ؛ لأن اللفظ بفَعْلَةٍ إذا أسكنت العين وفَعْلَةٍ من بنات الياء سواء. يقول: لو بنيت فَعْلَةً من بنات الواو لصارت ياءً، فلو أسكنت العين على ذلك المعنى لثبتت ياءً ولم ترجع إلى الواو، فلما رأوها آخرها يشبه آخرها جعلوا إضافتها كإضافتها"^(٣)، وجعلوا دُمِيَّةً كفَعْلَةٍ، وجعلوا فِتْيَةً بمنزلة فَعْلَةٍ. هذا قول الخليل. وزعم أنّ الأول أقيسهما وأعربهما. ومثل هذا قولهم في حيٍّ من العرب يقال لهم: بنو زَيْتِيَّةٍ: زَيْتَوِيٌّ، وفي البَطِيَّةِ: بَطَوِيٌّ"^(٤).

ويجوز في النسب إلى ما لامه ياء قبلها ألف أن تقلب الياء واواً فراراً من اجتماع الياءات، نحو النسب إلى: ثَايِيَّةٍ، وآيِيَّةٍ، وطَايِيَّةٍ، ورَايِيَّةٍ، قال سيبويه: "ولو أبدلت مكان الياء الواو فقلت: ثَاوِيٌّ، وآوِيٌّ، وطَاوِيٌّ، ورَاوِيٌّ، جاز ذلك"^(٥). وقوله بالجواز يشعر بأن القلب إلى همزة مقدم على القلب إلى واو.

٤/٣ - ب: قلب الياء إلى همزة

تقلب ياء الاسم الذي لامه ياء قبلها ألف همزة عند النسب إليه فراراً من اجتماع الياءات، وذلك مثل النسب إلى: سِقَايِيَّةٍ، وصَلَايِيَّةٍ، وُفَايِيَّةٍ، تقول: سِقَائِيٌّ، وصَلَائِيٌّ، وُفَائِيٌّ"^(٦). ومثل ذلك ما جاء في قول سيبويه: "وسألته عن الإضافة إلى رَايِيَّةٍ وطَايِيَّةٍ وثَايِيَّةٍ، وآيِيَّةٍ، ونحو ذلك، فقال: أقول رَائِيٌّ، وطَائِيٌّ، وثَائِيٌّ، وآيِيٌّ. وإنما همزوا لاجتماع الياءات مع الألف، والألف تشبه بالياء، فصارت

(١) الكتاب، ٣: ٣٤٦.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٤٧.

(٣) الإضافة في استعمال سيبويه هنا النسب.

(٤) الكتاب، ٣: ٣٤٧.

(٥) الكتاب، ٣: ٣٥١.

(٦) الكتاب، ٣: ٣٤٨ - ٣٤٩.

قريباً مما يجتمع فيه أربع ياءات، فهمزوها استثقلاً، وأبدلوا مكانها همزة؛ لأنهم جعلوها بمنزلة الياء التي تبدل بعد الألف الزائدة؛ لأنهم كرهوها هاهنا كما كرهت ثم، وهي هنا بعد الألف كما كانت ثم، وذلك نحو ياء رداء^(١).

وهذا الإجراء اختياري؛ إذ إن هناك من يبقي على الياء، قال سيبويه: "ومن قال: أمييُّ قال: آبيُّ ورأييُّ بغير همز؛ لأن هذه لام غير معتلة، وهي أولى بذلك؛ لأنه ليس فيها أربع ياءات، ولأنها أقوى"^(٢).

٤/٣ - ج: قلب الياء ألفاً

من هذا أحد الأقوال في تفسير (آية)^(٣)، قال سيبويه: "وقال غيره: إنما هي آية. وأيُّ فعلٌ، ولكنهم قلبوا الياء وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما؛ لأنهما تکرهان كما تکره الواوان"^(٤).
ومن قلب الياء ألفاً ما ذكره سيبويه في قوله: "وكذلك: حَاحِيْتُ، وَعَاعِيْتُ، وَهَاهِيْتُ. ولكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء؛ فصارت كأنها هي"^(٥). وقال ابن جنِّي: "أصلها: (حِيحِيْتُ، وَعِيَعِيْتُ، وَهِيهِتُ) وهي من مضغف الياء. ونظيره: (قَوَقِيْتُ وَضَوَضِيْتُ) من مضاعف الواو؛ وإنما قلبوا الياء ألفاً لشبهها بها كما قال أبو عثمان، ولأنهم كرهوا تكرار الياءين وليس بينهما إلا حرف واحد"^(٦).

(١) الكتاب، ٣: ٣٥٠.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٥١.

(٣) اختلف في تفسير (آية) من الناحية الصرفية، ومن الأقوال في ذلك: قول الخليل: أن أصلها (آيَّة) فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. (الكتاب، ٤: ٣٩٨). وقول نسبة الجوهري لسيبويه: "قال سيبويه: موضع العين من آية واو؛ لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر مما موضع العين واللام منه ياءان، مثل شَوِيْتُ أكثر من باب حَيِّتُ. وتكون النسبة إليه أَوِيَّ" (الصحاح، مادة: أيا، ٦: ٢٢٧٥) وهذه النسبة فيها وهم، انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية)، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٧م. ص ٢٧٣-٣٠٩. وقول الفراء: هي على وزن (فَاعِلَةٌ) ولكن حذف منها اللام، الأصل: آيَّة؛ ولكنها خففت (الصحاح، مادة: أيا، ٦: ٢٢٧٥) وقول غير الخليل أنها (آيَّة) فقلبت ألفاً تجنب المتماثلات.

(٤) الكتاب، ٤: ٣٩٨.

(٥) الكتاب، ٤: ٣٩٣.

(٦) المنصف، ٢: ١٧٠.

٤/٣ - د: إبدال الياء شيئاً

ومن ذلك ؛ إبدال الياء في تصغير (عَشِيَّة) وقد ذكره الفارسيّ في قوله: "وأما عُشَيْشَةٌ فَإِنَّمَا كَانَ أَصْلُهَا عُشَيْيَّةٌ، فَكِرَهُ اجْتِمَاعُ الْيَاءَاتِ فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ شَيْئاً لِاجْتِمَاعِ الشَّيْنِ وَالْيَاءِ فِي الْمَخْرَجِ"^(١).

٥/٣ - قلب الكسرة فتحة

سنعد الحركات مما يقلب ؛ لأنها علل قصيرة فهي كالعلل الطويلة. ومن هذا القلب قلب كسرة عين الاسم في النسب إلى فتحة، ذكر هذا سيبويه في قوله: "وما جاء من فَعَلٍ بِمَنْزِلَةِ فَعَلٍ قَوْلُهُمْ فِي النَّعْرِ: نَمَرِيٌّ، وَفِي الْحَبَطَاتِ: حَبَطِيٌّ، وَفِي شَقْرَةَ: شَقْرِيٌّ، وَفِي سَلَمَةَ: سَلَمِيٌّ. وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: تَغْلِبِيٌّ أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ بِمَنْزِلَةِ تَفْعَلٍ، كَمَا جَعَلُوا فَعَلٍ^(٢) كَفَعَلٍ لِلْكَسْرَتَيْنِ مَعَ الْيَاءَيْنِ، إِذْ إِنَّ ذَا لَيْسَ بِالْقِيَاسِ اللَّازِمِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَغْيِيرٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ تَوَالِي ثَلَاثُ حَرَكَاتٍ"^(٣).

ولما كان هذا الأمر اختياريّاً غير لازم فإنه يروى الإبقاء على الكسرة، قال: "وقد سمعنا بعضهم يقول في الصَّعِقِ: صِعَقِيٌّ، يدعه على حاله، وكسّر الصاد؛ لأنه يقول: صِعِقٌ، والوجه الجيد فيه: صَعَقِيٌّ. وصِعَقِيٌّ جيد"^(٤).

٦/٣ - إبدال التاء شيئاً

من ذلك التخلص من التاء المضعفة حيث تجعل شيئاً، قال سيبويه: "وقال بعضهم اسْتَخَذَ فُلَانٌ أَرْضاً، يريد اتَّخَذَ أَرْضاً، كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في اتَّخَذَ، كما أبدلوا حيث كثرت في كلامهم

^(١) أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان الفارسيّ، المسائل البصريّات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط ١)، مطبعة المدني/ القاهرة، ١٩٨٥ م. ١: ٣٧٥. والياء والشين تخرجان في غار الفم.

^(٢) هكذا في نسخة بولاق وهارون ولا أعرف وجه منعها الصرف.

^(٣) الكتاب، ٣: ٣٤٣.

^(٤) الكتاب، ٣: ٣٤٣.

وكانتا تاءين ، فأبدلوا السين مكانها كما أبدلت التاء مكانها في سِتٌ^(١). وإنما فعل هذا كراهية التضعيف^(٢).

٧/٣ - إبدال السين تاءً

ويبين ذلك على نحو جلي سيبويه في كتابه حيث قال: "فمن ذلك ؛ سِتٌ. وإنما أصلها سِدُسٌ. وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم ، أن السين مضاعفة ، وليس بينهما حاجز قوي ، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين ، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا ، فتلثقي السينات. ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك ، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال ، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا. وذلك الحرف التاء ، كأنه قال سِدْتُ ، ثم أدغم الدال في التاء"^(٣).

ويفهم من قول سيبويه أنه من أجل التخلص من تماثل السينين المتباعدين تباعداً يمنع إدغامهما حدثت مماثلة تبادلية بين الدال والسين ؛ فأثرت السين المهموسة على الدال فحولتها إلى نظيرها المهموس وهو التاء ، وأثرت التاء على السين فجعلتها لثوية أسنانية ، وتجنب تحويل التاء إلى سين لأن ذلك يزيد السينات التي كان الغرض التخلص منها.

٨/٣ - إبدال اللام نوئاً

من ذلك (لعن) في (لعل)^(٤). قال ابن جني: "وأما قول الآخر:

(١) قال ابن جني مفسراً التغيرات الصوتية التي حدثت في كلمة (سِت): "وقد أبدلت التاء من السين لاماً ، وذلك في قولهم في العدد: (سِت) وأصلها: سِدُس لأنها من التسديس ، كما أن خمسة من التخميس ؛ ولذلك قالوا في تحقيرها: سُدَيْسَة ، ولكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التي قبلها ، وهي مع ذلك حرف مهموس ، كما أن السين مهموسة ، فصار التقدير: سِدْتُ ، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس ، ثم أدغمت التاء في التاء ، فصارت (سِت) كما ترى". انظر: أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق: حسن هندراوي (ط ١ ، دار القلم / دمشق ، ١٩٨٥ م). ١ : ١٥٥ .

(٢) الكتاب ، ٤ : ٤٨٣ .

(٣) الكتاب ، ٤ : ٤٨١ - ٤٨٢ .

(٤) أبو يوسف يعقوب بن السكيت ، كتاب الإبدال ، تحقيق: حسين محمد محمد شرف (مجمع اللغة العربية / القاهرة ، ١٩٧٨ م). ص ١١١ .

حَتَّى يَقُولُ الْجَهْلُ الْمُسْتَنْطَقُ لَعَنَّ هَذَا مَعَهُ مُعَلَّقٌ

أي: عَليقة، فإن النون فيه بدل من لام لَعَلَّ. ومثله قول أبي النجم:

أُغْدُ لَعَنَّا فِي الرَّهَانِ نُرْسِلُهُ

أي: لَعَنَّا^(١).

٩/٣ - إبدال النون لآماً

ومن ذلك (علوان) في (عنوان)، جاء في كتاب الإبدال عن الفراء: "هو وعنوان الكتاب، وعنوان"^(٢). ومن أمثلة ذلك في اللهجات المعاصرة قول أهل نجد: (فنجال) في (فنجان)^(٣).

١٠/٣ - إبدال أول المدغمين نوئاً

قال ابن السيد البطليوسي: "قد حكى اللغويون أن قوماً من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نوئاً، فيقولون: حَنْظٌ، يريدون حظاً، وإنجاص، وإنجانة. فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل، وهذه لغة لا ينبغي أن يلتفت إليها، فإن اللغة اليمنية فيها أشياء منكورة، خارجة عن المقاييس. وإنما ذكرنا هذا لنعلم أن لقول العامة مخرجاً على هذه اللغة فأما القُبْرَةَ بالنون فلغة فصيحة"^(٤). ولعل من هذه اللغة ما يذكره ابن السكيت في قوله: "وهي الأثرُجَّةُ. والأثرُجُّ لغة"^(٥).

وآثار هذه اللهجة مسموعة في الجزيرة العربية خاصة في جنوب عسير إذ يسمع من يقول سنكر في سكر وحنق في حق. وفي بلاد الشام يقولون: حنفر في حفر، وذكر الشيخ أحمد رضا أنهم

^(١) سر صناعة الإعراب، ٢: ٤٤٢ - ٤٤٣.

^(٢) ابن السكيت، الإبدال، ص ٦٧.

^(٣) صالحه راشد غنيم آل غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه: أصواتاً وبنية (ط١)، جامعة أم القرى / مكة المكرمة، ١٩٨٥ م. ص ٢٥١.

^(٤) أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٨٢ م). ٢: ١٨١.

^(٥) أبو يوسف يعقوب بن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون (ط٣)، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠ م.

يقولون: تحنك أي مال في جلوسه ورأى أنها من تحدل باللام التي أبدلت بعدد كافاً^(١). وفي مصر: سنكر الباب أي سكره^(٢). هنكر أي هكر أي تحير^(٣).

١١/٣ - إبدال أحد المضعفين ياءً

من ذلك؛ قلب الواو ياءً، وهو ما يذكره سيبويه في قوله: "وقال: ضوضيتُ، وقوقيتُ بمنزلة ضعضعتُ، ولكنهم أبدلوا الياء إذ كانت رابعة. وإذا كررت الحرفين فهما بمنزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان ههنا بمنزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان ههنا بمنزلة ياءي حيتُ وواوي قوّة، لأنك ضاعفت"^(٤).

ومنه أيضاً إبدال الهاء كما جاء في قول سيبويه: "كما أن دهديتُ هي فيما زعم الخليل دهدتُ بمنزلة دحرجتُ، ولكنه أبدل الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها، فأبدلت كما أبدلت من الياء في هذه"^(٥). ويعزى هذا الإبدال إلى تميم وقيس، أما الإبقاء على التماثل فهو لهجة الحجاز وأسد^(٦).

ومما يعده سيبويه شاذاً من هذا الإبدال ما يذكره في قول: "وذلك قولك: تسريتُ، وتظنيتُ، وتقصيتُ من القصة، وأملت، كما أن التاء في أسنتوا مبدلة من الواو، وأرادوا حرفاً أخفّ عليهم منها وأجلد، كما فعلوا ذلك في أتلج، وبدلها شاذها بمنزلتها في ست. وكل هذا؛ التضعيف فيه عربي كثير جيد"^(٧).

^(١) الشيخ أحمد رضا، قاموس رد العامي إلى الفصح (ط ٢، دار الرائد العربي/بيروت، ١٩٨١م) مادة: حنك، ص ١١٥.

^(٢) عبد المنعم سيد عبد العال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية (ط ٢، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ١٩٧٢م) سنكر.

^(٣) م.ن.: هنكر.

^(٤) الكتاب، ٤: ٣٩٣.

^(٥) الكتاب، ٤: ٣٩٣.

^(٦) صالحه آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

^(٧) الكتاب، ٤: ٤٢٤.

ويسوق الزمخشري أمثلة أخرى لهذه الظاهرة نذكر منها^(١): قَصَّيْتُ أظفاري، أي: قصصتها، ولا ورييك لا أفعل، أي: وربك، ولم يتسنن، أي: لم يتسنن، وتَقَضَّى البازي، أي: تَقَضَّضَ، ويأتعي، أي: يأتعم، وتَلَعَّيْتُ من اللعاعة، ومكأكي، أي: مكأكيك جمع مكوك. قال ابن يعيش: "فهما ياءان فالأولى بدل من واو مكوك صارت ياء في الجمع لانكسار ما قبلها والثانية بدل من الكاف للتضعيف"^(٢)، ودياج في جمع ديجوج. قال ابن يعيش: "وأصله دياجيج فكرهوا التضعيف فأبدلوا من الجيم الأخيرة ياء فاجتمعت مع الياء الأولى فخففوا بحذف إحدى الياءين فصار دياج من قبيل المنقوص"^(٣)، ومن ذلك: سادي، أي: سادس، الثالي، أي: الثالث.

ومن ذلك (حسيت) أي (حسست)، قال أبو حيان: "وأما حسست فقال أبو الطيب عبدالواحد اللغوي: الحجازي يقول في حَسَسْتُ: حَسَيْتُ. يعوض من السين ياءً، والتميمي لا يعوض، فيقول: حست"^(٤). وتنسب هذه اللهجة إلى هذيل أيضاً^(٥).

وقد يبلغ بهم كره التضعيف أن يبدل أحد المدغمين، مثال هذا ما ذكر سيبويه في قوله: "وقد تبدل من مكان الحرف المدغم نحو قيراط. ألا تراهم قالوا: قُرَيْرِيط، ودينار، ألا تراهم قالوا: دُنِينِير"^(٦). ومن ذلك؛ الألفاظ: ديوان، ودياج، وشيراز، وديماس؛ حيث قلبت الواو والباء والراء والميم إلى الياء فراراً من التضعيف^(٧).

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب (ط٢)، دار الجيل / بيروت، عن طبعة النعساني ١٣٢٣ هـ ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٢) موفق الدين أبوالبقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية/ القاهرة) ١٠ : ٢٦.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠ : ٢٦.

(٤) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس (ط١)، النسر الذهبي / القاهرة، ١٩٨٤ م. ١ : ١٢١.

(٥) عبدالجواد الطيب، من لغات العرب: لهجة هذيل (جامعة الفاتح / طرابلس) ص ١٣١.

(٦) الكتاب، ٤ : ٢٣٩.

(٧) المنصف، ٣٢ : ٢ - ٣٣.

ومن ذلك إبدال الياء من التاء الأولى في اتّصلت^(١). قال ابن يعيش: "وقالوا في اتّصلت (ايْتَصَلْتُ) أبدلوا من التاء الأولى ياء للعلة المذكورة، قال الشاعر:
قَامَ بِهَا يُنْشِدُ كُلُّ مُنْشِدٍ فَايْتَصَلْتُ بِمِثْلِ ضَوْءِ الْفَرْقَدِ
أراد اتّصلت فكره التضعيف"^(٢).

ومن هذا إبدال إحدى ميمي (أما)، قال الطوسي: "لغة العرب جميعاً بالتشديد، وكثير من بني عامر وتميم يقولونك أيما فلان ففعل الله به، وأنشد بعضهم:
مُبْتَلَةٌ هَيْفَاءُ أَيَّمَا وِشَاحُهَا فَيَجْرِي وَأَيَّمَا الْحِجْلُ مِنْهَا فَلَا يَجْرِي"^(٣).

وقد يكون الإبدال في المضعف الرباعي، إذ تبدل لامه الثانية ياءً. فقد ذكر المازني أن الخليل يذهب إلى أن (دَهْدَيْتُ) أصلها: (دَهْدَهْتُ)، وأيد قول الخليل بورود اللفظ بالهاء، فقد قال بعضهم: (دَهْدَهْتُ) على الأصل، وبأن العرب تبدل الهاء في (هذه) ياءً فيقولون (هذي)^(٤). وذكر الزمخشري من ذلك: صَهْصَيْتُ^(٥)، "في صَهْصَهْتُ إذا قلت: صَهْ صَهْ بمعنى اسكت فالياء بدل من الهاء كراهية التضعيف"^(٦).

وأود قبل الانتقال إلى الوسيلة الرابعة أن نورد رأي الباحثين اللغويين المحدثين في ظاهرة الإبدال هذه، وهم يتفقون على تسميتها بظاهرة (المخالفة Dissimilation) "وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"^(٧).

(١) الزمخشري، الفصل، ص ٣٦٤.

(٢) شرح الفصل، ١٠: ٢٦ - ٢٧.

(٣) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، تفسير البيان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (مكتبة الأمين/ النجف الأشرف) ١١٥: ١.

(٤) المنصف، ٢: ١٧٥.

(٥) الزمخشري، الفصل، ص ٣٦٤.

(٦) شرح الفصل، ١: ٢٦.

(٧) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية (ط ٥، مكتبة الأنجلو/ القاهرة، ١٩٧٥ م.) ص ٢١٠.

وأشار إبراهيم أنيس إلى أنّ العرب لم يولوا هذه الظاهرة ما تستحقه من اهتمام إذ الملاحظ أن كثيراً من الكلمات ذات التماثلين تماثلاً تاماً يتغير أحدهما إلى صوت لين طويل في الغالب أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين (ل، ن، م، ر)، خاصة اللام والنون^(١). ويعلل ذلك بأن فيه تيسيراً للمجهود العضلي وفقاً لنظرية السهولة التي مفادها أنّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل بالأصوات الصعبة في لغته الأصوات السهلة^(٢). ويذكر إبراهيم أنيس أنه جمع عشرات الأمثلة من كتب اللغة ومعجماتها، وهي أمثلة يشترك فيها معتل العين واللام في المعنى مع المضعف، ويذهب إلى أن الأصل، في الظاهر، هو التضعيف ثم سهل بعد^(٣).

ويرى غالب المطلبي أنّ المخالفة عند بني تميم - في ظنه - للتخلص من الفكّ، أي من وجود تماثلين غير مدغمين؛ لأن كراهة الفكّ خصيصة من خصائص اللهجة التميمية؛ إذ يغلب عليها المحافظة على المدغمين، فإن تعذر خالفت بينهما فأبدلت الثاني ياءً، أو تخلصت من أحدهما بالحذف. ويستعين الحجازيون بالمخالفة للتخلص من الإدغام، ويتضح هذا من ألفاظ جنح فيها التميميون إلى الإدغام وخالف الحجازيون بين التماثلين^(٤).

والتأمل لأمثلة هذه الظاهرة يرى أنها ليست سواء إذ منها ما خلف المضعفَ الثاني حرفاً مدّ. وليس هذا عندي من الإبدال؛ بل هو من قبيل حذف الصوت والتعويض عنه بمطل الحركة، مثل: يأتّم ← يأتّي، دنّار ← دينار، هذه ← هذي.

٤ - الحذف

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢١١.

(٢) الأصوات اللغوية، ص ٢١١.

(٣) الأصوات اللغوية، ص ٢١١_٢١٢.

(٤) غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (وزارة الثقافة/ بغداد، ١٩٧٨م)، ص ١١٧.

يكون الحذف وسيلة من وسائل التخلص من التماثلات حين لا يصح الإدغام، ولا التخفيف ولا الإعلال والإبدال؛ لما يحول دون ذلك من أسباب من مثل لزوم تحريك الحرف الأول، والتقاء ساكنين، أو كون التماثلات من الحروف التي لا تعلّ.

١/٤ - حذف الهمزة

يعرض هذا للهمزة في مضارع الفعل على بناء (أَفْعَلْ). قال سيبويه: "وزعم الخليل أنه كان القياس أن تثبت الهمزة في (يُفْعِلْ) و(يُفَعِّلْ) وأخواتهما كما ثبتت التاء في تَفَعَّلْتُ وَتَفَعَّلْتُ فِي كُلِّ حَالٍ، ولكنهم حذفوا الهمزة في باب أَفْعَلْ من هذا الموضع فاطّرد الحذف فيه؛ لأن الهمزة تثقل عليهم كما وصفت لك. وكثر هذا في كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه، كما اجتمعوا على حذف كُـلِّ وَتَرَى" (١). ويرى سيبويه أن هذا الحذف أجدر من الحذف في الفعلين (كُلْ) و(تَرَى)؛ لأن المحذوف هنا زيادة وهي همزة النقل وضم إليها زيادة هي حرف المضارعة (٢).

وبيان ذلك الحذف على هذا النحو:

أ(همزة المضارعة) + أَكْرَمَ (الفعل الماضي) ← أَكْرِمُ ← أَكْرِمُ = أَكْرِمُ (بعد الحذف)

وقد حذفت الهمزة عند إسناد الفعل إلى غير المتكلم وإن لم يكن ثمّ اجتماع همزتين ليكون الحذف مطّرداً: (يُكْرِمُ، تُكْرِمُ، نُكْرِمُ).

ومن حذف الهمزة حذفها من فعل الأمر من (أَكَلْ، وَأَخَذْ، وَأَمَرَ)، فيقال: كُـلْ، وَخُذْ، وَمُرْ؛ إذ لو لم تحذف الهمزة لاجتمعت همزتان: همزة الوصل وهمزة الفعل الساكنة (أَوْكُلْ، أَوْخُذْ،

(١) الكتاب، ٤: ٢٧٩.

(٢) الكتاب، ٤: ٢٧٩.

أُوْمُرُ^(١). ومن العرب من يتخلص بالقلب كما يظهر في المدخل (١/٣ - ج) من هذا البحث. واستمرّ هذا في لهجة الأردن اليوم حيث يقولون: أوكل، أوخذ، ويقولون في نجد اليوم: أوامر. وعندما تجتمع همزتان من كلمتين فقد يتخلص من الأولى بقلبها ألفاً أو يتخلص من الثانية بالحذف، مثال ذلك: (اقرأ آية)، وعلل سيويه ذلك بقوله: "لأنك خففت همزة متحركة قبلها حرف ساكن، فحذفتها وألقت حركتها على الساكن الذي قبلها"^(٢). ويضرب سيويه مثلاً آخر على التخلص من الهمزتين بحذف الثانية، وذلك هو (أقري أباك السلام). وينسب سيويه إلى أهل الحجاز أنهم يقولون: (أقري بك السلام). "لأنهم يخففونهما، فإنما قلت أقري ثم جئت بالأب فحذفت الهمزة وألقت الحركة على الياء"^(٣).

ومن قبيل حذف الهمزة حذفها في قراءة لابن كثير وابن محيصن والزهريّ حيث يقرؤون قوله تعالى ءَأَنْذَرْتَهُمْ [٦٦ - البقرة] بهمزة واحدة: (أَنْذَرْتَهُمْ)^(٤)، قال ابن جنّي: "هذا مما لا بد فيه أن يكون تقديره (أَنْذَرْتَهُمْ)، ثم حذفت همزة الاستفهام تخفيفاً لكرهية الهمزتين"^(٥).

٢/٤: حذف النون

^(١) ذهب داود عبده إلى أن في هذه الأفعال مجالاً لتطبيق قاعدتين صوتيتين إحداهما إقحام كسرة بين الهمزة وهمزة وصل مجتلبة، وأما الأخرى فهي التخلص من الهمزة الساكنة. وقد سبقت القاعدة الثانية الأولى فألغتها. انظر: ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية (معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ الخرطوم، أغسطس ١٩٨٢م). ع ١، ص ١١٧.

^(٢) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

^(٣) الكتاب، ٣: ٥٥٠.

^(٤) قرأ ابن كثير {أَنْذَرْتَهُمْ} بهمزة واحدة، وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بهمزتين {أَنْذَرْتَهُمْ}. انظر: أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني (مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٩٧٩م). ص ٨٦. وقرأ بهمزة واحدة ابن محيصن، وبهمزتين محقتين قرأ حمزة وعاصم والكسائي. انظر: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ط ٣، دار القلم/ القاهرة، ١٩٦٦م). ١: ١٨٥.

^(٥) أبو الفتح عثمان بن جنّي، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبدالخليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، ١٩٨٦م). ١: ٥٠.

٢/٤ - أ: حذف نون الرفع

حين يؤكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة يلتقي ثلاث نونات وهذا ما يتخلص منه، قال سيبويه: "وإذا كان فعلُ الاثنين مرفوعاً وأدخلت النون الثقيلة حذفت نون الاثنين لاجتماع النونات"^(١). وقال أيضاً: "وإذا كان فعلُ الجميع مرفوعاً ثم أدخلت النون فيه الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، وذلك قولك: لَتَفْعَلَنَّ ذاك وَلَتَذْهَبَنَّ؛ لأنه اجتمعت ثلاث نونات، فحذفوها استقلالاً. وتقول هل تَفْعَلَنَّ ذاك، تحذف نون الرفع لأنك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تحذف، وهم في ذا الموضع أشد استقلالاً للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا"^(٢).

ويشير سيبويه إلى موضع آخر من حذف نون الرفع، وذلك مع نون الوقاية، ولكن هذا الحذف هو طريقة لبعض القراء وليس أمراً مطّرداً بين العرب. قال: "بلغنا أن بعض القراء قرأ: أَتَحَاجُونِي [٨٠ - الأنعام] وكان يقرأ: فَبِمَ تُبَشِّرُونَ [٥٤ - الحجر]، وهي قراءة أهل المدينة؛ وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف"^(٣). قال ابن جنّي: "فحذف النون الأولى التي هي علم الرفع، كما يقول: (هو يُمَكِّنِي) فيحذف الضمة للتخفيف؛ كذلك يحذف النون للتخفيف، ولا يجوز أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأنها من الاسم المضمر ولا يمكن حذفها"^(٤).

٢/٤ - ب: حذف نون الوقاية

هناك موضع تحذف فيه نون الوقاية، قال ابن جنّي: "ومنهم من يحذف النون الآخرة إذا كانت قبلها النون التي ليست حرف الإعراب، فيقول: (أنتما تضرباني، وهم يقتلونني)، قال الشاعر:

أَبَا الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَ مَلَأَقٍ - لَا أَبَاكَ - تُخَوِّفِينِي

(١) الكتاب، ٣: ٥١٩.

(٢) الكتاب، ٣: ٥١٩.

(٣) الكتاب، ٣: ٥١٩ - ٥٢٠.

(٤) المنصف، ٢: ٣٣٨.

يريد: (تُخَوِّفِينِي)، فحذف الآخرة^(١). ومن شواهد سيويه على ذلك قول عمرو بن معديكرب:

تَرَاهُ كَالْتَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَّاتِ إِذَا فَلَّيْنِي

يريد: فَلَّيْنِي^(٢). قال ابن جنِّي: "فحذف النون الآخرة، كما حذفها من: (تُخَوِّفِينِي)، وكانت الآخرة أولى بذلك في (تُخَوِّفِينِي)؛ لأن الأولى علم الرفع، والثانية إنما جيء بها في الواحد ليسلم حرف الإعراب من الكسر^(٣)، ويقع الكسر عليها، فتركت في الجمع على حد ما كانت عليه في الواحد، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع بالكسر، ولم يمتنع من ذلك؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر. وأما (فَلَّيْنِي) فحذف الأولى منه أبعد في الجواز؛ لأنها علامة الأسماء المضمرة"^(٤).

ومن حذف نون الوقاية حذفها مع (إِنَّ وَأَخَوْتَهَا) قال سيويه: "فإن قلت: ما بال العرب قالت: إني، وكأني، ولعلي، ولكني؟ فإنه زعم أن هذه الحروف اجتمع فيها أنها كثيرة في كلامهم، وأنهم يستثقلون في كلامهم التضعيف، فلما كثر استعمالهم إيّاها مع تضعيف الحروف، حذفوا التي تلي الياء"^(٥).

ج: حذف نون (إِنَّ وَأَخَوْتَهَا)

(١) المنصف، ٢: ٣٣٧.

(٢) الكتاب، ٣: ٥٢٠.

(٣) الصواب من ناحية صوتية هو أن النون جيء بها لتفصل بين حركتين قصيرة هي الفتحة وطويلة هي ياء المد ولا تتوالى الحركات بخلاف الصوامت.

(٤) المنصف، ٢: ٣٣٨.

(٥) الكتاب، ٢: ٣٦٩.

قال ابن جنّي: "وقالوا: إنّ زيداً لمنطلق فحذفوا النون وأصله إنّ زيداً لمنطلق"^(١). قال ابن يعيش: "إلا أنهم حذفوا إحدى النونين كراهية التضعيف. وقد جاء الحذف في الحروف المضاعفة كثيراً، تخفيفاً، لتقل التضعيف، كما فعل ذلك في الاسم والفعل، من نحو (سُر، وضُر) و(رُب) في: رُبَّ و(إِنَّ) في: إنّ، و(كأن) في: كأنّ، و(لكن) في: لكنّ، ولذلك قال صاحب الكتاب: ولهذا نظائر"^(٢).

٣/٤: حذف تاء (استفعل)

من ذلك أحد تفسيري سيبويه لـ(استخذ)، قال: "وفيها قول آخر أن يكون استَفَعَلَ، فحذف التاء للتضعيف من استَخَذَ كما حذفوا لام ظَلَّتْ"^(٣).

٤/٤: حذف فاء الفعل بعد حرف المضارعة

٤/٤ - أ: حذف التاء بعد التاء

قد يجتمع في أول مضارع (تَفَاعَلَ، وَتَفَعَّلَ) تاءان، فيجوز الإبقاء عليهما أو التخلص من اجتماعهما، ويكون التخلص بحذف إحداهما أو بالإدغام، ولكن الحذف أكثر. والمحذوف عند سيبويه الثانية؛ لأن الثقل نشأ منها، ولأن حرف المضارعة زيدت لتكون علامة؛ والطارئ يزيل الثابت إذا كره اجتماعهما، ولأنها في قول سيبويه، التي تدغم في مثل (تَطِير). أما الكوفيون فيقولون بأن المحذوف هي الأولى^(٤).

وليس القول بكثرة الحذف دليلاً على أنه مقدم على الإدغام بل لأن الإدغام متعذر أو يتطلب اجتلاب همزة وصل.

^(١) أبو الفتح عثمان بن جنّي، التصريف الملوكي، عناية النعساني (ط ١)، مطبعة شركة التمدن / القاهرة) ص ٤٤.

^(٢) موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوه (ط ١)، المكتبة العربية / حلب، ١٩٧٣ م. ص ٤٢٥.

^(٣) الكتاب، ٤: ٤٨٤.

^(٤) شرح الشافية، ٣: ٢٩٠.

وأمثلة حذف التاء في القرآن كثيرة، ونذكر لذلك أمثلة نأخذها من المصحف الموافق رسمه قراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود. والقراءة بتاء واحدة هي قراءة الجمهور أيضاً؛ ولكنني سأنبه -في الحواشي- إلى الآيات التي وردت بقراءة تثبت التاءين. فمما جاء بحذف التاء منه قوله تعالى: **ذُ تَلَقَّوْنَهُ^(١) بِالسِّنْتِكُمْ [١٥- النور]**، و **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ^(٢) السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ [٢٥- الفرقان]**، و **(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [٣٣- الأحزاب]**، و **(وَلَا تَجَسَّسُوا) [١٢- الحجرات]**، و **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ [٦٥- الواقعة]**، و **وَإِنْ تَظَاهَرَا^(٣) عَلَيْهِ [٤- التحريم]**، و **تَكَادُ تَمَيِّزُ^(٤) مِنَ الْغَيْظِ [٨- الملك]**، و **إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ [٣٨- القلم]**، و **فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى [١٨- النازعات]** و **فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى [٦- عبس]**، و **فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى^(٥) [١٠- عبس]**، و **فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى^(٦) [١٤- الليل]**.

وحذف هذه التاء سمة نجدها في لغة هذيل، وقد ساق عبدالجواد الطيب شواهد عديدة لهذه الظاهرة من أشعار الهذليين^(٧).

(١) قرأ الجمهور تَلَقَّوْنَهُ بتاء واحدة، وقرأ تَلَقَّوْنَهُ بتاءين أبي وابن مسعود. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢: ٢٠٤.

(٢) قرأ عاصم والأعمش ويحيى وحزمة والكسائي وأبو عمرو تَشَقَّقُ بتخفيف الشين وأصله بتاءين فحذفوا الأولى تخفيفاً. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣: ٢٣.

(٣) قرأ تَظَاهَرَا بتاء وظاء خفيفة أبورجاء والحسن وعاصم ونافع، وقرأ تَتَظَاهَرَا بتاءين عكرمة على الأصل. انظر: أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة/ الرياض عن مطبعة السعادة/ القاهرة، ١٣٢٩ هـ) ٨: ٢٩١.

(٤) قرأ الجمهور تَمَيِّزُ بتاء واحدة وقرأ طلحة تَمَيِّزُ بتاءين. انظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٨: ٢٩٩.

(٥) قرأ الجمهور تَلَهَّى بتاء واحدة، وقرأ طلحة تَلَهَّى بتاءين. انظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٨: ٤٢٨.

(٦) قراءة الجمهور تَلَظَّى بتاء واحدة، وقرأها بتاءين تَلَظَّى جماعة منهم عمرو بن دينار. انظر: أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٧٢ م). ٣: ٢٧٢. وانظر: أحمد مختار عمر وعبدالعال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية (ط ١، جامعة الكويت/ الكويت، ١٩٨٥ م). ٨: ١٧٢ - ١٧٣.

(٧) لهجة هذيل، ص ١٥٥ - ١٥٧.

ومن ذلك حذف تاء (اَفْتَعَلَ: يَفْتَعِلُ)، ومثال ذلك ما ذكره سيبويه في الكتاب، قال سيبويه: "ومن الشاذ قولهم: تَقِيْتُ وهو يَتَقَى، وَيَتَسَع، لَمَّا كَانَتَا مِمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَكَانَتَا تَاءَيْنِ، حَذَفُوا الْعَيْنَ مِنَ الْمُضَاعَفِ نَحْو: أَحَسْتُ وَمَسْتُ. وَكَانُوا عَلَى هَذَا أَجْرًا؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ حَذْفٍ وَبَدَلٍ. وَالْمَحذُوفَةُ الَّتِي هِيَ مَكَانُ الْفَاءِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الَّتِي تَبْقَى مُتَحَرِّكَةٌ"^(١).

ويضاف إلى هذين الفعلين الفعل (يَتَّخِذُ) إذ قيل فيه (يَتَّخِذُ)^(٢). قال الرضي: "ولم يجئ الحذف في مواضع الثلاثة إلا في ماضي يَتَّقِي، يقال: تَقَى"^(٣).

وتنسب هذه الظاهرة إلى لهجتي تميم وأسد^(٤). ونسبها عبد الجواد الطيب إلى لهجة هذيل مستدلاً بظهورها في أشعارهم وقراءة ابن مسعود لقوله تعالى: لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ^(٥) عَلَيْهِ أَجْرًا [٧٧- الكهف]، وقد نصّ على نسبتها إلى هذيل أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة^(٦).

٤/٤ - ب: حذف النون بعد النون

وهذا الحذف ليس كسابقه فهو قليل؛ ولكنه ورد في قراءات، "ومن ذلك ما روى ابن كثير وأهل مكة: وَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ^(٧) [٢٥- الفرقان]، وكذلك روى خارجة عن أبي عمرو. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون محمولاً على أنه أراد: وَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ، إلا أنه حذف النون الثانية التي هي فاء نزل؛ لالتقاء النونين استخفافاً، وشبهها بما حذف من أحد المثليين الزائدين في نحو قولهم: أنتم

(١) الكتاب، ٤: ٤٨٣.

(٢) شرح الشافية، ٣: ٢٩٣.

(٣) شرح الشافية، ٣: ٢٩٣.

(٤) صاحبة آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص ٥٥٢ - ٥٥٣.

(٥) قرأ الجمهور لَاتَّخَذْتُ، وقرأ أبو عمرو لَتَّخَذْتُ وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١: ٣٢.

(٦) لهجة هذيل، ص ١٥٥.

(٧) قرأ أبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو وَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بضم النون وتشديد الزاي، أسقط النون من وَنَزَّلُ، وفي بعض المصاحف وَنَزَّلُ بالنون مضارع نزل مشدداً مبنياً للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده. انظر: البحر المحيط، ٦: ٤٩٤.

تَفَكَّرُونَ، وَتَطَهَّرُونَ، وَأَنْتَ تَرِيدُ: تَتَفَكَّرُونَ، وَتَتَطَهَّرُونَ، وَنَحْوَهُ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ: وَكَذَلِكَ نُجِّي^(١) الْمُؤْمِنِينَ [٨٨ - الأنبياء]، أَلَا تَرَاهُ يَرِيدُ: نُجِّي، فَحُذِفَ النُّونُ الثَّانِيَةُ وَإِنْ كَانَتْ أَصْلًا لَمَّا ذَكَرْنَا^(٢). وَنَسَبَتْ قِرَاءَةُ (نُجِّي) فِي (التصريح) إِلَى ابْنِ عَامِرٍ وَعَاصِمٍ، وَذَكَرَ أَنَّ أَصْلَهُمَا نُجِّي بِفَتْحِ النُّونِ الثَّانِيَةِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ الْمَكْسُورَةِ مَضَارِعَ نُجِّي فَحُذِفَتِ النُّونُ الثَّانِيَةُ وَيُرَى أَنَّ هَذَا ضَعِيفٌ لِعَدَمِ اطِّرَادِهِ فِي أَفْعَالٍ أُخْرَى الْفَاءِ مِنْهَا نُونٌ مِثْلَ (نَبَأٌ، وَنَزَلَ، وَنَقَى)، وَذَكَرَ تَخْرِيجًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْأَصْلَ نُجِّي بِسُكُونِ النُّونِ الثَّانِيَةِ وَأَنَّهَا أَدْغَمَتْ فِي الْجِيمِ، غَيْرَ أَنَّ إِدْغَامَ النُّونِ فِي الْجِيمِ بِكَادٍ لَا يَعْرِفُ إِذْ هِيَ تُخْفَى عِنْدَ الْجِيمِ لَا تَدْغَمُ، وَذَكَرَ قَوْلًا ثَالِثًا هُوَ أَنَّ الْفِعْلَ مَاضٍ مِنْ (نَجَا: يَنْجُو) ثُمَّ ضَعَفَتِ الْعَيْنُ وَبَنِيَ لِلْمَفْعُولِ وَأَسْنَدَ لَضَمِيرِ الْمَصْدَرِ وَضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ^(٣).

٥/٤ - حذف الواو:

يتحدث سيبويه عن الواو التي هي جزء من ضمير الجمع، فيذهب إلى أنك بالخيار إن شئت حذفت وإن شئت أثبت. ويفسر سبب الحذف بكثرة الاستعمال مع اجتماع الضميتين مع الواو، وأمثلة ذلك: عَلَيْكُمْو، أَنْتُمْو، أَبُوهُمُو، رُسُلُهُمُو. حيث تصير: عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ، أَبُوهُمُ، رُسُلُهُم^(٤).

٦/٤ - حذف الياء

٦/٤ - أ: حذف الياء من كلمات على بناء (فَعِيل)، وعينها ياء

قال سيبويه: "وأما قولهم: مَيْتٌ وَهَيْنٌ وَلَيْنٌ، فَإِنَّهُمْ يَحْذِفُونَ الْعَيْنَ كَمَا يَحْذِفُونَ الْهَمْزَةَ مِنْ هَائِرٍ، لِاسْتِقْطَالِهِمُ الْيَاءَاتِ"^(١). وَذَكَرَتْ صَالِحَةُ آلِ غَنِيمٍ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدْ ذَكَرُوا اللَّهْجَتَيْنِ دُونَ

^(١) قرأ الجمهور بنونين ثانيتهما مفتوحة وجيم مشددة نُجِّجٌ، وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم بتسكين النون وتخفيف الجيم نُجِّجٌ. انظر: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف (ط ١، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٧٢ م). ص ٣٣٠.

^(٢) ابن جنبي، المحتسب، ٢: ١٢٠ - ١٢١.

^(٣) خالد بن عبدالله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح (دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة) ٢: ٤٠١.

^(٤) الكتاب، ٤: ١٩١ - ١٩٢.

عزو إلى أهلها، ولذا فهي ترجح كون الحذف لقبائل بدوية واحتجت بأن بقايا هذه اللهجة تسمع إلى اليوم في لهجة (أهل القصيم) إذ يقولون: (مَيْت)، و(هَيْن)، و(لَيْن) ونحوها^(٢). والحق أن أهل القصيم لا يخفون من هذه الألفاظ سوى (ميت) أما بقية الألفاظ فهي مشددة في نطقهم. وليس من الصواب عدّ لهجة القصيم من اللهجات البدوية؛ إذ هي بيئة واحات زراعية ذات طابع مستقر، وليس في طريقتهم سرعة اللهجة البدوية التي تنزع إلى الحذف.

وإن يكن الحذف في هذه الألفاظ جائزاً لأنه سمة لهجية كما تبين، فإنه يكون في هذه الألفاظ وما ماثلها أمراً واجباً لما ينالها من الثقل. قال سيويه: "فمما جاء محذوفاً من نحو سَيْد، ومَيْت: هَيْنٌ، ومَيْتٌ، ولَيْنٌ، وطَيْبٌ، وطِيءٌ، فإذا أضفت لم يكن إلا الحذف، إذ كنت تحذف هذه الياء في غير الإضافة"^(٣).

٦/٤ - ب: حذف الياء بسبب النسب

ويفهم من عبارة سيويه السابقة أنّ الحذف اختياري مبعثه طلب الحفة بالتخلص من أحد المتماثلين؛ ولكنه يصير أمراً لازماً عند النسب إلى اللفظ؛ لأن المتماثلات تزيد. وقال سيويه ممثلاً لحذف الياء بسبب النسب إلى اللفظ: "وذلك نحو أُسَيْدٍ، وْحُمَيْرٍ، وُلَيْدٍ، فإذا أضفت إلى شيء من هذا تركت الياء الساكنة وحذفت المتحركة لتقارب الياءات مع الكسرة التي في الياء والتي في آخر الاسم، فلما كثرت الياءات وتقاربت وتوالت الكسرات التي في الياء والبدال استقلوه، فحذفوا، وكان المتحرك هو الذي يخففه عليهم؛ لأنهم لو حذفوا الساكن لكان ما يتوالى فيه من الحركات التي لا يكون حرف عليها مع تقارب الياءات والكسرتين في الثقل مثل أُسَيْدٍ، لكراهيتهم هذه المتحركات. فلم يكونوا ليفروا من الثقل إلى شيء هو في الثقل مثله وهو أقل في كلامهم منه، وهو أُسَيْدِيٌّ، وْحُمَيْرِيٌّ، وُلَيْدِيٌّ. وكذلك تقول العرب. وكذلك سَيْد ومَيْت

(١) الكتاب، ٤: ٣٦٦.

(٢) صالحه آل غنيم، اللهجات في الكتاب، ص ٥٥٦.

(٣) الكتاب، ٣: ٣٧١.

ونحوهما ؛ لأنهما ياءان مدغمة إحداهما في الأخرى ، يليها آخر الاسم. وهم مما يحذفون هذه الياءات في غير الإضافة. فإذا أضافوا فكثرت الياءات وعدد الحروف ألزموا أنفسهم أن يحذفوا"^(١).

ومن حذف الياءات بسبب النسب الذي يجلب ياءين ما نجده من حذف في الكلمات التي تنتهي بياء مشددة بعد ثلاثة حروف ، ومثال ذلك ما في قول سيبويه : "وإلى مَرْمِيٍّ : مَرْمِيٌّ تحذف الياءين وتثبت ياءي الإضافة. وإلى مَرْمِيَّةٍ مَرْمِيٍّ ، تحذف الياءين الأوليين"^(٢).

٦/٤ - ج : حذف الياء بسبب التصغير

تحذف الياء من مصغّر الممدود مثل (كساء) ، فهو عند التصغير (كُسيّ) وأصله : كُسيّ ؛ فحذفت الياء الأخيرة ؛ لاجتماع الياءات"^(٣). وتغيره على النحو الآتي :

كُسيّ - (فُعِيل) ← كُسيّ [عادت الواو لزوال علة الهمز] - (بالإعلال) ← كُسيّ
- (بالحذف) ← كُسيّ

وجعل ابن مالك ذلك قاعدة في قوله : "وتحذف أيضاً كل ياء تطرفت لفظاً أو تقديرًا بعد ياء مكسورة مدغم فيها أخرى"^(٤). وشرح ابن عقيل ذلك بقوله : "فاللفظ نحو : عُطيّ تصغير عطاء ، والأصل : عُطيّ ، والياء الأولى للتصغير والثانية المنقلبة عن الألف التي كانت في المكبر ، كما في غُزَيْل ، تصغير غزال ، والثالثة لام الكلمة التي هي واو أبدلت همزة في المكبر ، وصارت هنا ياءً ؛ لكسر ما قبلها لما صغّر ، فتحذف هذه الياء تخفيفاً ، وكان الحذف لها لتطرفها ، والأطراف محل التغيير.

(١) الكتاب ، ٣ : ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) الكتاب ، ٣ : ٣٤٦ .

(٣) المنصف ، ٢ : ٨٧ .

(٤) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق : محمد كامل بركات (ط ١) ، وزارة الثقافة / القاهرة ،

١٩٦٧ م) ص ٣٠٧ .

والتقدير نحو: سَفِيَّةٌ، تصغير سَفَايَةَ، والعمل فيه كما تقدم، لأنها تطرفت تقديرًا، لأن تاء التأنيث كالمنفصلة^(١).

٤/٦ - د: حذف الياء بسبب التثنية وجمع السلامة

من حذف الياء حذفها في مثل (ثُرَيَّا) عند تثنيها أو جمعها جمع سلامة إذ يقال: (ثُرَيَّان) وأصلها: ثُرَيَّان، و(ثُرَيَّات) وأصلها: ثُرَيَّات؛ فالقياس قلب ألف المقصور الرابعة ياء عند التثنية أو الجمع جمع سلامة، ولكن حذف تَجَنُّبًا لاجتماع ثلاث ياءات. قال عَبَّاسُ حَسَن: "وإذا قلبت الزائدة على الثلاثة ياء عند التثنية، وأدى قلبها إلى اجتماع ثلاث ياءات في آخر كلمة واحدة وجب حذف التي قبلها مباشرة؛ نحو: ثُرَيَّا وَثُرَيَّان؛ لكيلا يجتمع في الكلمة الواحدة ثلاثة أحرف من نوع واحد"^(٢). وقال في موضع آخر: "وإذا أدى جمع المقصور إلى اجتماع ثلاث ياءات كما في جمع: ثُرَيَّا على (ثُرَيَّات). وجب الاختصار على اثنتين فقط، فيقال: ثُرَيَّات بحذف الياء التي بعد ياء التصغير"^(٣).

٤/٦ - هـ: حذف الياء في بعض أمثلة المجموع

ومن حذف إحدى الياءين ما أورده سيويوه في قوله: "وقد كرهوا الياءين وليستا تليان الألف حتى حذفوا إحداهما فقالوا أُنَافٍ؛ وَمِعْطَاءٌ وَمِعَاطٍ"^(٤). ومما يخفف أيضًا (أَمْنِيٌّ) فيقال (أَمَانِيٌّ)، قال الأخفش: "وأما تثقيل (الأَمَانِيِّ) فلأن واحدها (أُمْنِيَّةٌ) مثقل، وكل ما كان واحده مثقلًا، مثل (بُخْتِيَّةٌ وَبَخَاتِيٌّ) فهو مثقل. وقد قرأ بعضهم^(٥): إِلَّا أَمَانِيٌّ [٧٨- البقرة] فخفف، وذلك جائز، لأن الجمع على غير واحده، وينقص منه ويزاد فيه"^(٦).

^(١) بهاء الدين بن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات (ط ١)، جامعة أم القرى/مكة المكرمة، ١٩٨٤م. ٤: ١٤٧.

^(٢) عباس حسن، النحو الوافي (ط ٢)، دار المعارف بمصر/ القاهرة، ١٩٦٨م. ٤: ٥٦٨.

^(٣) النحو الوافي، ٤: ٥٧٢.

^(٤) الكتاب، ٤: ٤١٦.

^(٥) قرأ الجمهور أَمَانِيٌّ بالتشديد، وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج أَمَانِيٌّ خفيفة الياء، حذفوا إحدى الياءين استخفافًا. انظر: القرطبي،

الجامع لأحكام القرآن، ٢: ٥.

^(٦) معاني القرآن، ١: ١١٧.

وإن يكن تخفيف (أَمَانِيّ) جائز فإن (أَثَافِيّ) بخلافها إذ تثقيلها هو الجائز، قال الأخفش: "فأما (أَثَافِيّ) فكلهم يخففها، وواحدتها (أُثْفِيَّةٌ) مثقلة، وإنما خففوها؛ لأنهم يستعملونها في الكلام والشعر كثيراً، وتثقيلها في القياس جائز. ومثل تخفيف (الأَمَانِيّ)، قولهم: مفتاح ومفاتيح، وفي (مِعْطَاءٍ): مِعَاطٍ. قال الأخفش: قد سمعت بلعنبر تقول: صَحَارِيّ، وَمَعَاطِيّ، فتثقل"^(١).
وتعلل صاحبة آل غنيم حرص هؤلاء على التشديد بأنه مظهر من مظاهر التزامهم النبر على المقطع الأخير"^(٢).

٦/٤ - و: حذف الياء من الضمير

يتحدث سيويوه عن الياء التي هي جزء من ضمير الجمع فيذهب إلى أنك بالخيار إن شئت حذفته وإن شئت أثبت. ويفسر سبب الحذف بكثرة الاستعمال مع اجتماع الكسرتين مع الياء، ومثاله: لَدَيْهِمِي، بِهِمِي: فتصير: لَدَيْهِمْ، بِهِمْ"^(٣).

٦/٤ - ز: حذف الياء من بعض تصاريف مادة (ح/ي/ي)

من الحذف ما نجده في الفعل (استحيا) الذي اختلف في سبب حذف الياء منه؛ فذهب الخليل إلى أنه تجنب التقاء الساكنين"^(٤)؛ جاء في الكتاب: "وكذلك اسْتَحَيْتُ أسكنوا الياء الأولى منها كما سكنت في بَعْتُ، وسكنت الثانية؛ لأنها لام الفعل، فحذفت الأولى لثلاثي ساكنان. وإنما فعلوا هذا حيث كثر في كلامهم. وقال غيره [غير الخليل]: لما كثرت في كلامهم وكانتا ياءين حذفوها وألقوا حركتها على الحاء، كما ألزموا يَرَى الحذف، وكما قالوا: لم يَكُ ولا أَدْرُ"^(٥). وهذا مذهب يذهب

^(١) معاني القرآن ١: ١١٧ - ١١٨.

^(٢) اللهجات في الكتاب، ص ٥٦٦.

^(٣) الكتاب، ٤: ١٩١ - ١٩٢.

^(٤) صرح ابن جني بنسبة هذا القول إلى الخليل. انظر: المنصف، ٢: ٢٠٥.

^(٥) الكتاب، ٤: ٣٩٩.

إليه الأَخْفَش^(١). وردّ المازنيّ حذفها لالتقاء الساكنين محتجاً بأنها لا تردّ عند زواله. وقال: "وكذلك (اسْتَحَيْتُ) حذفوا الياء التي هي عين الفعل، وألقوا حركتها على الحاء، ولم تحذف لالتقاء الساكنين"^(٢). أما العلة عنده فنجدها في قوله: "ولكن هذا حذف لكثرة الاستعمال كما قالوا في أشياء كثيرة بالحذف، مثل: أَحَسْتُ، وظَلْتُ، ومِسْتُ"^(٣).

أما الفارسيّ فإنه يبحث أمر هذا الحذف في الفعل على نحو عميق فيه محاولة لبيان وسائل التخلص من التماثلات وبيان لبعض موانع تطبيقها. قال: "إن المثلين والمتقاربين إذا اجتمعا خفف (كذا) بأحد ثلاثة أشياء: بالإدغام نحو: رَدٌّ، وشَدٌّ، وحَيَّةٌ، وقُوَّةٌ. أو الإبدال، نحو: أَمَلَيْتُ في أَمَلْتُ، ودَوَائِبُ في جمع دَوَابَّةٍ. فأما الحذف فهو على وجهين: أحدهما أن يحذف الحرف مع جواز الإدغام وإمكانه، نحو قولهم: بَخٌّ في بَخَّ. والآخر أن يحذف، لامتناع الإدغام لسكون الحرف المدغم فيه، ولزوم ذلك له، كقولهم: عُلَمَاءُ بنو فلان، وبلحارث، أو لما يلزم من تحريك حرف غير مدغم فيه يلزمه السكون كقولهم: يَسْطِيعُ وحذفهم التاء لما كان يلزم من تحريك السين في (استفعال) لو أدغمت في مقاربه، وقولهم: اسْتَحَيْتُ، مما حذف لامتناع جواز الحركة في المدغم فيه"^(٤).

ويمكن عدّ الحذف في الفعل (استحيا) أمراً اختيارياً؛ لأن الذكر والحذف مظهران لهجيان، قال الأَخْفَش: "ف(يَسْتَحِيي)؛ لغة أهل الحجاز بياءين، وبنو تميم يقولون (يَسْتَحِي) بياء واحدة"^(٥). ومن حذف الياء حذفها من مصدر (فَعَلْتُ) للمعتل مثل (حَيَّيْتَهُ) فمصدره (تَحْيِيَّةٌ)، بحذف الياء؛ قال ابن جنّي: "وكان أصل هذا المصدر أن يقال فيه: (حَيَّيْتُهُ تَحْيِيًّا)؛ ولكنه كره فيه الياءات والكسرة فعدل إلى (تَفْعِلَةٌ)"^(٦). ومن حذف الياء حذفها من مضارع المثال اليائي، قال

(١) معاني القرآن، ١: ٥٢.

(٢) المنصف، ٢: ٢٠٤.

(٣) المنصف، ٢: ٢٠٤.

(٤) البغداديات، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٥) معاني القرآن، ١: ٥٢.

(٦) المنصف، ٢: ١٩٥.

سيبويه: "وزعموا أن بعض العرب يقول: يئسَ يئسُ فاعلم، فحذفوا الياء من يَفْعَلُ لاستثقال الياءات ههنا مع الكسرات، فحذف كما حذف الواو"^(١).

٧/٤: حذف أحد المضعفين

٧/٤ - أ: حذف أحد المضعفين شذوذاً

عقد سيبويه باباً لما حذف من أحد المضعفين شذوذاً للتخلص من اجتماع التماثلين، قال: "وذلك قولهم: أَحَسْتُ، يريدون أَحَسَسْتُ. وَأَحَسَنَ، يريدون أَحَسَسَنَ. وكذلك تفعل به في كل بناء تبني اللام من الفعل فيه على السكون ولا تصل عليها الحركة، شبهوها بأقمت؛ لأنهم أسكنوا الأولى، فلم تكن لتثبت والآخرة ساكنة. فإذا قلت لم أَحَسَّ لم تحذف؛ لأن اللام في موضع قد تدخله الحركة، ولم يبن على سكون لا تناله الحركة، فهم لا يكرهون تحريكها. ألا ترى أن الذين يقولون رَدَدْتُ أثبتوا الأولى؛ لأنه قد صار بمنزلة تحريك الإعراب إذا أدرك نحو يَقُولُ وَيَبِيعُ"^(٢).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله: "وإذا كان في موضع احتملون فيه التضعيف لكرهية التحريك، حذفوا لأنه لا يلتقي ساكنان. ومثل ذلك قولهم: ظَلْتُ وَمَسْتُ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء، كما قالوا: خَفْتُ. وليس هذا النحو إلا شاذاً. والأصل في هذا عربي كثير. وذلك قولك: أَحَسَسْتُ، وَمَسَسْتُ، وظللتُ"^(٣). وقال في موضع آخر: "ومن الشاذ قولهم: أَحَسْتُ، وَمَسْتُ، وظللتُ، لما أكثر في كلامهم كرهوا التضعيف، وكرهوا تحريك هذا الحرف الذي لا تصل إليه الحركة في (فَعَلْتُ وَفَعَلْنَ) الذي هو غير مضعف"^(٤).

(١) الكتاب، ٤: ٥٤.

(٢) الكتاب، ٤: ٤٢١ - ٤٢٢.

(٣) الكتاب، ٤: ٤٢٢.

(٤) الكتاب، ٤: ٤٨٢ - ٤٨٣.

ويفهم من نصّ سيوييه السابق أنّ هناك أولويات في المكروهات فكراهة المتحركات قبل كراهة التضعيف؛ ولذا جرى الحذف على النحو الذي وصفه، ولم يتخلص بالإدغام لأن شرطه التحريك، وهو متعذر في هذا الموضع.

ونسب أبو حيان إلى الشلوينيي الزعم باطراد الحذف في الثلاثيّ المضعّف^(١). ونقل عن ابن مالك أنه يجوز في لغة سليم حذف عين الثلاثيّ المضعّف^(٢)، وربما فعل ذلك بالأمر والمضارع^(٣). وقد ذكر أبو حيان أمثلة لذلك اللون من الحذف؛ فمن الماضي (هَمْتُ) في (هَمَمْتُ)، والأمر (قَرَنْ) من قوله تعالى: وَقَرَنْ^(٤) فِي بُيُوتِكُنَّ [٣٣- الأحزاب]، أما المضارع فممنه (يَنْحَطُنَ) في (يَنْحَطُنَ)^(٥).

والظاهر أن هذا النوع من التخلص أمر لهجي، وقد سبق أن مرّ بنا أنّ الحجاز أبدلت السين من (حَسِسْتُ)، أما تميم فإنها تحذف. ونخلص من هذا إلى أن أمر الحذف أو الإبدال في هذه الأمثلة أمر اختياري غير واجب.

وقد يحذف أحد المثلين وإن يك أحدهما فاءً والآخر لاماً، قال ابن جنّي: "قالوا: حِرٌّ، وأصله: حِرْحٌ، تقول في تحفيره: حُرَيْحٌ، وفي تكسيره: أَحْرَاحٌ، قال الراجز:

إِنِّي أَقُودُ جَمَلًا مِمْرَاحًا ذَا قِبَّةٍ مَمْلُوءَةٍ أَحْرَاحًا"^(٦).

قال ابن يعيش: "اعلم أنه اجتمع في هذه الكلمة أسباب سوغت حذف اللام. منها استثقالهم باب (سَلَسَ وَقَلِقَ)، ومنها أنّ الحاجز بين المثلين غير حصين، لسكونه، فصار كالمضاعف. ومنها أنّ حروف الحلق مستثقلة"^(٧).

(١) ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

(٢) ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

(٣) ابن مالك، التسهيل، ص ٣١٤.

(٤) قرأ الجمهور وَقَرَنْ، وقرأ عاصم ونافع وَقَرَنْ، كلهم براء واحدة، وقرأ ابن أبي عبلة وَأَقَرَرَنْ بهمزة وصل وراءين. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤: ١٧٨ - ١٧٩.

(٥) ارتشاف الضرب، ١: ١٢١.

(٦) التصريف الملوكي، ص ٤٤.

وعلى نحو ما دفعت كراهية اجتماع المثلين إلى إبدال أحدهما وإن كانا مدغمين؛ فإنها دعتهم إلى الحذف وإن كان المثلان مدغمين أصلاً. ومن ذلك ما أورده ابن جنّي في (التصريف الملوكي)، قال: "قالوا: رُبَ رجلٍ رأيتُ. يريدون: رُبٌ"^(٢). قال ابن يعيش: "فيخففون الباء، كراهية التضعيف، كما خففوا (إنَّ) على ما تقدم"^(٣). وهذه ظاهرة ينسبها عبدالجواد الطيّب إلى لهجة هذيل لوجودها في أشعارهم وفي قراءة تنتهي إلى ابن مسعود^(٤).

ومن أمثلة هذا الحذف أنّهم "قالوا: بَخَّ بَخَّ، وأصله: بَخَّ بَخَّ"^(٥). قال ابن يعيش: "وقد تحذف إحدى الخاءين تخفيفاً؛ لأجل التضعيف، فيقال (بَخَّ بَخَّ) ساكنة الآخر على أصل البناء؛ لأنه لما زال الساكن الثاني عادت إلى أصلها وهو السكون؛ لأنَّ الحركة في المبنيّ عارض. قال أعشى همدان:

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخُ بَخَّ بَخَّ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ"^(٦)

ومن ذلك أنّهم "قالوا في التضجر: أْفُ، خفيفة، وأصلها التشديد"^(٧)، و"قالوا: قَطُّ، وأصله من قَطَطْتُ أي قطعت"^(٨). قال ابن يعيش: "ومن حذف الفاء فتخفيفاً من ثقل التضعيف"^(٩)، أما (قَطُّ)

^(١) شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٣٢.

^(٢) التصريف الملوكي، ص ٤٤.

^(٣) شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٢٨.

^(٤) لهجة هذيل، ص ١٥٢ - ١٥٣. اختلف القراء في تشديد الباء من (رُبِّما) في قوله تعالى رُبِّمًا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا [٢١ - الحجر] فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي رُبِّمًا مشددة، وقرأ عاصم ونافع رُبِّمًا خفيفة. انظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٣٦٦.

^(٥) التصريف الملوكي، ص ٤٤.

^(٦) شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

^(٧) التصريف الملوكي، ص ٤٥.

^(٨) التصريف الملوكي، ص ٤٥.

^(٩) شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٣٨.

فإنه "غلب فيها التخفيف الأصل، لكثرة استعمالها، وحملًا على نظيرها وهو (قَدَ)، تقول: قَدَكَ درهمان، كما تقول: قَطَكَ درهمان"^(١).

٤/٧- ب: حذف أحد المضعفين في ضرورة الشعر

لعله يجوز أن يُعدَّ من التخلص من التماثلات ما يُضطر إليه الشاعر من حذف أحد المدغمين للوصول إلى الخفة بالسكون وكان طلب الخفة وراء جمهرة التخلص من التماثلات، ويبين السيرافي "أنَّ الشاعر يحذف ما لا يجوز حذفه في الكلام، لتقويم الشعر كما يزيد لتقويمه. فمن ذلك ما يحذفه من القوافي الموقوفة من تخفيف المشدد، كقول امرئ القيس، أو غيره:

لا وأبيك ابنة العامريِّ (م) لا يدعي القومُ أنني أفرُّ

وكقول طرفة:

أصحوّت اليومَ أمّ شأقتك هِرُّ وَمِنَ الحُبِّ جُنُنٌ مُسْتَعِرُّ

فأكثر الإنشاد في هذا حذف أحد الحرفين، لتتشاكل أواخر الأبيات، ويكون على وزن واحد... فهو مضطرٌّ إلى حذف أحد الحرفين، لاستواء الوزن، ومطابقة البيت لسائر أبيات القصيدة، ألا تراه يقول بعد هذا:

تيمُّ بنُ مُرٍّ وأشياغها وكندةٌ حولي جميعًا صبرٌ^(٢).

ويذكر ابن عصفور شواهد أخرى على هذا التخفيف^(٣)، ويبين أن هذا يستوي فيه الصحيح

والمعتل. ويمثل لتخفيف المعتلّ قال: "ومن التخفيف في المعتلّ:

حتّى إذا ما لم أجِدْ إلاّ السريِّ كُنْتُ امرءًا من مالكِ بنِ جَعْفَرِ

^(١) شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٤١.

^(٢) أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق: رمضان عبدالنواب (ط ١)، دار النهضة العربية/ بيروت، ١٩٨٥م. ص ٧٩-٨٠.

^(٣) أبوالحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد (ط ١)، دار الأندلس/ بيروت، ١٩٨٠م (ص ١٣٣).

يريد: السَّرِيِّ. وقول امرأة من بني عقيل:

حَيْدَةُ خَالِي وَلَقَيْتُ وَعَلِيَّ وَحَاتِمُ الطَّائِي وَهَابُ المِيَّي

تريد: وعليُّ. وقول عمران بن حطان:

يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِيًّا فَعَدْنَانِي

يريد: فَعَدْنَانِي. وقول العجاج:

أَدْرَكْتُهَا قَدَامَ كُلِّ مِدْرَهٍ بِالدَّفْعِ عَنِّي دَرَاءُ كُلِّ عُنْجُهِي

يريد: درء كلِّ عُنْجُهِي. وقول الآخر:

عَدْرْتُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكََا فَمَا لَكَ يَا عَوْرَاءُ وَالهَمْلَانِي

يريد: والدمع الهملاني، فحذف الموصوف وخفف^(١).

ولعل الرغبة في التخلص من التماثلات ما دعاهم في ضرورة الشعر إلى حذف أحد المدغمين

وحذف ما بعده؛ قال السيرافي: "ومن ذلك: تخفيف المشدّد وتسكينه، مع حذف حرف بعده،

كقولهم في (مُعَلَّى): مُعَلُّ، وفي (عَنِّي): عَنُّ.

قال الشاعر وهو الأعشى:

لَعَمْرُكَ مَا طَوَّلُ هَذَا الزَّمَنُ عَلَى المَرءِ إِلَّا عَنَاءُ مُعَنُّ

أراد: مُعَنِّي، فحذف الياء وإحدى النونين.

وقال أيضاً في هذه القصيدة:

وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَثَارَاتُهُ فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ قَدْ زَالَ عَنُّ

يريد: عَنِّي.

وقال لبّيد:

(١) ابن عصفور، ضرائر الشعر، ص ١٢٢ - ١٣٤.

وَقَيْلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ وَرَهْطُ ابْنِ الْمَعْلِ

أراد: المَعْلَى.

وأول هذه القصيدة:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَيَأْذِنُ اللَّهُ رَبِّي وَعَجَلٌ

وإذا كان ما ذكرنا من الحذف جائزاً، فحذفهم ياء المتكلم، وتسكن ما قبلها أجوز^(١)، كما قال لبيد في البيت الذي أنشدته (رَبِّي وَعَجَلٌ) أراد: عَجَلِي^(٢).

وإن تكن الشواهد السابقة تمثل التخلص من اجتماع متماثلين لكون القافية مقيّدة فإن هذه النزوع للتخلص من المتماثلات نشهده في قوافٍ مطلقة، قال السيرافي: "وقد يحذفون أيضاً من القصائد المطلقة، على إنشاد من ينشدها بالوقف، الحذف الذي ذكرنا في المقيّد. قال النابغة:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْ

أراد: مَنِي. والقصيدة مطلقة، وإنما هذا إنشاد بعضهم^(٣).

٤/٧- ج: حذف أحد المضعفين في لغة المثقفين المحدثين

هذا المدخل متصل اتصالاً وثيقاً بسابقه، إذ ينبغي هنا أن نلاحظ أن التخفيف في المعتل يختلف عن التخفيف في الصحيح لما قد ينال المعتل من المطل لتعويض الحذف. ولعل تخفيف المعتل أكثر أشيع

(١) لعله يقول هذا لموافقة هذه الظاهرة لهجة عربية تحذف ياء المتكلم. والحق أن ليس في هذا شاهد على الضرورة الشعرية؛ ولذلك قال البغدادي تعليقاً على قول النابغة: "وعد بيت النابغة من الضرورة غير جيد" (شرح شواهد الشافية، ٤: ٢٠٩)، ثم ساق قول سيبويه في ظاهرة حذف ياء المتكلم، ثم قول الأعمش في شرحه بيت النابغة: "وهو جائز في الكلام، كما قرئ في الوقف أَكْرَمَنْ، و أَهَائِنْ" (شرح شواهد الشافية، ص ٢١٠)، وانظر في القراءة بالياء وبحذفها: السبعة في القراءات، ص ٦٨٤. والقول إنه لا شاهد في هذه الأشعار يعتمد على أنها جاءت موافقة لهجة عربية قديمة تقابل لهجة الحجاز التي بقي على ياء المتكلم. وتنسب هذه اللهجة إلى هذيل، وما تزال هذه الظاهرة مسموعة في لهجة معاصرة هي لهجة القصيم في نجد. (انظر: أبوأوس إبراهيم الشمسان، مساحة لغوية، نادي المدينة المنورة، كتاب العقيق، ع ٢، ٢٠٠٠م، ص ١٩-٢٠). وهذا يدعو إلى القول إنها ليست مقصورة على هذيل فلعلها كانت شائعة في بعض القبائل البدوية للملاءمتها ما تعودوا عليه من السرعة في النطق. (اللهجات في الكتاب، ص ٣٧١-٣٧٢). ودليل هذا الشيوخ هذه الأشعار التي رويت عن شعراء قبائل مختلفة.

(٢) ضرورة الشعر، ص ٨١-٨٢.

(٣) ضرورة الشعر، ص ٨٢.

لما نجده مطرداً في لغة المثقفين المحدثين، المتأثرة بلهجاتها العربية^(١)، من تخفيف للياء أو الواو المشددتين آخر الكلمة؛ وذلك لغلبة تسكين الكلمات وهو أمر يذهب بالإدغام آخر اللفظ، ويضاف إلى هذا السبب سبب آخر هو انتقال النبر إلى المقطع الأول من اللفظ؛ لذا نجد الكلمات مثل: (عَلِيّ، كُرْسِيّ، نَجْدِيّ، مِصْرِيّ، عَدُوّ) صارت تُنطق بلا تشديد: (عَلِي، كُرْسِي، نَجْدِي، مِصْرِي، عَدُو).

وليس حذف إحدى الياءين مقصوراً على المتطرفة بل إنهم يحذفون في بعض الكلمات التي يحسون فيها طولاً ومن أشهر تلك الكلمات: (أُمْسِيَّة) حيث يلفظونها بياء غير مشددة (أُمْسِيَّة). وقد عدّها العدنانيّ من الأخطاء الشائعة^(٢). ومثلها نطقهم لاسم (ابن تَيْمِيَّة) بياء غير مشددة: (ابن تَيْمِيَّة). و(أُغْنِيَّة): أُغْنِيَّة، و(أُحْجِيَّة): أُحْجِيَّة، و(أُمْنِيَّة): أُمْنِيَّة.

ومما يخففونه بحذف إحدى نونيه (الأُرْدُنُّ) فيقولون: الأُرْدُنُّ. ولعل هذا التخفيف قديم؛ إذ نبّه إلى خطئه ابن السكيت، قال: "وتقول: هو الأُرْدُنُّ، بالثقل وضم الهمزة، ولا تقل الأُرْدُنُّ"^(٣).

٨/٤ - حذف اللامات

قد يعرض الحذف للام الجر ولام التعريف على نحو ما نجد في قول سيويوه يفسر (لَاهِ أَبُوكَ): "حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى، ليخففوا الحرف على اللسان، وذلك ينون"^(٤).

٩/٤ - حذف الحركة

^(١) يحذف أحد المضعفين في لهجة القصيم المعاصرة إذا دخلت (ال) التعريف على الأسماء المنتهية بحرف مضعّف إذ إن النبر يكون على أول اللفظ فيضعف الحرف المشدد فيحذف أحد المضعفين، مثال ذلك: الْفَنَّ ← الْفَنُّ، الْبَرَّ ← الْبَرُّ، الْبِسَّ ← الْبِسُّ، الْمَرَّ ← الْمَرُّ. وجاء في المثل الشعبي (قَالَ وَشْ حَدَاكَ عَلَى الْغُرِّ قَالَ أَلِّي أَمَرُّ مِنْهُ) ومن ذلك (الْحَرُّ، الشَّرُّ، الْحَبُّ، الذَّرُّ، الْهَمُّ، الْحَجُّ، الرَّدُّ، الْجَدُّ، الْخَدُّ، الْبَهْرُ، الشَّبُّ، السَّدُّ، الْحَيُّ، الْعَدُوُّ، الشُّكُّ، السَّبُّ، الْبَقُّ، الصَّفُّ، الْجَنْ، السَّمُّ، الْكُرُّ، الْعَمُّ، الْكَدُّ).

^(٢) محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة (مكتبة لبنان/ بيروت، ١٩٧٣ م). ص ٢٣٦.

^(٣) إصلاح المنطق، ص ١٧٨.

^(٤) الكتاب، ٣: ٤٩٨.

حين تتوالى أكثر من ثلاثة أحرف متحركة تحذف منها حركة، قال سيبويه: "ولو فعلوا ذلك لاجتمعت في كلامهم أربع متحركات ليس معهن ساكن، نحو: رُسُلُكُمْ. وهم يكرهون هذا. ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحرك كله"^(١). وقال في موضع آخر: "لأنه ليس حرف في الكلام تتوالى فيه أربع متحركات"^(٢). وقال في موضع آخر: "ألا ترى أن بنات الخمسة وما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة استقلالاً للمتحركات مع هذه العدة، ولا بد من ساكن. وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل (عَلْبَطٍ)، ولا يكون في غير المحذوف"^(٣).

وقد تحذف ثمانية الضميتين أو الكسرتين المتواليتين، لكرهية هذا النوع من التماثل، ويسمى هذا تخفيفاً عند سيبويه، قال: "وإذا تتابعت الضميتان فإن هؤلاء يخففون أيضاً، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضميتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضميتان؛ لأن الضمة من الواو. وذلك: الرُّسُلُ، والطُّنْبُ، والعُنُقُ، تريد: الرُّسُلُ، والطُّنْبُ، والعُنُقُ. وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان. وذلك في قولك في إِبِلٍ: إِبِلٌ"^(٤).

ولما بين الضمة والواو من تماثل نجد أنّ الواو متى اكتنفت بضميتين وجب تسكين الواو بحذف الضمة. قال المازني: "وأما (فُعَل) من الواو فإنها تسكن عينها لاجتماع الضميتين والواو فجعلوا الإسكان فيها نظير الهمزة في (أَدُورٌ، وَقَوُولٌ)، وذلك قولهم (نَوَارٌ، وَنُورٌ، وَعَوَارٌ، وَعُورٌ، وَعَوَانٌ، وَعُونٌ، وَقَوُولٌ، وَقَوْلٌ)، وألزموا هذا السكون إذ كانوا يسكنون غير المعتل نحو (الرُّسُلُ، والعَضُد) وأشباه ذلك"^(٥).

(١) الكتاب، ٤: ١٩٢.

(٢) الكتاب، ٤: ٢٨٩.

(٣) الكتاب، ٤: ٤٣٧.

(٤) الكتاب، ٤: ١١٤ - ١١٥.

(٥) المنصف، ١: ٣٣٦.

٥- التخلص بالقلب والحذف

حين تزدهم الكلمة بالتماثلات لا بد من التخلص من اجتماعها بأكثر من وسيلة، ومن ذلك التخلص بالقلب والحذف.

١/٥: قلب إحدى الياءين وحذف الأخرى

لقد آثرنا أن نجعل مدخلاً لهذا على الرغم من وجود مدخلين أحدهما للقلب والآخر للحذف، والعلة في ذلك أن كلمات اجتمع فيها تماثلات فجرى قلب أحدها وحذف الآخر. ومثل سيبويه في قوله: "وذلك قولك في عَدِيٍّ: عَدَوِيٌّ، وفي غَنِيٍّ: غَنَوِيٌّ، وفي قُصِيٍّ: قُصَوِيٌّ، وفي أُمِيَّةَ: أُمَوِيٌّ"^(١). نلاحظ أن هذه الألفاظ، التي بعضها على فَعِيلٍ والآخر على فُعِيلٍ، حذفت الياء المزيدة منها؛ أما الياء التي هي لام الكلمة فقد قلبت واواً.

ويعلل سيبويه ذلك كله بكراهة توالي الياءات، قال: "وذلك أنهم كرهوا أن توالي في الاسم أربع ياءات، فحذفوا الياء الزائدة التي حذفوها من سُلِيمٍ وثَقِيفٍ حيث استثقلوا هذه الياءات، فأبدلوا الواو من الياء التي تكون منقوصة؛ لأنك إذا حذفت الزائدة فإنما تَبَقِيَ التي تصير ألفاً، كأنه أضاف إلى فَعَلٍ أو فُعَلٍ"^(٢).

ويبدو أن هذا الإجراء اختياري بعض الاختيار، ذلك أن هناك من يترك اللفظ على حاله، قال سيبويه: "وزعم يونس أن ناساً من العرب يقولون: أُمِيٌّ، فلا يغيرون لما صار إعرابها كإعراب ما لا يعتل^(٣)، شبهوه به كما قالوا: طِيَّيٌّ. وأما عَدِيٌّ فيقال وهذا أثقل؛ لأنه صارت مع الياءات كسرة"^(٤).

(١) الكتاب، ٣: ٣٤٤.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٤٤.

(٣) أي صار شبيهاً بالاسم الصحيح يعامل معاملته من حيث ظهور الحركات عليه.

(٤) الكتاب، ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥.

ويتخذ هذا الإجراء في ألفاظ شابته السابق من حيث الظاهر. وجهة المشابهة انتهاؤها بياء مشددة، فكان التخلص من إحداها بالحذف ومن الأخرى بالقلب وإن كانتا أصليتين ليست إحداها مزيدة، مثال ذلك ما يرد في سؤال سيبويه أستاذة الخليل قال: "وسألته عن الإضافة إلى تَحْيِيَّة فقال: تَحْوِيٌّ، وتحذف أشبه ما فيها بالمحذوف من عَدِيٍّ (وهو الياء الأولى)، وكذلك كل شيء كان آخره هكذا"^(١).

يتخلص من الياء المشددة آخر الاسم عند النسب بحذفها، ولكن سيبويه يذكر أن تَمَّ من يعاملها معاملة الكلمات السابقة حيث تحذف الياء الأولى وتقلب الثانية وأوياً وبذا يكون التخلص بالحذف والقلب، قال: "ومن قال: حَنَوِيٌّ قال: مَرْمَوِيٌّ"^(٢).

٦- التخلص بإقحام صوت

وعلى نحو ما كان الإدغام وسيلة غير صالحة للتخلص من الهمزتين حتى كان التخفيف هو الوسيلة؛ فإن هذا التخفيف لا يلقي قبولا مطلقاً، إذ هو سمة لهجية ارتضاها قوم يميلون إلى تخفيف الهمزة لما يجدون في نطق هذا الصوت الحنجري الانفجاري من العنت والمشقة وهذا مرتبط ببيئات حضرية مثل البيئة الحجازية، وفي المقابل هناك البيئات البدوية مثل تميم تجدد في تحقيق الهمزة وضوحاً وقوة؛ ولأهمية هذه الصفة استمر نبر الهمزة^(٣) في اللغة الرسمية والأدبية، بل إن الحجازيين قد يجدون أنفسهم مضطرين إلى نبر الهمزة. ومن أجل التخلص من الهمزتين مع الحفاظ على تحقيقهما لجئ إلى إقحام ما يفصل بينهما. وهذا إجراء يتخذ للتخلص من تماثلات أخرى غير الهمزة، وهي تماثلات لا يسعف الإدغام في التخلص منها لأنها تزيد على المثليين، وليست مما يخفف كالهمزة. وليس مما يجوز حذفه إذ في الحذف إخلال يؤدي إلى اللبس أو يفقد التركيب ركنًا من أركانه مثل الفاعل، كما هو الحال في اجتماع نون التوكيد مع نون النسوة.

(١) الكتاب، ٣: ٣٤٦.

(٢) الكتاب، ٣: ٣٤٦.

(٣) انظر في هذه المسألة: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ٨٠.

١/٦ - إقحام الألف

١/٦ - أ: بين الهمزتين

يقول سيبويه متحدثاً عن هذه الوسيلة من وسائل التخلص من التقاء الهمزتين: "ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا"^(١).

وهذا يشبه التخلص من التقاء النونات في الفعل المسند إلى نون النسوة عند تأكيده بنون التوكيد.

ويضرب سيبويه لهذا اللون من التخلص من التقاء الهمزات مثلاً قول ذي الرمة:

فِيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أُمُّ أُمَّ سَالِمٍ

وينسب هذا إلى أهل التحقيق^(٢).

ولا بد أن المحافظة على الهمزتين محقتين هو السبب في إقحام الألف. أما الحجاز فهم، لميلهم إلى التخفيف، يقحمون الألف للفصل بين الهمزة المحققة وهمزة (بين بين) وهي همزة مخففة، فهم يقولون: آإنك وآأنت؛ "وذلك لأنهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين، فكرهوا التقاء الهمزة والذي (بين بين)، فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم في التحقيق"^(٣).

١/٦ - ب: بين النونات

يتخلص من التقاء ثلاث النونات عند تأكيد الفعل المسند لنون النسوة، مثال ذلك: (أخشينان)، قال سيبويه: "ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة"^(٤). وقال أيضاً: "وإذا أدخلت الثقيلة في فعل جمع النساء قلت: إِضْرِبْنَائِ يَا نِسْوَةَ، وَهَلْ تَضْرِبْنَائِ وَلِتَضْرِبْنَائِ، فَإِنَّمَا أَلْحَقْتُ

(١) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٢) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٣) الكتاب، ٣: ٥٥١.

(٤) الكتاب، ٣: ٥٥١.

هذه الألف كراهية النونات، فأرادوا أن يفصلوا لالتقاءها كما حذفوا نون الجميع للنونات، ولم يحذفوا نون النساء كراهية أن يلتبس فعلهن وفعل الواحد^(١).

خاتمة ونتائج

بعد هذا الاستعراض المفصل لألوان التخلص من المتماثلات أوجز ذكر أهم النتائج وهي في أربعة أقسام: المتماثلات التي يُتخلص من اجتماعها. توالي قواعد التخلص من المتماثلات. حكم التخلص من المتماثلات. مسائل لهجية.

أ- المتماثلات التي يُتخلص من اجتماعها

لعل من المفيد أن نعود إلى قول موجز لما رغبتنا عنه في بداية هذا البحث، وذلك جعل المتماثلات نفسها مدخلاً لدرس التخلص من اجتماعها، وسوف نكتفي بذكر بعض الأمثلة مع ذكر رقم المدخل بين هلالين:

أولاً: المضعفات

(١) يتخلص من المضعفات غير المدغمة بإدغامها، نحو: مَدَدَ ← مَدَّ (١).

(٢) إبدال أحد المضعفين نوئاً، نحو: حَظَّ ← حَظَّ (١٠/٣)

(٣) إبدال أحد المضعفين ياءً، نحو: ضَوْضَوْتُ ← ضَوْضَيْتُ، تَسْرَرْتُ ← تَسْرَرَيْتُ

حَسِبْتُ ← حَسَيْتُ، أما ← أَيما (١١/٣)

(٤) حذف أحد المضعفين، نحو: أَحَسَسْتُ ← أَحَسْتُ، بَخَّ ← بَخَّ، رُبَّ ← رُبَّ، أُفَّ ← أُفَّ

قَطَّ ← قَطَّ (٧/٤ - أ)

(٥) حذف أحد المضعفين في الضرورة الشعرية، نحو: أَفَرَّ ← أَفَرَّ (٧/٤ - ب)

(٦) حذف أحد المضعفين آخر اللفظ في لغة المثقفين، نحو: عَلِيَّ ← عَلِيَّ، أُمْسِيَّةً ← أُمْسِيَّةً

الأُرْدُنَّ ← الأُرْدُنَّ (٧/٤ - ج)

ثانياً: التخلص من الهمزات

- (١) يتخلص من الهمزتين المتحركتين بتخفيف إحداهما بجعلها همزة بين بين. (٢)
- (٢) يتخلص من الهمزتين ثابتهما ساكنة بقلبها مدة مجانسة لحركة الأولى، نحو: أَدَمَ ← آدم (١/٣ - أ)، جَائِي ← جائي (١/٣ - ب)، أُوِوب ← أووب (١/٣ - ج).
- (٣) يتخلص من الهمزتين في المضارع على (أفعلَ)، والأمر من الثلاثي في ثلاثة أفعال مسموعة (أكل، أخذ، أمر)، نحو: أَكْرَمَ ← أَكْرِمُ ← أَكْرِمُ،
يَأْكُلُ ← أُؤْكَلُ ← كُلْ،
يَأْخُذُ ← أُؤْخِذُ ← خُذْ،
يَأْمُرُ ← أُؤْمَرُ ← مُرْ (١/٤)

- (٤) يتخلص من الهمزتين بإقحام ألف بينهما، نحو: أَأْنْتَ ← آأنتَ (١/٦ - أ)

ثالثاً: التخلص من التاءات

- (١) تدغم التاء في التاء في بناء (أفتعلَ) والعين تاء، نحو: إِفْتَلَّ ← قَتَّلَ (١)
- (٢) تبدل إحدى التاءين سيناً في نحو: إِتَّخَذَ ← اسْتَخَذَ (٦/٣)
- (٣) تحذف من مثل: اسْتَخَذَ ← اسْتَخَذَ (٣/٤)
- (٤) تحذف من الفعل على بناء (تفاعلَ، تفعَّلَ، يفتعل) وفاؤه تاء، نحو: تَتَّظَاهَرَا ← تَظَاهَرَا
تَتَلَقَّوْنَهُ ← تَتَلَقَّوْنَهُ، يَتَّخِذُ ← يَتَّخِذُ (٤/٤ - أ)

رابعاً: التخلص من السينات

- تبدل السين تاءً لتدغم في نحو: سِدْسٌ ← سِتَّ (١)، (٧/٣)

خامساً: التخلص من اللامات

- (١) تبدل اللام نوناً للتخلص من اجتماعهما، نحو: لَعَلَّ ← لعنَّ (٨/٣)
- (٢) تحذف اللام في: لَأَوْ أَبوكَ (٨/٤)

سادساً: التخلص من النونات

(١) يتخلص من اجتماع نون الرفع ونون الوقاية بالإدغام في مثل:

يَضْرِبُونِي ← يَضْرِبُونِي (١)

(٢) يتخلص من اجتماع نونين في كلمة واحدة بإبدال النون لاماً، نحو:

عُنْوَان ← عَلْوَان (٩/٣)

(٣) تحذف نون الرفع لاتصال نون التوكيد الثقيلة بها في نحو: لَتَفْعَلُونَ+نَّ ← لَتَفْعَلَنَّ، وتحذف نون

الوقاية لاتصالها بنون الرفع في نحو: أَتَحَاجُونِي ← أَتَحَاجُونِي (٢/٤ - أ)

(٤) تحذف نون الوقاية بعد نون الرفع المكسورة، في نحو: تَضْرِبَانِي ← تَضْرِبَانِي (٢/٤ ب)

(٥) تحذف نون من (إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا) نحو: إِنَّ ← إِنَّ (٢/٤ - ج)

(٦) تحذف نون من نوني الفعل في نحو: نُنَزِّلُ ← نُنَزِّلُ (٤/٤ - ب)

(٧) يتخلص من نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة بإقحام ألف، نحو:

إِخْشَيْنَ ← إِخْشَيْنَان (١/٦ - ب)

سابعاً: التخلص من الواوات

(١) جعل الفعل الذي عينه ولامه واوان على بناء (فَعِل) لتقلب الواو ياءً، نحو: قَوَوَ ← قَوِيَّ

(٢/٣ - أ)

(٢) تقلب إحدى الواوين في أول الكلمة همزة، نحو: وَوَأَصِلَ ← وَأَصِلَ

وُؤَلَى ← أُؤَلَى (٢/٣ - ب)

(٣) تبدل أولى الواوين تاء وهو غير مطّرد، نحو: وَوَلَجَ ← تَوَلَجَ (٢/٣ - ج)

(٤) تحذف واو الضمير لاجتماع الواو والضمات، نحو: أَنْتُمْ ← أَنْتُمْ (٥/٤)

ثامناً: التخلص من الياءات

(١) تقلب ألف المقصور التي أصلها ياء واواً عند النسب، نحو: هُدَى ← هُدَيَّ (٣/٣)

- ٢) تقلب الياء الثانية إلى واو، نحو: حَيَّان ← حَيَّوَان
تقلب ياء المنقوص واوًا عند النسب، نحو: شَجِيّ ← شَجَوِيّ
ومن الاسم آخره ياء مشدّدة بعد حرف واحد، مثل: حَيّ ← حَيَوِيّ
ومن الاسم الثلاثي شبه الصحيح المنتهي بياء، نحو: ظَبِيّ ← ظَبَوِيّ (٤/٣ - أ)
- ٣) تقلب الياء إلى همزة إن وقعت بعد ألف في النسب، مثل: سِقَايَة ← سِقَائِيّ
طَايَة ← طَائِيّ (٤/٣ - ب)
- ٤) تقلب الياء إلى ألف، مثل: آيَة ← آيَة (٤/٣ - ج)
- ٥) تبدل الياء بشين في تصغير (عَشِيَّة): عَشِيَّة ← عَشِيَّة (٤/٣ - د)
- ٦) تحذف الياء من بناء (فَعِيل) عينه ياءن مثل: مَيْت ← مَيْت، وتحذف عند النسب، نحو: سَيْد ← سَيْدِيّ، أَسِيد ← أَسِيدِيّ (٦/٤ - أ)
- ٧) تحذف الياء في التصغير، نحو: كِسَاء ← كُسَيْو ← كُسَيْي ← كُسَيْ (٦/٤ - ج)
- ٨) تحذف الياء في التثنية وجمع السلامة، نحو: تُرَيَّا ← تُرَيَّان ← تُرَيَّان (٦/٤ - د)
- ٩) تحذف في جمع التكسير، نحو: أَثَافِيّ ← أَثَافِيّ ← أَثَافِيّ (٦/٤ - هـ)
- ١٠) تحذف من الضمير بسبب الكسرات، نحو: لَدَيْهِمِيّ ← لَدَيْهِم (٦/٤ - و)
- ١١) حذفت الياء من الفعل عينه ولامه ياء، نحو: يَسْتَحِيّ ← يَسْتَحِي (٦/٤ - ز)
- ١٢) تحذف ياء وتقلب الأخرى واوًا عند النسب إلى الاسم المنتهي بياء مشدّدة بعد حرفين، نحو:
عَدِيّ ← عَدَوِيّ (١/٥)

تاسعاً: التخلص من الحركات

- ١) تقلب الكسرة فتحة في النسب، نحو: نَمْر ← نَمْرِيّ (٥/٣)
- ٢) تحذف الحركة إن توالى أكثر من ثلاث حركات.

تحذف ثانية الضمتين، نحو: رُسُل ← رُسُل

تحذف ثانية الكسرتين، نحو: إِبِل ← إِبِل (٩/٤)

ب: توالي قواعد التخلص من المتماثلات

يهدف هذا القسم إلى بيان أن قواعد التخلص من المتماثلات ليست تطبيقها أمراً عشوائياً بل هو محكوم بنوع من التابع الذي حاول البحث الكشف عنه ما أمكن والتمثيل له:

(١) القاعدة الأولى في التخلص من المتماثلات هي الإدغام، مثال ذلك الفعل الثلاثي المضعف، نحو: مَدَدَ ← مَدَّ.

ولكن قد يتعذر الإدغام لأمر منها أنّ الأصوات يصعب إدغامها مثل الهمزتين من كلمتين، مثل: ابدأ أمرك. وهنا تطبق القاعدة الثانية.

(٢) القاعدة الثانية هي التخفيف، فيقال في المثال السابق: ابدأ أمرك. وقد يتعذر الإدغام لوجود ثلاثة متماثلات، نحو: تظنن، ودخول أحدها في إدغام. وكذا يتعذر التخفيف؛ لأن هذه الأصوات لا تخفف على نحو ما تخفف الهمزة، لذلك تطبق القاعدة الثالثة.

(٣) القاعدة الثالثة هي القلب أو الإبدال، ففي المثال السابق تبدل النون الأخيرة ياءً: تظننت ← تظنيت. ولكن قد يتعذر الإدغام؛ لأن الحرفين في أول الكلمة، مثل: (أَكْرِمُ)، ويتعذر التخفيف بقلب إحدهما ألفاً؛ لأنه لا يبدأ بألف، ولا بقلب الهمزة الثانية ألفاً؛ لأن ما بعدها ساكن فيلتقي ساكنان، ولا تقلب الثانية واواً لتحركها، ولذلك لم يبق إلا تطبيق القاعدة الرابعة.

(٤) القاعدة الرابعة هي الحذف، يقال في المثال السابق: أَكْرِمُ ← أَكْرِمُ. فإن كان الصوت مما يمكن إبداله جاز تطبيق القاعدة الثالثة أو الرابعة والأمر في ذلك اتجاه لهجي، فالحجازيون يطبقون القاعدة الثالثة في مثل: حَسِبْتُ ← حَسِبْتُ، وتميم تطبق الرابعة: حَسِبْتُ ← حَسْتُ. ولكن قد لا يمكن الإدغام؛ لأن المتماثلات ثلاثة ولدخول اثنين منها في إدغام، مثل اجتماع نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة.

ولا يمكن التخفيف ؛ لأن هذه الأصوات ليست تخفف كالمهمزة. ولا يمكن قلب أحدها ؛ لأن نون النسوة ضمير لا يغير شكله ؛ ولأنه نون التوكيد قوية بالإدغام وهو جزء من تركيبها لا تعرف بدونه. ولا يمكن حذف نون النسوة لأنها فاعل لا يجوز حذفه ، ولا دليل عليه بعد الحذف ، وحذفها يجعل الفعل يلتبس بالفعل المسند إلى الغائب ، وأما نون التوكيد فلأن ذلك يفوت الغرض منها ، ولأنه لا دليل عليها بعد حذفها. وهنا لا يبقى سوى تطبيق القاعدة الخامسة.

٥) القاعدة الخامسة: إقحام صوت بين التماثلات ، فيقال مثالا لذلك :

إِذْهَبْنَ + نٌ ← إِذْهَبْنَ

ج: حكم التخلص من التماثلات

تقضي النظرة الفاحصة إلى أمثلة التخلص من التماثلات إلى أنها على قسمين: أحدهما حكم التخلص فيه الوجود ، والآخر حكم التخلص فيه الجواز. والواجب هو ما ورد فيه عن العرب طريقة واحدة هي طريقة التخلص أما الجائز فهو ما ورد فيه عن العرب طريقتان فأكثر منها الإبقاء على التماثلات دون التخلص وسوف نجمل المواضع من القسمين.

أولاً: التخلص الواجب

١) التخلص من تماثل العين واللام من الفعل الثلاثي المضعف بإدغامهما ، مثل: شَدَدَ ← شَدَّ
٢) التخلص من التقاء الهمزتين من كلمتين: الأولى ساكنة والثانية متحركة ، وذلك بتخفيف إحداهما ، نحو: إقرأ آية ← إقرأ آية.

٣) التخلص من الهمزتين: الأولى متحركة والثانية ساكنة بقلب الثانية مدة ملائمة لحركة الهمزة الأولى ، نحو: أَدَمَ ← أَدَمَ ، أُؤْوِبَ ← أُؤْوِبَ ، إئْتِ ← إئْتِ. وكذا كل أمر من الثلاثي فاؤه همزة ، ويستثنى من هذا ثلاثة الأفعال: (أَخَذَ ، أَكَلَ ، أَمَرَ) ، إذ يتخلص من الهمزتين ، بحذف فاء الفعل ، فلا يحتاج الفعل إلى همزة وصل.

٤) التخلص من الهمزتين في كلمة واحدة بقلب الهمزة واواً ، نحو: دَوَائِبِ جمع دُوَابَةٍ.

- ٥) التخلص من اجتماع همزتين في آخر الاسم بقلب إحداهما ياءً، نحو: جائئ ← جائئ.
- ٦) التخلص من التقاء واوين في المضعف، كالفعل من (القوّة): قوَوَ ← قَوِيَ.
- ٧) التخلص من اجتماع واوين في أول الكلمة والثانية ليست بمدّ، وذلك بقلب الأولى همزة، مثل: وواصل ← أواصل. وقد تقلب الأولى تاء: وَوَلَج ← تَوَلَج.
- ٨) التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ثلاثي مقصور ألفه ياء في الأصل، أو منقوص، وذلك بقلب لامه واواً، نحو: هدى ← هدويّ، وعم (عمي) ← عمويّ.
- ٩) التخلص من التقاء الياءات في (حيّان) بقلب الثانية واواً: حيوان.
- ١٠) التخلص من التقاء الياءات في (أَيّة) وذلك بقلب الأولى ألفاً: آية، ومنه: حيّيت ← حاحيت.
- ١١) التخلص من التقاء الياءات في تصغير (عشّيّة) بقلب الوسطى شيئاً، وذلك: (عُشْيِيَّة).
- ١٢) إبدال أحد المضعفين ياءً وهو سماعي، نحو: قِرَاط ← قيراط.
- ١٣) التخلص من التقاء همزة النقل وحرف المضارعة بحذف همزة النقل، نحو: أُّكْرِمُ ← أكرِمُ.
- ١٤) التخلص من التقاء النونات في الأفعال الخمسة عند تأكيدها بالنون الثقيلة، وذلك بحذف نون الرفع، نحو: لَتَذْهَبَانِ ← لَتَذْهَبَانِ.
- ١٥) التخلص من توالي أربع حركات، مثل: ذَهَبْتُ ← ذَهَبْتُ.
- ١٦) التخلص من لقاء واو مكتنفة بضميتين، بحذف ثاني الضميتين، نحو: عُوْرُ ← عُوْرُ.
- ١٧) التخلص من التقاء النونات في الفعل المسند لنون النسوة عند تأكيده بنون التوكيد الثقيلة، وذلك بإقحام الألف، نحو: إِخْشِيَانِ.
- ١٨) التخلص من التقاء السينات في (سيتّ): سيدس ← سيدت ← سيتّ.
- ١٩) التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم على وزن (فَعِيل) يائي العين، وذلك بحذف إحدى الياءين، نحو: سيّد ← سيديّ، أسيد ← أسيديّ.

التخلص من التماثلات لفظاً

(٢٠) التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ينتهي بياء مشددة بعد ثلاثة أحرف ، وذلك بحذف الياء المشددة ، نحو: مريمي ← مريمي .

(٢١) التخلص من اجتماع ياءات بسبب التصغير ، نحو: كساء ← كُسي ← كُسي .

(٢٢) التخلص من اجتماع ياءات بسبب التثنية أو الجمع ، نحو: تُرياً ← تُريان / تُريّات .

ثانياً: التخلص الجائز

(١) التخلص من التماثل في مضارع المضعف والأمر منه بالإدغام على لغة تميم : لم يردّ / ردّ .

(٢) التخلص من اجتماع النونين ، على بعد ، بإدغامهما في (لكن) إذا جاء بعدها الضمير (أنا) : لكنا .

(٣) التخلص من اجتماع التاءات في الفعل على وزن (أفعل) وعينه تاء ، مثل : إقتل ، تدغم التاء في التاء : قتل . ومثله اجتماع التاء والذال من اسم الفاعل على وزن (أفعل) الذي عينه ذال ، مثل :

مُعْتَدِرُونَ ← مُعَدِّرُونَ

(٤) التخلص من اجتماع نون الرفع ونون الوقاية بإدغامهما ، نحو :

يَضْرِبُونِي ← يَضْرِبُونِي . ويجوز التخلص بحذف الآخرة : يَضْرِبُونِي .

(٥) التخلص من التقاء همزتين متحركتين من كلمتين ، وذلك بإحدى وسيلتين : قلب الأولى ألفاً أو تخفيف الثانية إلى همزة بين بين . نحو : قرأ أبوك ← قرأ أبوك / قرأ أبوك .

(٦) التخلص من التقاء واوين في أول الكلمة والثانية مدّ ، نحو : ووعد ← أوعد ، ومنه ما يتخلص منهما بقلب الأولى تاء فصي : (وولج) يجوز : تولج .

(٧) التخلص من التقاء الياءات عند النسب إلى اسم ينتهي بياء مشددة ، وذلك بقلب الياء واواً إن كانت بعد حرف ، ففي حية نقول : حيي ، ويجوز : حيوي . وإن كانت بعد حرفين حذفت ياء وقلبت ياء ، ففي أمية : أميي ، ويجوز : أموي . أما الياء بعد حرفين فتقلب واواً ، ففي : ظبي نقول : ظبيي ، وظبوي . أما الياء المسبوقة بألف فإنه يجوز قلبها همزة أو واواً ، ففي راية ، نقول : رايب ، ويجوز : رايب ، أو راوي .

- ٨) التخلص من إحدى الياءين في بعض الجموع، نحو: أَمَانِي، أَثَافِي، مَعْطِي.
- ٩) التخلص من التقاء الكسرة والياءات، وذلك بقلب الكسرة فتحة، فيجوز فتح عين المنسوب إليه، تقول: تَعْلِي، ويجوز: تَعْلِي.
- ١٠) التخلص من التقاء التاءين، وذلك بإبدال التاء سيناً في (أَتَّخَذَ)، يجوز القول: اسْتَخَذَ.
- ١١) التخلص من اللامين، مثل: لَعَلَّ ← لَعَنَّ.
- ١٢) التخلص من النونين، مثل: عُنْوَان ← عُلْوَان.
- ١٣) التخلص من المضعفين بإبدال أحدهما ياءً، نحو: تَسَرَّرْتُ ← تَسَرَّيْتُ، اتَّصَلْتُ ← ايتَّصَلْتُ، أَمَّا ← أَيَّمَا، دَهَدَهْتُ ← دَهَدَيْتُ.
- ١٤) التخلص من التقاء الهمزات في بعض أفعال الأمر من مهموز الفاء، وذلك بحذف الفاء، وهذه الأفعال هي: أَمَرَ ← مَرُّ، أَكَلَ ← كُلُّ، أَخَذَ ← خُذْ.
- ١٥) التخلص من التقاء نونين: نون الرفع ونون الوقاية، وذلك بحذف نون الرفع في نحو: يُسَاعِدُونِي.
- ١٧) التخلص من التقاء النونات: نون الوقاية بعد الحروف: إَنَّ، وَأَنَّ، وَلَكِنَّ، وَكَأَنَّ. وذلك بحذف نون الوقاية، ففي: إَنِّي، يجوز: إِنِّي.
- ١٨) حذف إحدى نوني (إَنَّ) وأخواتها المنتهيات بنون مشددة.
- ١٩) حذف التاء من الفعل (تَخَذَ) على وزن (اسْتَفْعَلَ): اسْتَتَخَذَ ← اسْتَخَذَ.
- ٢٠) التخلص من إحدى التاءين في أول مضارع (تَفَاعَلَ، وَتَفَعَّلَ): تَتَبَّرَجَنَّ ← تَبَّرَجَنَّ.
- ٢١) حذف إحدى نوني الفعل المضارع فأوّه نون وهو مسند إلى المتكلمين: نُزِّلُ ← نُزِّلُ.
- ٢٢) التخلص من التقاء الضمة والواو في آخر الكلمة في ضمير الجمع، وذلك بحذف الواو، نحو: عَلَيْكُمْ، يجوز: عَلَيْكُمْ.
- ٢٣) التخلص من التقاء الكسرة والياء في آخر الكلمة في ضمير الجمع. وذلك بحذف الياء، نحو: لَدَيْهِمْ، يجوز: لَدَيْهِمْ.

التخلص من التماثلات لفظاً

(٢٤) التخلص من التقاء الياءات في الكلمات التي على وزن (فَعِيل)، وعينها ياء، وذلك بحذف إحدى الياءين، ففي: سَيْد، يجوز القول: سَيْد.

(٢٥) التخلص من الياءات في الفعل (اسْتَحْيَى)، وذلك بحذف الياء، ففي استحيى نقول: اسْتَحْيَيْتُ، ويجوز القول: اسْتَحْيَيْتُ.

(٢٦) التخلص من التقاء مضعفين، وذلك بحذف أحدهما، ففي: حَسِبْتُ، يجوز أن نقول: حَسْتُ. ومن ذلك: رَبُّ ← رَبِّ، بَخٌّ ← بَخِّ، أَفٌّ ← أَفِّ، قَطٌّ ← قَطِّ، جِرْحٌ ← جِرْحِ، لَهْ ← لَاه. ومثل ذلك ما يضطر إليه شاعر، أو يخففه المثقفون. وقد يكون بقلب أولهما نوناً كما في لغة اليمن: حَظٌّ ← حَنْظ.

(٢٧) حذف الضمة الثانية والكسرة الثانية عند توالي ضميتين أو كسرتين: عُنُقٌ ← عُنُقِ، إِبِلٌ ← إِبِلِ.

(٢٨) التخلص من يائي الكلمات على وزن (فَعِيل) و(فُعَيْل) عند النسب، بحذف الزائد، وقلب اللام واواً. ويجوز الإبقاء عليهما، نحو: عَدِيٌّ ← عَدَوِيٌّ، أو عَدِيِّيٌّ، أُمِيَّةٌ ← أُمُوِيٌّ، أو أُمِيِّيٌّ.

(٢٩) الفصل بين همزة الاستفهام وهمزة بعدها بالألف: أَأَنْتَ ← آأَنْتَ.

رابعاً: مسائل لهجية.

يهدف هذا القسم إلى إبراز أهمية الاختلافات اللهجية في تشكيل القواعد التي تحكم النظام اللغوي العربي، وبيان ما اكتسبه النظام من جراء ذلك من المرونة والاتساع، وهذا إجمالاً باختلافات اللهجية:

١- مضارع الفعل الثلاثي المضعف المجزوم يفك إدغامه عند أهل الحجاز وكذلك الأمر منه. ويبقى على الإدغام في لهجة تميم.

٢- يفك الإدغام في المضعف عند إسناده إلى نون النسوة في لغة العرب. وبعض من بكر بن وائل يبقون على الإدغام.

- ٣- إن اجتمعت همزتان من كلمتين خفف العرب إحداهما. وفي لغة شاذة لا يتخلص من اجتماعهما. وفي لغة الحجاز قلب إحداهما ألفاً وتجعل الأخرى همزة (بين بين).
- ٤- الأمر من ثلاثة الأفعال (أَكَلَ، أَخَذَ، أَمَرَ) يكون بحذف الهمزة. وبعض العرب يبقي الهمزة ويقبلها مثل: أوكل. ونسمع العامة في نجد اليوم يقولون "كل، خذ، ولكن: أوامر.
- ٥- تقول العرب في النسبة إلى (صَعَق) : صَعَقِيّ، ويقول بعضهم: صِعْقِيّ.
- ٦- تقول العرب: (اتَّخَذَ)، ويقول بعضهم: (اسْتَحَذَ).
- ٧- يقول أهل الحجاز: (يَسْتَحِي)، وتقول تميم: (يَسْتَحِي).
- ٨- يقول الحجازي في (حَسَيْتُ): حَسَيْتُ، وتميم تحذف: حَسْتُ، وسليم تحذف عين الثلاثي المضعف.
- ٩) قلب أحد المضعفين في لهجة تميم وقيس نحو: تَطَنَيْتُ، وتَقَصَّيْتُ، وَأَمَلَيْتُ، ودهديت. ولهجة اليمن قلب أول المدغمين نوناً (حظ: حنظ).
- ١٠- حذف إحدى التاءين من أول المضارع في لهجة هذيل: تَتَلَقَّونَ ← تَلَقَّونَ.
- ١١- حذف إحدى الياءين من آخر الجمع في لهجة بلعبر: أَثَافِيّ ← أَثَافِي.
- ١٢- حذف إحدى الياءين من أول الفعل (يَيْئَس) طريقة لبعض العرب.
- ١٣- حذف عين الفعل الثلاثي المضعف لغة لسليم: هَمَمْتُ ← هَمْتُ.
- ١٤- المحافظة على الياء المشددة آخر المنسوب إليه لغة لسليم: أُمِيَّة ← أُمِيّ.
- ١٥- لغة العرب في (أَمَّا) بالشديد، ولغة كثير من بني عامر وتميم بإبدال الميم ياء: (أَيِّمًا).
- ١٦- تخفيف المضعف بحذف أحدهما مثل (رُبّ) في (رُبّ) لهجة هذلية.
- ١٧- بعض العرب يفصل همزة الاستفهام عن الهمزة بعدها بالألف تخلصاً من لقاء همزتين ومنهم تميم، أما أهل الحجاز فهم يفصلون بين همزة الاستفهام وهمزة بين وبين المخففة. ومن العرب من لا يفصل بينهما.

الأخفش الأوسط ؛ أبو الحسن سعيد بن مسعدة (٢١٥) :

معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس (ط٢)، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر / الكويت،
١٩٨١ م.)

الأزهري ؛ خالد بن عبدالله (٩٠٥هـ) :

شرح التصريح على التوضيح (دار إحياء الكتب العربية / القاهرة).

الاستراباذي ؛ رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ) :

شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد
(مصورة دار الكتب العلمية / بيروت، ١٩٧٥ م.)

أنيس ؛ إبراهيم (١٩٧٧ م) :

الأصوات اللغوية (ط٥، مكتبة الأنجلو / القاهرة، ١٩٧٥ م.)

ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) :

- التصريف الملوكي، عناية النعساني (ط١، مطبعة شركة التمدن / القاهرة)

- سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي (ط١، دار القلم / دمشق، ١٩٨٥ م.)

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف،
وعبد الحليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / القاهرة،
١٩٨٦ م.)

- المنصف: شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين (ط١،
القاهرة، ١٩٥٤ م.)

الجوهري ؛ إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ) :

الصحاح، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (ط٢، دار العلم للملايين / بيروت، ١٩٧٨ م.)

الشاذليات: أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود

حسن ؛ عباس :

- النحو الوافي (ط ٢، دار المعارف بمصر / القاهرة، ١٩٦٨ م.).
- ابن حيان ؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (٧٥٤هـ):
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس (ط ١، النسرة الذهبية / القاهرة، ١٩٨٤ م.).
- تفسير البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة / الرياض عن مطبعة السعادة / القاهرة، ١٣٢٩هـ).
- ابن خالويه ؛ أبو عبدالله الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ):
- ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (مكة المكرمة، ١٩٧٩ م.).
- الداني ؛ أبو عمر عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ):
- التيسير في القراءات السبع، عناية: أوتوبرتزل (جمعية المستشرقين الألمانية / استانبول، ١٩٣٠ م.).
- رضا ؛ الشيخ أحمد (١٩٥٣ م):
- قاموس رد العامي إلى الفصيح (ط ٢، دار الرائد العربي / بيروت، ١٩٨١ م.).
- الزحشري ؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ):
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (دار الفكر / بيروت).
- المفصل في صناعة الإعراب (ط ٢، دار الجيل / بيروت، عن طبعة النعسانى ١٣٢٣هـ)
- ابن السكيت ؛ أبو يوسف يعقوب (٢٤٤هـ):
- إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون (ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠ م.).
- كتاب الإبدال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف (مجمع اللغة العربية / القاهرة، ١٩٧٨ م.).
- سيبويه ؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ):

الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (ط ٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة،
١٩٧٩م.)

السيرافي؛ أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان (٣٦٨هـ):

ضرورة الشعر، تحقيق: رمضان عبدالنواب (ط ١)، دار النهضة العربية / بيروت، ١٩٨٥م.)

شاهين؛ عبدالصبور:

المنهج الصوتي للبنية العربية (ط ١)، مطبعة جامعة القاهرة / القاهرة، ١٩٧٧م.)

الشمسان؛ أبو أوس إبراهيم:

- جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية)، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٧م.

- مساحة لغوية، نادي المدينة المنورة، كتاب العقيق، ع ٢، ٢٠٠٠م.

الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٤٦٠هـ):

تفسير البيان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (مكتبة الأمين / النجف الأشرف).

الطيب؛ عبدالجواد:

من لغات العرب: لهجة هذيل (جامعة الفاتح / طرابلس).

عبد العال؛ عبدالمنعم سيد:

معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية (ط ٢)، مكتبة الخانجي / القاهرة،

١٩٧٢م.)

عبده؛ داود:

ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية (معهد

الخرطوم الدولي للغة العربية / الخرطوم، أغسطس ١٩٨٢م.)

العدناني؛ محمد:

معجم الأخطاء الشائعة (مكتبة لبنان / بيروت، ١٩٧٣م.)

- ابن عصفور؛ أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (٦٦٩هـ):
ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد (ط١، دار الأندلس / بيروت، ١٩٨٠م)
ابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن (٧٦٩هـ):
المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات (ط١، جامعة أم القرى / مكة المكرمة، ١٩٨٤م).
عمر؛ أحمد مختار وعبدالعال سالم مكرم:
معجم القراءات القرآنية (ط١، جامعة الكويت / الكويت، ١٩٨٥م).
آل غنيم؛ صالحه راشد غنيم:
اللهجات في الكتاب لسيبويه: أصواتاً وبنية (ط١، جامعة أم القرى / مكة المكرمة، ١٩٨٥م).
الفارسي؛ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان (٣٧٧هـ):
- المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط١، مطبعة المدني / القاهرة، ١٩٨٥م).
- المسائل المشكلة: البغداديات، تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي (وزارة الأوقاف / بغداد، ١٩٨٣م).
الفراء؛ أبو زكرياء يحيى بن زياد (٢٠٧هـ):
معاني القرآن، تحقيق: عبدالفتاح إسماعيل شلبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة، ١٩٧٢م).
الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ):
القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي / القاهرة).
القرطبي؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ):
الجامع لأحكام القرآن (ط٣، دار القلم / القاهرة، ١٩٦٦م).

ابن مالك ؛ أبو عبد الله جمال الدين محمد (٦٧٢هـ) :

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق : محمد كامل بركات (ط ١ ، وزارة الثقافة / القاهرة ،
١٩٦٧م.)

ابن مجاهد ؛ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (٣٢٤هـ) :

كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف (ط ١ ، دار المعارف بمصر / القاهرة ،
١٩٧٢م.)

المطلبي ؛ غالب فاضل :

لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (وزارة الثقافة / بغداد ، ١٩٧٨م.)

المنصور ؛ وسمية عبد المحسن :

صيغ الجموع في القرآن الكريم (ط ١ ، مكتبة الرشد / الرياض ، ٢٠٠٤م.)

النحاس ؛ أبو جعفر أحمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ) :

إعراب القرآن ، تحقيق : زهير غازي زاهد (ط ٢ . عالم الكتب / بيروت ، ١٩٨٥م.)

ابن يعيش ؛ موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (٦٤٣هـ) :

- شرح المفصل (إدارة الطباعة المنيرية / القاهرة).

- شرح الملوكي في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوه (ط ١ ، المكتبة العربية / حلب ،

١٩٧٣م.)

التخلص من التماثلات خطأً

الأستاذ في قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

لا يخلو النظام الكتابي لأي لغة من مشكلات خاصة ؛ لأن النظام الكتابي ليس صورة مطابقة للغة المنطوقة بل هو تقريب لها يعين على حفظها وتعلمها واستخدامها. ومن المشكلات الملاحظة في نظام الإملاء العربي حذف بعض رموز الأصوات ، وهو أمر متصل بنشأة الكتابة العربية وتطورها ، وهذا البحث محاولة لرصد بعض من حالات الحذف التي يكون علتها التخلص من التماثلات التي تحدث في الرسم الإملائي.

تابعت العربية النبطية التي أخذت عنها الخط بأن مثلت الكسرة الطويلة بالياء ، ومثلت الضمة الطويلة بالواو ، أما الفتحة الطويلة فقد أهملت في وسط الكلمة ، ولكنها مثلت بالألف في نهايتها. أما استعمال الألف لتمثيل الفتحة الطويلة في وسط الكلمة فهو إضافة عربية^(١).

عرفت الكتابة العربية في الحجاز. وحين دَوّن القرآن مثلت الهمزة بالألف^(٢). والرسم العثماني جرى على لغة أهل الحجاز التي تسقط الهمزة في غير أول الكلمة ، فلم تمثل الهمزة إلا في أوائل الكلمات حيث يرمز لها بالألف ، أما في وسط الكلمة وآخرها فإن الواو أو الياء هي التي تحل محل الهمزة صوتاً وكتابة^(٣). وقرأ الناس في الأمصار القرآن في مصاحف عثمانية فكانوا يحققون الهمزات

(١) رمزي بعلبكي ، الكتابة العربية والسامية (ط١ ، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٨١ م.) ص ١٧٩.

(٢) غانم قدوري الحمد ، رسم المصحف (ط١ ، بغداد ، ١٩٨٢) ص ٥٧٥.

(٣) السابق ، ص.ن.

دون التفات إلى أنها كانت مرسومة على لغة أهل التسهيل ، واوًا أو ياءً أو ألفًا^(١) ؛ لأن اعتمادهم في تلقي القراءة على الرواية وإنما يعينهم النظر في المصحف على ذلك^(٢) . قال ابن السراج : "إن القياس والأصل في الهمزة أن تكتب في كل موضع ألفًا كما أنها تكتب إذا كانت أول كلمة ألفًا لا اختلاف في ذلك ، ولكنه لما كان من العرب من يخفف الهمز ويبدل ، كما ذكرت لك ، تغيرت صورتها فاتفق الكتاب على إبدالها في كثير من المواضع واختلفوا في بعض ، قال البصريون : الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب على تغيرات حركتها"^(٣) .

ونشأت الحاجة إلى تعيين الألفات والواوات والياءات التي تهمز من غيرها مما ليس من الهمز. وكان التمييز في أول الأمر بنقطة حمراء أو صفراء ثم اتخذت رأس العين (ء) رمزًا تكون فوق الألف أو الياء أو الواو ونُسي أن الألف هي الأصل في رمز الهمزة ، ونسي أن المصاحف العثمانية كتبت على لغة من يسهلون الهمزة ، ولم يغير محققو الهمزة تلك الرموز بل أضافوا لها العلامة المميزة^(٤) .

إذن يمكن القول إن الكتابة العربية أفضت إلى حدوث ازدواج في تمثيل بعض الأصوات العربية إذ جعل حرف الألف رمزًا للهمزة ، ورمزًا للفتحة الطويلة - ألف المد - وجعل حرف الواو رمزًا للضممة الطويلة - واو المد - وجعل رمزًا لصوت الواو - غير الحركة أي : الصوت الصامت - وجعل رمزًا للهمزة التي تسهل واوًا. وجُعل الياء رمزًا للكسرة الطويلة - ياء المد - وجعل رمزًا لصوت الياء - غير الحركة ، أي : الصوت الصامت - وجعل رمزًا للهمزة التي تسهل ياءً. وكان من نتائج هذه الازدواجية اجتماع التماثلات في الرسم.

وعلى نحو ما كُره التماثل في اللفظ كُره التماثل في الخط أيضًا ، فنجد أنهم يكرهون تجاوز الألفات أو اللامات أو الواوات أو الياءات ، وهذا ما يسعون إلى التخلص منه بالحذف. قال ابن

(١) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف (ط١ ، بغداد، ١٩٨٢) ص ٥٧٥.

(٢) السابق، ص ٥٧٥ - ٥٧٦.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، مجلة المورد، ج ٥، ع ٣: ١١٧.

(٤) الحمد، رسم المصحف، ص ٥٧٧.

درستويه مبيئاً ما يحذف من الخط، ومعللاً سببه: "اعلم أن أكثر ما يحذف من الكتاب الحروف المكررة كراهية اجتماع الأشباه في الخط، كما يدغمون المضاعف في اللفظ استثقلاً للتضعيف أو حروف المد واللين لا اعتلالها وثقلها وتعاور السكون والحركات والتنوين إياها، مع كثرتها في الكلام، وأنه لا يخلو من أحدها أو من الحركات كلمة، وإنما الحركات منها فيستخف بحذفها من الكتاب كما يفعل ذلك في اللفظ. وأكثر حروف اللين حذفاً الألف لضعفها، فإنها أكثر من غيرها في الكلام"^(١).

أما الداني فذهب إلى أبعد من الناحية الشكلية حين أشار إلى أن اجتماع الألفات متعذر في اللفظ، فكأن الخط تابع لهذه المسألة، قال: "وقال بعض النحويين إنما لم يجمع بين ألفين في الخط من حيث لم يجمع بينهما في اللفظ"^(٢). وهذا نظر جزئي إلى المسألة؛ إذ لا يفسر التخلص من الحروف التي تجتمع في اللفظ دون الخط مثل المدغمين ومثل الواوين والياءين.

وإن تكن الأصوات المدغمة يحذف إحداها في الخط فإن المتماثلات في الخط من غير المدغمة تحذف، ولكن ذلك ليس على إطلاقه، قال ابن السراج: "اعلم أنه ليس لك أن تحذف كل ما اجتمع صورتان من أي حرف كان، وإنما المكروه من ذلك اجتماع ألفين وواوين وياءين، فأما ما سوى ذلك من الحروف فلا يحذف إلا ما علمت أنه قد اصطلح على حذفه إلا الحرف المدغم في مثله من كلمة واحدة فإنهم مجمعون على كتبه بحرف واحد، نحو: كل، وشد"^(٣). ويضع ابن درستويه قاعدة عامة تتناول هذه المسألة في قوله: "وأما ما يحذف لا اجتماع الأشياء غير المدغمة فإن كل ألفين أو واوين أو يائين اجتماعاً في كلمة حذف أحدهما وأثبت الآخر إلا أن يخاف لبس أو يحتاج إلى عوض أو يستخف

(١) ابن جعفر بن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٤.

(٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد أحمد دهمان (ط ١)، دار الفكر/ دمشق، ١٩٨٣م) ٢٦.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٧.

شيء فلا يحذف. وكل ثلاث ألفات أو واوات أو ياءات اجتمعن في كلمة حذفت إحداهن وأثبتت اثنتان^(١).

:

الإدغام هو نطق صوتين متماثلين متتاليين لا يفصل بينهما حركة أو وقف^(٢)؛ وذلك بأن تجتمع أعضاء النطق أولهما ثم تنفجر عن نطق الثاني، وفي هذا تخفيف على أعضاء النطق؛ إذ تلتقي مرة واحدة بدلاً من مرتين، والفرق بين لقاؤها لنطق الصوت الواحد ولقاؤها لنطق الصوتين معاً هو فرق كمّي من حيث زمن اللقاء، فكأنه من الناحية الصوتية صوت واحد أطيل له لقاء أعضاء النطق ولكنه من الناحية الوظيفية صوتان^(٣).

ومن أجل أن الصوتين يظهران من الناحية الصوتية صوتاً واحداً اكتفي برسم واحد يمثل الصوتين المدغمين، وهذا له فوائده التي تظهر في دفع الوهم أن أولهما متحرك.

قال ابن درستويه: "فمما تحذف لاجتماع الأشباه كل حرفين ادّغما من كلمة واحدة فإنهما يكتبان حرفاً واحداً، صحيحاً كان ذلك أو معتلاً، لأنهم كرهوا في الكتاب ما كرهوا في الكلام من التضعيف وذلك مثل: (دال) مدّ، و(راء) فرّ، و(ميم) محمّد الثانية، و(تاء) اتّزر. و(دال) ادّكر، ومثل: (واو) عدوّ، وسموّ، و(ياء) بختيّ، ومرمي^(٤)."

والادغام يقع للصوتين في كلمة صرفية واحدة، ويقع أيضاً للصوتين من كلمتين صرفيتين بأن يكون أولهما نهاية الكلمة الأولى وثانيهما بداية الكلمة الثانية، قال ابن درستويه: "فإن وقع الادّغام في حرفين من كلمتين لم يجب الحذف لأن ذلك لا يلزمها في كل موضع؛ إذ كانا قد يفترقان فكأنه لم

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب ٦٦ - ٦٧.

(٢) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، التكملة، تحقيق: حسن الشاذلي فرهود (ط١)، جامعة الرياض / الرياض، ١٩٨١ م. ٢٧٣.

(٣) أبو أوس إبراهيم الشمسان، دروس في علم الصرف (ط١)، مكتبة الرشد / الرياض، ١٩٩٧ م. ٢: ١٢٦.

(٤) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ٦٤ - ٦٥.

تجتمع الأشباه، وذلك مثل لام التعريف إذا ادّغمت مع غير اللام كقولك السّلام والرّحمن والسّراط، فهذه اللام تثبت في الكتاب لأنها تفارق ما دخلت عليه ولأنها جاءت لمعنى لا يعلم إلا بها. وكذلك هي إذا ادّغمت في لام كقولك: الله والليل واللهو تثبت هنا كما تثبت في غير الادّغام في مثل: المال والخير^(١).

فعلى الرغم من تماثل لام التعريف واللام التي في بداية الاسم خطأ فإنهم لم يكتفوا بلام واحدة لأن الإدغام بين صوتين من كلمتين، وهذا اللقاء مؤقت. واجتماع اللامين هنا من مواطن قبول المتماثلات خطأ. ومثل اللامين الكافان في قوله تعالى: يدرككم الموت، قال ابن درستويه: "لا يكتب ذلك إلا على البيان ولا يحذف لأن هذا الضمير يفارق الفعل فيكون مرة وأواً ومرة نوناً مثل: فعلوا وفعلن ولا يلزم، فحكمه حكم المنفصل"^(٢).

واستثنى ابن درستويه من هذه القاعدة ما تعمد كتابته برسم واحد لغرض نحويّ أو حكاية لغة مما لا يتبين المقصود به إلا بذلك الرسم مثل (هتدنو) في قول الشماخ:

وظلّت بيمؤدٍ كأنّ عيونهما إلى الشمس هتدنوركيّ نواكزُ

أي: هل تدنو. كتبت اللام المدغمة تاءً وكتبت مع ما ادّغمت فيه وهما كلمتان منفصلتان؛ لأن هذا الإدغام لا يتبين للقارئ فهو غير مقيس.

ويدخل في قاعدة المدغمين ما يمكن أن يكون مخالفاً للقاعدة السابقة وهو كون المدغمين من كلمتين منفصلتين لا يحذف أحدهما، وذلك إذا كان بينهما من التلازم ما يجعلهما في منزلة الكلمة الواحدة، قال ابن درستويه: "فأما ما أجري في الخط من المدغم في كلمتين مجرى المدغم في كلمة واحدة: كهلا وإلاً وعمّا وعمّن ومّا ومّمّن ولما وأمّا فقد مضى تفسيره"^(٣).

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ٦٤ - ٦٥.

(٢) السابق، ص ٦٥.

(٣) السابق، ص ٦٦.

:

يتخلص الكتاب من التماثلات خطأً وما يشبه التماثلات لأغراض مختلفة غير الإدغام منها خشية اللبس، ومنها كراهة التماثل نفسه، ولهم في ذلك طريقتان إحداهما حذف الحرف، والأخرى تغيير صورته.

:

تحذف الألف أو الواو أو الياء أو ما اجتمع معها مما يشابهها في الخط. وقد يجتمع متماثلان أو أكثر. وهذه أشيع الطريقتين.

:/

ويشمل هذا حذف الألف وهمزة الوصل أو القطع وكذلك اللام.

١/أ- الحذف مما اجتمع فيه ألفان

وهو يشمل الألف رمز المد أو رمز الهمزة .

١/أ- ١ : حذف الألف

تكتب الهمزة التي تسهل على صورة ما تسهل إليه^(١)، ومن ذلك الهمزة المتطرفة بعد ساكن إن كان الاسم منصوباً منوئاً، قال ابن السراج: "فإن كان في موضع يلحقه التنوين جعلت الهمزة ألفاً وأثبتت بعدها ألف النصب وذلك قولك: رأيت جزءاً، وإنما حذفوا أحد الألفين في الخط لئلا يجمعوا بين صورتين، وكذلك: برأت برءاً، أبدلت من الهمزة ألفاً؛ لأن ألف النصب قد وقعت بعدها فصارت في حشو الكلام ولم تكن طرفاً"^(٢). ومن ذلك الهمزة التي تأتي بعد ألف، قال ابن السراج: "فإن كان قبلها ألف كتبتها ألفاً نحو: كساء، ورداء، وسقاء، وكان الأصل أن يكتب ألفين، ولكن حذفوا كيلاً يجمعوا بين صورتين"^(٣). وقال الرضي: "وكذا يكتب الوسط الذي قبله ألف باعتبار

(١) ابن السراج، كتاب الخط، ١١٧.

(٢) السابق، ص.ن.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، ١١٨.

:

حركته ؛ لأن تخفيفه باعتبارها فيكتب نحو سأل بالألف التساؤل بالواو وسائل بالياء^(١) ؛ ولكن أكثرهم يتجنبون اجتماع الألفات في الخط ، قال الرضي : " والأكثر على ترك صورة الهمزة المفتوحة بعد الألف استئقالا للألفين ؛ فيكتبون ساءل بألف واحدة"^(٢) . وقد سبق تصريح ابن السراج بذلك في قوله : " والمسألة والملازمة بألف واحدة كراهة اجتماع حرفين من صورة ، وكذلك سأله ، فإذا قالوا : يسأله كتبت بياء بعد ألف ، لأنه لا يجتمع ألفان ، وكذلك تساءلوا تساؤلاً ، لأنه لم يجتمع حرفان"^(٣) . ولتوضيح أمثلة ابن السراج نكتبها بصورتها :

المسألة ← المسألة

الملازمة ← الملازمة

سأله ← سأله

واللبس والإشكال ظاهر في هذا الرسم .

ومثل حذف الألف ابن درستويه في قوله : " فمن ذلك إحدى الألفين في مثل : آدم ، وآخر ، وأمر ، وآئب^(٤) . وفي مثل : البراءة والقراءة والفجاءة . وفي مثل : ألاف وأجام وأبار . ومثل : الاسأر مصدر أسأرت ، وقوله : (يسألون عن أنبائكم) ، وهما يقرآن"^(٥) .

وليس التخلص من اجتماع الألفين على إطلاقه بل لهذه القاعدة استثناءات يدعو إليها اللبس

فعند مخافة اللبس يلتزم بالأصل . ويمكن أن نفصل هذه الأمثلة في هذا الجدول :

(١) الرضي ، شرح الشافية ، ٣/٣٢١ .

(٢) السابق ، ص.ن .

(٣) ابن السراج ، كتاب الخط ١٢١ .

(٤) هكذا في المطبوع ولعله خطأ مطبعي صحته : آدم ، آخر ، أمر ، آئب . والدليل ورود الكلمات بعد ذلك بهمزة بألف واحدة دون علامة المد .

(٥) ابن درستويه ، كتاب الكتاب ، ص ٦٧ . و(الاسأر) هكذا في المطبوع والصواب (الإسأر) ، و(يقرآن) لعلها : يقرآن .

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
كل اسم أوله همزة بعدها ألف منقلبة	أدم [آدم]، أخر [آخر]	أ ادم، أ اخر
كل اسم أوله همزة بعدها ألف مزيدة	أمر [آمر]، أثب [آثب]	أ امر، أ أثب
كل اسم منته بهمزة قبلها ألف	البراءة القراءة الفجاءة	البراءة القراءة الفجاءة
كل اسم أوله همزة بعدها ألف منقلبة	ألاف [آلاف] أجام [آجام] أبار [آبار]	أ الاف أ اجام أ ابار
كل اسم عينه همزة بعدها ألف مزيدة	إسأر [إسأر]	إسأر
كل اسم منته بهمزة قبلها ألف	أنباء	أنبا أ
المضارع لامة همزة مسند لألف اثنين مرفوع	يقرآن [يقرآن]	يقرأ أن

يفسر لنا حذف الألف في نهاية الكلمة جانباً من علة التعدد في شكل رسم الهمزة، وهو تعدد يجد المتعلمون فيه عتناً، قال الرضي: "وكان قياس نحو السماء والبناء أن تكتب همزته بالألف؛ لأن الأكثر قلب مثلها ألفاً كما مرّ في الوقف في باب تخفيف الهمزة^(١)؛ لكنه استكره صورة ألفين، كما

(١) أشهر حالات الوقف إنما هو بالسكون فإذا سكنت الهمزة المسبوقة بألف قلبت ألفاً ولا إشكال في هذا إذ الألف تحتمل هذا فهي تعد بمقدار ألفين، ويجوز حذف إحداهما فتظهر الألف مدأً طبيعياً. أما إذا كانت منونة منصوبة فإنها غير متطرفة لذا لا تقلب ألفاً بل يقلب التنوين بعدها ألفاً. (الرضي، شرح الشافية، ٤٤/٣).

:

مرّ، ولذا لم تكتب في نحو قولك: علمت نبئاً؛ صورة للهمزة^(١). وهذا إيضاح قول الرضي:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
السما أ	السماء	اسم منته بهمزة مسبوقه بألف
البناء أ	البناء	اسم منته بهمزة مسبوقه بألف
نبأ أ	نبئاً	اسم منته بهمزة وهو منصوب منون

ومما قد يحذف، الهمزة بعد همزة الاستفهام. قال ابن السراج: "فإذا أدخلت ألف الاستفهام على إبراهيم وإسماعيل فزعم الكسائي أنهم قد يحذفون الهمزة، وإن كانت مكسورة أو مضمومة إذا كانت في اسم معلوم"^(٢).

أ/١ - ٢: حذف همزة الوصل

تدخل همزة الوصل على فعل الأمر من الثلاثي، فإن كان مما فاءؤه همزة قلبت الهمزة الثانية حرف علة ملائماً لحركة همزة الوصل، فمن الفعل (يأتي) تقول: ايت، ومن الفعل (يأجر) تقول: اوجر؛ وذلك تخلصاً من اجتماع التماثلات^(٣) لفظاً. فإذا أدخلت الواو أو الفاء على الفعل ارتفعت الحاجة إلى همزة الوصل فلم تذكر في اللفظ، فنطقت الهمزة دون إعلال لتخلف سببه. ولما كانت الكتابة معتمداً فيها شكلها عند البدء بها أبقوا على رسم همزة الوصل؛ غير أنهم حذفوه حين تجاور ألفان: همزة الوصل والهمزة التي هي فاء الفعل، قال ابن درستويه: "ويحذف ألف الوصل أيضاً من كل فعل أوله همزة إذا وقع قبلها حرف لا ينفرد كالفاء والباء ولام القسم وذلك قولك: زيداً فأتمن، وعمراً فأمر. لما سقطت ألف الوصل كتبت الهمزة ألفاً لأن ما قبلها لا ينفرد وهي تتبع حركة ما

(١) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢١ - ٣٢٢. والقياس في كتابة (نبئا) هو (نبأ).

(٢) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢١ - ٣٢٢. والقياس في كتابة (نبئا) هو (نبأ).

قبلها"^(١). وقال ابن مالك: "إلا إنها إن كانت همزة وصل حذف بين الفاء أو الواو وبين همزة هي فاء"^(٢).

١/أ- ٣: حذف همزة القطع

تدخل همزة الاستفهام على لفظ أوله همزة قطع مفتوحة فيجتمع من ذلك تماثل لفظي وخطي، وقد اختلفوا في أمر هذا التماثل الخطي فمنهم من أبقاه ومنهم من تخلص منه، قال ابن السراج: "فإن بعض الكتاب يشبها جميعاً لتدل على الاستفهام نحو قول الله عز وجل أنت قلت للناس [١١٦- المائة]، أنذرتهم [٦- البقرة]. ألا ترى أنك لو كتبت: أنت قلت للناس، بألف واحدة لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق، وبعضهم يقتصر على واحدة، وينبغي لمن فعل ذلك أن يعلم علامة تدل على سقوط الألف"^(٣).

١/أ- ٤: الألف بعد ألف النداء:

أورد ابن السراج قول أحمد بن يحيى، قال: "وإذا جاءوا بألف بعد ألف النداء مثل يابراهيم وياسماعيل، وياسحق وما أشبهه، خفيفة كانت أو ثقيلة، ألف وصل كانت أو غير وصل فإنهم لا يجمعون بين ألفين فيحذفون الثانية، فإن شئت قلت: اكتفوا بالصورة من الصور وإن شئت قلت أرادوا لأن يخلطوا الذي بعدها بالاسم مثل: ياسحق ويابراهيم"^(٤).

١/أ- ٥: حذف الألف بعد (ها) التنبيه:

جاء عند ابن السراج: "قال الكسائي في (هانتهم) (ها) حذفوا ألف (ها) قال: وليس هذا بشيء، إنما حذفوا الهمز، والدليل على أنهم لم يحذفوا (ها) أنهم يقولون: (ها نحن نقول ذاك)

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٧٧.

(٢) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٣٣٥.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط، ص ١٢٢.

(٤) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٥) وردت في النص المطبوع (هاشم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبت.

:

فيثبتون ألف (ها) فدل على أن الهمزة مع (أنا وأنتم) هي المحذوفة لا الأولى^(١). يستثنى من ذلك ما بعد (أيها) قال: "ويكتبون أيها الرجل، وأيها الأمير، بألف وقد كتبت في المصحف بألف وبغير ألف"^(٢).

١/ب- حذف ما اجتمع فيه ثلاثة أشباه:

إن يكن حذف الحرف يكون لاجتماع مثلين فإن حذفه لاجتماع ثلاثة أولى.

١/ب- ١ حذف الألف:

جاء عند ابن السراج: "وكذلك إن كانت ثلاث ألفات كقولك: سواء عليّ آمنت أم لم تؤمن، لم يعلقوا عليه إلا ألفاً واحدة، كما حذفوا من آخر الكلام من عطاء، وكساء، في النصب"^(٣). مثل لذلك ابن درستويه في قوله: "وأما ما اجتمعت فيه ثلاثة أشباه فيحذف منها واحد، فمثل الألفات في (القراءات والبراءات والفجاءات)، وقد جاء كلاهما وشاءا ولن يشاءا، ومثل الممدود كله إذا نُصب وُتُون كقولك: ماءً ولبست رداءً وأعطيته إعطاءً، ومثل الهمزتين يفصل بينهما بألف كقوله: آنت أم أمّ سالم"^(٤). وهذا جدول يبين أمثلة ابن درستويه:

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٢) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٨.

(٣) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٧.

(٤) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٦٨ - ٦٩. وانظر ابن السراج، كتاب الخط: ١١٨.

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
المجموع بألف وتاء مفردة ممدودة	القراءات البراءات الفجاءات	القراءات البراءات الفجاءات
فعل لامه همزة قبلها ألف مسند إلى ألف اثنين	جاء شاء لن يشاء	جاء شاء لن يشاء
اسم منصوب لامه همزة قبلها ألف	ماء	ما أ
اسم ممدود منصوب	رداء إعطاء	رد أ إعطاء أ
همزتان فصل بينهما بألف	آ أنت	أ أنت

ويفسر هذا الحذف بعضَ القضايا الإملائية ؛ فمن المعروف أن كل اسم منصوب منون ينتهي بألف بعد التنوين ؛ لأن الوقف على التنوين يكون بقلبه ألفاً ، واستثنى من رسم هذه الألف الكلمات المنتهية بهمزة قبلها ألف فإن التنوين يكون على الهمزة ولا ألف بعدها ، والعلة كما هو مبين هنا هي كراهة اجتماع الألفات.

١/ت : ما حذف لاجتماع ما كأنه ثلاثة أشباه في كلمة :

قال ابن درستويه : " وقد يشبه بالأشباه ما قاربها وبجروف اللين ما ليس منها في بعض المواضع فتجرى مجراها في الحذف" (١).

(١) ابن درستويه ، كتاب الكتاب ، ص ٦٩ .

١/ت- ١ حذف الألف

قال ابن قتيبة: "والألف مع اللام اللتان للتعريف إذا أدخلت عليهما لام الجر حذفتهما فقلت هذه للقوم وللغلام وللناس"^(١).

وابن قتيبة في النص السابق يصف الظاهرة دون تعليل لحديثها، وعلتها ما نقله ابن السراج عن الفراء قال: "قال الفراء: كرهوا أن يجيئوا بلام، ألف، لام، فيكون كأنها قد اجتمعت ثلاث لامات؛ لأن الألف كصورة اللام"^(٢).

وقال ابن درستويه، قال: "لأنها تقارب اللام في النسبة. وهي حرف وصل وكثيرة الاستعمال وذلك قولك: للمرء أفضل من المرأة، وللمرء على المرأة فضل. فكأن لامي القسم والإضافة ها هنا مشبهتان بهمزة الاستفهام في قول الله عز وجلّ الله أذن لكم ونحوه. وكذلك ألف الوصل في (ايم الله وايمين الله)؛ لأنها مفتوحة كألف اللام وهي كثيرة الاستعمال فتجري مجراها فيكتب (ليم الله وليمن الله)"^(٣).

ويلفت ابن السراج الانتباه إلى علة أخرى لحذف همزة الوصل، قال: "والكلام البين في هذا أنهم لو أثبتوا الألف في الخط لوجب أن يكتبوا للرجل، لا أَلرَجَل فيصير مثل لا لِرَجَلٍ^(٤) إذا نفيت فيلبس فحذفوا اللبس"^(٥). وأضاف علة أخرى قال: "ولأن القياس يوجب أن تحذف هذه الألف مع

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩.

(٢) ابن السراج، كتاب الخط ١٢٢. وهو ينقل علة أخرى عن المبرد وهي علة تناسب تفكير النحوي لا مستخدم اللغة قال: "قال محمد بن يزيد: فأما كتبهم: لله وللرجل بوصل اللام وإسقاط الألف وكتبهم بالله بإثبات الألف وكذلك كالرجل فإنما جعلوا اللام مع ما بعدها كالشيء الواحد لأنها بدل من الإضافة، ألا ترى أنك تقول: هذا غلام زيد فيصيران اسماً واحداً، كما تقول هذا زيد.. وإنما تقديره: غلام لزيد، فيدخل كل مضاف على عبارة اللام، فلذلك كانت مع ما بعدها بمنزلة الشيء الواحد ألا ترى أنك تقول: هذا غلامك، فتصير كأنها من بعض حروف الغلام من أجل الإضافة". ص ١٢٦.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩ - ٧٠.

(٤) هكذا في النص المطبوع ولعل الصواب: لالرجل فيصير مثل لا لرجل.

(٥) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٢. ولعلها (اللبس).

جميع الحروف المتصلة بها التي لا تتفرد بأنفسها"^(١). ولعله يعني أن الأصل في الألف المتوسطة في الكلمة أنها تحذف إن كانت بعد غير الأحرف الخمسة وهي الدال والذال والراء والزاء والواو. وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
للمرء	للمرء	اسم معرف بأل دخلت عليه لام توكيد
للمرء	للمرء	اسم معرف بأل دخلت عليه لام الجر
أالله	الله	همزة استفهام دخلت على (أل)
لايم الله	ليم الله	لام التوكيد دخلت على (ايم)
لايمن الله	ليمن	لام التوكيد دخلت على (ايمين)

وهذا الحذف مقصور على الألف الواقعة بين اللامين إذ لا تحذف الألف بعد أي حرف من الحروف التي توصل بالكلمة لأن ذلك لا يؤدي إلى تشابه في الشكل. قال ابن قتيبة: "فإن أدخلت عليها باء الصفة لم تحذفها فكتبت بالقوم وبالغلام وبالناس"^(٢). وهو أيضا مقصور على الألف من (أل التعريف) "فإن جاءت ألف ولام من نفس الحرف وليستا للتعريف نحو الألف واللام اللتين في: التقاء والتفات والتباس ثم أدخلت عليهما لام الصفة وباء الصفة أثبت الألف نحو قولك بالتقائنا ولالتقائنا ولالتباس الأمر علي وبالتباسه؛ لأنهما من نفس الحرف وليستا بزائدين"^(٣).

(١) ابن السراج، كتاب الخط، ١٢٢.

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩. وانظر ابن السراج، كتاب الخط، ص ١٢٢.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩.

:

وقد نقل ابن الدهان هذا عن ابن قتيبة بأمثله المذكورة آنفاً^(١).
ويبين ابن قتيبة أن الهمزة في مثل تلك الألفاظ لا تحذف إن دخلت عليها (أل التعريف)، نحو:
الالتقاء، والالتباس، والالتفات، والالتجاء، والالتهاء، والالتياح.
وقد تدخل اللام على هذه الأسماء المعرفة فتحذف همزة (أل) قياساً فيقال: للالتقاء^(٢).

١/ت- ٢ حذف (أل):

قال ابن درستويه: "واعلم أنه إذا دخلت الألف واللام على كلمة أولها لام ودخلت عليهما إحدى لامي القسم والإضافة حذفت مع ألف الوصل لام، وهي التي في أول الكلمة لأن ذلك عندهم كاجتماع أربعة أشباه فحذفوا اثنين كقوله الله على الناس. وللذين يولون من نسائهم وللليل أخفى للويل. ويستوي التثنية والجمع المذكر والمؤنث في هذا الموضع في الذي كقولك: للذي وللتي، وللذين وللذين وللتين ولا فرق بين ذلك إلا بالشكل"^(٣).

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
لام دخلت على ألف بعدها لآمان	لله	لآله
	للليل	لآليل
	للذي	لآلذي
	للتي	لآلتي
	للذين	لآلذين
	للتين	لآلتين

(١) ابن الدهان، باب الهجاء، ص ١٣.

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٠.

١/ث: ما حذف لاجتماع ما كأنه أشباه في كلمتين

١/ث- ١ حذف الألف:

قال ابن درستويه: "ومما يشبه باجتماع الأمثال في كلمة وإن كان في كلمتين فيجري مجرى ذلك في الحذف كل كلمة كانت في أولها ألفان ولحقتها همزة الاستفهام مثل: أأمنتُم له قبل أن آذن لكم، وقولك: أأمر أنت أم ناه، وأأخذ أنت أم معط. ولا يكتب ذلك إلا بألفين، ومنه كلمة أولها ألف وصل ولحقتها همزة الاستفهام فحذفت الصلة كما تقدم تفسيره في باب الهمزة"^(١).

وهذا جدول يبين أمثلة ابن درستويه:

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
همزة استفهام دخلت على همزة بعدها ألف منقلبة	أأمنتُم	أأمنتُم
همزة استفهام دخلت على همزة بعدها ألف زائدة	أأمر أأخذ	أأمر أأخذ

والمتأمل في هذه الأمثلة يجد أنها من قبيل حذف الألف لاجتماع ألفين لا ثلاثة لأن الحذف

سابق على دخول همزة الاستفهام.

أما دخول همزة الاستفهام على كلمة تبدأ بهمزة وصل فمثاله:

أ+ انطلق ← أنطلق

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧١.

١/ث- ٢ حذف ألف حرف النداء:

قال ابن درستويه: "ومنه حرف النداء فإنه يحذف ألفه إذا وقعت بعدها كلمة أولها همزة قطع وتختلف صورة الهمزة مكانها كقوله: يا أبت^(١) لا تعبد الشيطان ، وكقولهم: يأمتا ويأخيّ ويأخي بالتصغير والتكبير ويأؤلا ويأيتها الرجل ويأيتها المرأة"^(٢).

وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
ألف حرف النداء بعده همزة	يا أبت	يا أبت
	يا أمتا	يا أمتا
	يا أخي	يا أخيّ
	يا أخي	يا أخي
	يا أولا	يا أولا

١/ث- ٣ حذف همزة الوصل بعد حرف النداء

قال ابن درستويه: "وإن وقعت بعدها ألف وصل أثبتت ألف (يا) وحذف ألف الوصل لأن الزائد بالحذف أولى كقولك: يا بن الأكرمين ويأمرأة فلان. وكقوله: (ألا ياسجدوا لله)، وكقولك: يا لله في لغة من وصل^(٣). ولأنها تسقط من اللفظ أيضا كقول الراجز:

(١) هكذا في المطبوع ولعلها الصورة قبل الحذف أما بعد الحذف (يا أبت).

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧١.

(٣) ذكر سيبويه أن الاسم المحلى بـ (أل) لا ينادى واستثنى من ذلك لفظ الجلالة (الله)؛ لملازمتها له كأنها جزء منه فهي خلف من الهمزة المحذوفة، الكتاب، ص ١٩٥. وقال ابن جنبي: "إلا أنهم قالوا: يا الله، اغفر لي - بقطع الهمزة ووصلها - فجاء هذا في اسم الله تعالى خاصة، لكثرة استعماله، ولأن الألف واللام صارتا فيه بدلا من همزة (إلاه) في الأصل"، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس (دار الكتب الثقافية/ الكويت، ١٩٧٢)، ص ١١٢.

إني إذا ما لم ألمّ أقول يا للهّمّ يا للهّمّ

ومن ذلك قول الشاعر:

من اجلك يالتي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالود عني

وقول ذي الرمة:

ألا يا سلمى يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً بجرائك القطر

كانهم فعلوا هذا لاجتماع الألفين مع كثرة الاستعمال، ولم يريدوا إجراء هذا مجرى همزة الاستفهام؛ لأن تلك على حرف واحد وهذه حرفان بمنزلة (ها) في التنبيه، فإذا حذف أحدهما خلفه الآخر ودلّ عليه^(١).

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
	يابن	يا ابن
ألف (يا) دخلت على اسم يبدأ بهمزة وصل.	يامرأة	يا امرأة
ألف (يا) دخلت على فعل يبدأ بهمزة وصل.	ياسجدوا	يا اسجدوا
	ياالله	يا الله
ألف (يا) دخلت على اسم يبدأ بهمزة وصل (أل).	يااللهّم	يا اللهّم
	يالتي	يا التي
ألف (يا) دخلت على فعل يبدأ بهمزة وصل.	ياسلمى	يا اسلمى

١/ث - ٤ حذف ألف (ها) التنبيه

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧١ - ٧٢.

:

قال ابن درستويه: "وتحذف الألف من حرف التنبيه إذا وقعت بعدها همزة من أول اسم مضمّر أو ألف وصل لكثرة استعمال التنبيه معها ولا اجتماع المثليين وذلك قولك: هأنذا هآك [هكذا في النص المطبوع] في قول من مدّ وفتح، وهأنتم ولا هآلله ذا، والمحدوفة ههنا ألف الوصل"^(١).
وهذا جدول يشرح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
ها أنا ذا	هأنا ذا	ألف حرف التنبيه بعدها همزة ضمير
ها أنتم	هأنتم	
ها الله ذا	هآلله ذا	ألف حرف التنبيه بعدها همزة وصل

١/ث - ٥ حذف صورة الهمزة من (أن) في (لثلا)

علل ابن الحاجب هذا الحذف بغير علة منها كراهة صورته؛ أي لو كتب على هذه الصورة (لأ) لا^(٢).

١/ج: ما حذف شدوذًا تشبيهاً باجتماع الأشباه

ذكر ابن درستويه طائفة من الألفاظ حذف منها على جهة الشذوذ إذ لا نظير لذلك الحذف،

ومن ذلك:

- الاسمان: إله، و(الله)، قال ابن درستويه: "ألف إله التي بعد اللام إنما هو في اللفظ

(إلاه) كما ترى، وكذلك نفعل إذا لحق الاسم الألف واللام فيكتب (الله) وهو في اللفظ (اللاه)"^(٣).

- (العالمين)، قال ابن درستويه: "ومنه ألف العلمين التي بعد العين، وإنما فعل ذلك لما كان

في أول الاسم ألف ولام وفي آخره واو ونون فطال وكثر استعماله مع ذلك حتى عرف، وقاربت

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٢.

(٢) الرضي، شرح الشافية، ٣/٣٢٤.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٢ - ٧٣.

الألف اللام في الصورة وكثرت الأشباه فيه ولم يلبس حين حذف... وعلى هذا القياس حذف من كل صفة كثيرة الاستعمال من أسماء الفاعلين إذا اجتمع فيها ما اجتمع في العالمين كالصلحين وهو شاذ لا يقاس عليه"^(١).

- (السموات)، قال ابن درستويه: "وقد كتبوا: السموات بحذف الألف وهي أبعد لأن بين الألفين واوًا وإن كان في أولها ألف التعريف، وفي آخرها علامة الجمع"^(٢).

- (الملائكة): وعلى هذا حذفوا الألف من الملائكة بعد اللام لأنها جمع أيضًا وفي آخرها تأنيث وكثر استعمالها"^(٣).

- (السلام): وكذلك (سلم عليك) في صدور الكتب؛ و(السلم عليك) لكثرة الاستعمال، وأن الألف كاللام في الصورة فحذفت في التحية"^(٤).

- (الثلاثاء): قال ابن درستويه "ومما أجري هذا المجرى من أسماء الأيام: الثلاثاء، لكثرة الألفات واللامات فيه مع اجتماع علامة التعريف والتأنيث فحذفت منه الألف التي بين اللام والثاء"^(٥).

- (الآلاف)، قال ابن درستويه: "ومن ذلك حذف الألف (الآلاف) جمع ألف، إذ كان العدد مضافًا إليها؛ لأن ما قبل العدد يوضح المعنى، وذلك ثلاثة ألف وأربعة ألف إلى العشرة. فإن لم يضاف إليها العدد ثبتت فيها الألف واللام وكتبت: هي الآلاف التي تعرف، وهذه الافك لثلاث تلبس بالواحد"^(٦).

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

(٣) السابق، ص.ن.

(٤) السابق، ص.ن.

(٥) السابق، ص.ن.

(٦) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٣.

:

- (ثلاث/ثلاثة، ثلاثون): قال ابن درستويه: "ومنه (ثلاث) في العدد إذا أضيفت إلى المعدود حذف منها الألف فكتب (ثلاث نسوة وثلثمائة)؛ لأن ما بعدها يوضحها، فإن أفردت أثبتت الألف لثلاث تشبه (الثلاث) الذي هو بعض الشيء... وإن كانت صفة حذف أيضا كقولك: النسوة الثلاث والقوى الثلاث. فأما (ثلاثة) فحذف منها الألف مفردة ومضافة، وكذلك (ثلاثون)؛ لأن في لفظها علامة تأنيث وجمع، وإنما حذفوا ذلك لكثرة استعمال العدد وكراهية اجتماع ما أشبه المثليين مع أن معناه معروف"^(١). وهذا جدول يشرح الأمثلة السابقة:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
إلاه	إله	ألف بعد همزة قطع ولام.
اللاه	الله	ألف بعد لامين وهمزة وصل.
العالمين الصالحين	العلمين الصلحين	ألف بين (أل) ولام.
السموات	السموات	ألف بعدها ألف مفصولة عنها بحرف.
الملائكة	الملائكة	ألف بين لام وهمزة.
سلام عليك السلام عليك	سلم عليك السلم عليك	ألف بعد لام.
الثلاثاء	الثلاثاء	ألف بعد لام وبعدها ألف.
الآلاف	الآلف	ألف بعد لام وألف.
ثلاث ثلاثة ثلاثون	ثلاث ثلاثة ثلاثون	ألف بعد لام.

(١) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٧٤.

:/

٢/أ: حذف إحدى الواوين

وعلى نحو ما كره اجتماع الألفات في الخط كره أيضاً اجتماع الواوات ، سواء كانت واوات في اللفظ ، أم إحداها رمز للهمزة ، قال ابن السراج : "فأما الواو فنحو: مقروء ، وكان الأصل أن يكتب بواوين ولكن كره لاجتماع الصورتين"^(١) . وعند الإضافة إلى ضمير "قلت في مقروء : هذا مقروءك ، ومقرؤه ، وتكتب بواو واحدة كما كتبت قبل الإضافة"^(٢) . ومثل له ابن درستويه في قوله : "وأما إحدى الواوين في مثل : داود ، وطاوس ومؤنة وشؤون ورؤس ومسؤل وشاؤا وجاؤا جميعاً ، وهم يجيئون ، ويسيون"^(٣) ويقروءن ويستون ويجتون وهم مجتون ولم يستوا ؛ حذفوا كل ذلك لاجتماع الواوين وانضمام إحدهما"^(٤) . وذكر ابن السراج أن الأقيس في حذف إحدى الواوين إذا ضمت الواو الأولى ، وذكر أن منهم من يكتب نحو الأمثلة المذكورة بواوين"^(٥) . وذكر أنهم أوجبوا الكتابة بواوين إذا انفتحت الواو الأولى ، نحو : احتووا واستووا ، واكتووا"^(٦) ، وعلل ذلك بقوله : " وإنما فعلوا ذلك لأن بين الواوين حرفاً قد سقط وهو الألف ، كان الأصل : احتوى واستوى ، واكتوى ، فلما دخلت الواو حذفت الألف ، فلهذا جمعوا بين الواوين"^(٧) . وذكر ابن درستويه مواضع يجمع فيها بين الواوين وعلل ذلك"^(٨) .

(١) ابن السراج ، كتاب الخط : ١١٨ .

(٢) السابق : ١١٨ - ١١٩ .

(٣) هكذا في المطبوع ولعلها : يجيئون ، ويسيون . وقد نسبه على خطأ بعض الكاتبين أبو تراب الظاهري ، انظر : لجام الأقلام (ط١ ، تهامة جدة ، ١٩٨٣) ، ص ١٦ . وانظر : ص ٢٤ وفيه نقل نص تخطيطة الأمير في حاشيته على المغني لمن يكتب الهمزة ياء مثل (مسئول) .

(٤) ابن درستويه ، كتاب الكتاب : ٦٧ .

(٥) ابن السراج ، كتاب الخط : ١٢٧ .

(٦) السابق ، ص.ن.

(٧) السابق ، ص.ن.

(٨) ابن درستويه ، كتاب الكتاب : ٦٧ .

:

وهذا جدول بتفصيل ما أجمله ابن درستويه :

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
الاسم المتضمن واوين متجاورتين	داود طاوس	داوود طاووس
الاسم فيه همزة مضمونة بعدها واو	مؤنة شؤن رؤوس مسؤل	مؤونة شؤون رؤوس مسؤول
الفعل مهموز اللام مسند لواو الجماعة	شاؤا جاؤا يجيؤن يسيؤن	شاؤوا جاؤوا يجيؤون يسيؤون
فعل لفيف عينه واو مسند لواو الجماعة	يقرؤن يجتون	يقرؤون يجتوون
جمع مذكر سالم لمنقوص لامه ياء	مجتون	مجتوون
فعل لفيف عينه واو مسند لواو الجماعة	لم يستوا	لم يستووا

والتقت الأمثال في هذا الجدول إما بسبب أن الهمزة رسمت على واو لأنها تؤول إلى الواو عند التسهيل وجاء بعدها واو، وهذا في مثل رؤوس، وإما لأن الكلمة بنيت على تجاور واوين مثل:

داوود، وإما لأن الكلمة حذف منها حرف لالتقاء الساكنين فتجاورت واوان بعد حذف ما كان حائلا بينهما مثل: يستوي+ون ← يستون ← يستون

وذكر ابن السراج أنهم اختلفوا في شؤون ورؤوس فكتبه بعضهم بواو واحدة وبعضهم بواوين^(١).

٢/ب: حذف إحدى ثلاث الواوات

مثل له ابن درستويه بقوله: "ومثل الواوات في المؤددة ويسوؤن وجوههم وينوؤن بالأعباء"^(٢).

الإيضاح	بعد الحذف	قبل الحذف
اسم على (مفعول) فاؤه واو وعينه همزة	المؤددة	المؤؤودة
فعل عينه واو ولامه همزة مسند لواو الجماعة	يسوؤن ينوؤن	يسوؤون ينوؤون

:/

٣/أ: حذف إحدى الياءين

أشار الرضي إلى أن الأكثر في الياء أنها لا تحذف؛ لأن صورتها ليست مستقلة كالألف أو الواو ويين أن هذا هو معنى قول ابن الحاجب أن الياء قد تكتب^(٣). ومع هذا نجدهم قد يحذفون الياء كراهة اجتماع المثلين. قال ابن السراج عن كتابة الهمزة: "وكذلك التي قبلها ياء ساكنة تكتبها ياء واحدة نحو: النشي لثلا يجمع بين صورتين، لأن الذين يخففون يقولون: النشي^(٤)، فيبدلون"^(٥).

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٠.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩.

(٣) الرضي، شرح الكافية، ٣: ٣٢٤.

(٤) كذا في المطبوع ولعل صوابه: النشي.

(٥) ابن السراج، كتاب الخط: ١١٨.

:

فالأصل في كتابة الكلمة إذن: النشئ فإذا سهلت الهمزة صارت: النشيبي؛ ولذلك حذفت الياء. وقال ابن السراج: "ويكتب مثل: جائي، وشائي بياء، وتجعل الياء بدلاً من الهمزة، لئلا يجمع بين شكلين"^(١).

وقد مثل له ابن درستويه في قوله: "وإحدى اليائين في مثل: الجائي، واللائي والمقرئين والمستهزئين للجميع تحذف لما قلنا"^(٢).

وذكر مواقع أخرى تبقى فيها على اجتماع اليائين وعلل لذلك كله^(٣). وذكر ابن السراج اختلافهم في (لئيم، ورئيس) فكتبه بعضهم بياء واحدة وكتبه بعضهم يائين^(٤). وهذا جدول يوضح أمثلة ابن درستويه:

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
الجائي	الجائ	المنقوص قبله همزة مكسورة
اللائي	اللائ	اسم منته بياء مد قبلها همزة مكسورة
المقرئين	المقرئين	جمع مذكر سالم غير مرفوع لمفرد منته بهمزة
المستهزئين	المستهزئين	مسبوقة بكسرة

٣/ب: حذف إحدى ثلاث الياءات

مثل له ابن درستويه في قوله: "ومثل الياءات في الياءات في النبيين والعليين وتجيئين وتفئين"^(٥).

(١) ابن السراج، كتاب الخط: ١٢٠.

(٢) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٨. ولعل الأمثلة هنا قبل حذف الياء.

(٣) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٨.

(٤) ابن السراج، كتاب الخط ١٢٠ - ١٢١.

(٥) ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص ٦٩.

ويبين هذا الجدول أمثلة ابن درستويه :

قبل الحذف	بعد الحذف	الإيضاح
النبيين	النبين	جمع مذكر سالم منصوب مفردة منته بياء مشددة
العليين	العلين	
تجئين	تجئن	فعل أجوف يائي مهموز اللام مسند لياء مخاطبة

والحق أن المثاليين الأول والثاني لا يعدان من قبيل حذف الياء لاجتماع ثلاث ياءات إذ الحذف سابق على وجود الياء الثالثة ؛ فالياء تحذف في حال الرفع ، والسبب في الحذف هو الإدغام الذي يكتفى فيه برسم حرف واحد للصوتين المثليين المدغمين في كلمة واحدة.

:

١ : كتابة الهمزة واوًا

من وسائل التخلص من اجتماع الألفين خطأ ما أورده ابن السراج : "فإذا قالوا: ياوخي كتبوه بواو لأنهم لم يجمعوا بين ألفين"^(١).

٢ : كتابة الياء ألفاً مشالة :

تكتب الألف إن كانت رابعة فأكثر ياءً ، قال النحاس : "فإن كان هذا يجاوز ثلاثة أحرف كتب بالياء فيما جاوز ثلاثة أحرف ، لأن الياء أخف من الواو ، فلما زاد على ثلاثة أحرف ثقل فحملوه على الألف ، وقيل لأنه يرجع في المستقبل إلى الياء ، وكذلك كتبوا : "يُعزى" بالياء اتباعاً للماضي

(١) ابن السراج ، كتاب الخط : ١٢٨ .

على هذا القول، وعلى القول الآخر لأنه قد جاوز الثلاثة^(١)؛ ولكن يستثنى من تلك القاعدة الجامعة التي فصلها النحاس الألف التي تسبقها الياء، فإنهم لا يكتبونها بالياء؛ وذلك تجنباً لاجتماع الياءات في الخط، قال النحاس: "ومما أجمعوا عليه مما كتب بالألف، وإن كان من ذوات الياء في موضع ما كان قبل آخره ياء كراهة الجمع بين ياءين، من ذلك نحو: (خطايا وزوايا) إذا كانت جمع خطيئة"^(٢).
ويصار إلى التخلص من التماثلات ما لم يحدث لبساً، فإن أحدث لبساً التزم بالرسم الممثل للقاعدة العامة، ومثال هذا رسم العلم (يحيى) فقد كتبوه بالياء إذا كان علماً فجمعوا بين يائين^(٣)، وهو يجعل هذا قاعدة، فما انتهى بألف قبلها ياء يكتب بالألف المشالة، فإن نقل للعلمية كتب بالياء، قال أبو جعفر: والقياس في هذا مستمر أنك إذا سميت بـ(يحيى) أو بـ(خطايا) أو بـ(زوايا) كتبت هذا كله بالياء، وجمعت بين يائين فرقاً بين التسمية وغيرها. فإن قلت: فلان يحيا حياة طيبة، كتبه بالألف لا غير^(٤). والحقيقة أنه لا لبس بين العلم وما ليس بعلم فالسياق كفيل بالتفريق بينهما.

تبين لنا من استعراض التماثلات الخطيئة أنّ علة وجودها مردّه إلى أمرين، أما أحدهما فهو التماثل الصوتي في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين، والآخر ازدواجية الرمز الخطي؛ إذ جعلت العربية الألف والواو والياء رموزاً للمدود والصوامت. ورأينا أن موقف الكتاب مختلف فمنهم من احتمل اجتماع التماثلات الخطيئة، ومنهم من تخلص منه وإن أدى هذا إلى اللبس، على أن قاعدة التخلص لم تكن مطّردة.

(١) النحاس، صناعة الكتاب، ص ١٣٤.

(٢) السابق، ص ١٣٥.

(٣) السابق، ص.ن.

(٤) السابق، ص ١٣٦.

ونجد أن كتب الإملاء الحديث استمرت في نقل ما ورد عند القدماء ؛ لذلك تعددت أشكال الكتابة.

أما مجمع اللغة العربية فله غير قرار يتعلق بالهمزة، الأول في ١٥/١/١٩٦٠م (الدورات ١- ٢٨)، ويتبين من هذا القرار أن المجمع لم يتابع تجنب بعض التماثلات الخطية سعياً منه إلى تسهيل كتابة الهمزة، من ذلك كتابة الكلمات: قرؤوا، شؤون، يبدؤون. ولكن المجمع في قراره الثاني في الدورة (٤٦) قرر أنه إذا ترتب على كتابة الهمزة توالي الأمثال كتبت الهمزة على السطر، مثل: يتساءلون، رءوس، إلا أن يوصل ما قبلها بما بعدها فإنها تكتب على نبرة مثل: بطئاً، شؤون، مسئول.

وقد تنبه بعض المهتمين بقضية الإملاء إلى المشكلة التي تواجه الكتابة العربية فناقشوا المسألة واقترحوا بعض الاقتراحات المفيدة، ولعل من الخير أن نذكر هنا ما يتصل بالتخلص من التماثلات خطأً.

عقد عبدالعليم إبراهيم في كتابه (الإملاء والترقيم في الكتابة العربية) فصلاً ناقش فيه قواعد الإملاء. ومنها كتابة الكلمة المبدوءة بهمزة فهي ترسم على ألف وإن اتصل بالكلمة حرف كالواو أو السين، أما إن دخلت عليها همزة الاستفهام عدت همزتها عندهم متوسطة ؛ ولذلك يتخلص من ألفها وترسم حسب حركتها فقد ترسم واواً أو ياءاً. وهو يتعجب من هذه القاعدة ويتساءل عن الفرق بين همزة الاستفهام وغيرها من الحروف^(١)، وتساؤله إنكاري لا استفهامي ؛ إذ لعله يعلم أن التماثل الخطي هو علة التخلص من الألف. ويبين بعد ذلك ما يتولد من صعوبات هذا الإجراء منها إكثار القواعد، وإرباك المتعلم لتغير صورة الكلمة، والخلط بين الكلمات الصرفية ؛ إذ قد يعتقد المتعلم أن همزة الاستفهام جزء من الكلمة التي دخلت عليها. وبين أن الصعوبة تتضح إذا كان في الكلمة أكثر

(١) عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب / القاهرة، ١٩٧٥م) ص ١١٣.

من واو مثل (أُووَل ← أُوُوَل)^(١). وينتهي إلى إيثار اطراد القاعدة وعدّ همزة الاستفهام كغيرها لا تغير ما دخلت عليه من همز^(٢). وهو مصيب في مذهبه فإن الفرار من تماثل خطّي أدى إلى تماثل آخر في المثال المذكور.

ومثل ذلك دخول (لام الجر) على (أُن) فالقاعدة أن تكتب (لثلا)، ودخول (لام القسم) على (إِنْ الشرطية) فهي تكتب (لثن). ويرى أن تكتب الكلمتان هكذا: (لألا)، (لإن). ويؤيد مذهبه بأنه لا فرق بين (فإن) و(لئن)، ولا بين (إن) و(إن)؛ ومع ذلك لم تكتب (إن) بعد اللام هكذا: (لئن) كما كتبت (إن)، بل كتبت (لإن)^(٣).

والحق أنه يجب التفريق؛ فالأدوات المركبة تختلف عن الأسماء والأفعال التي يعرض لها دخول الحروف عليها؛ ذلك أن المتعلم قد يميل إلى عدّ الأداة كلمة واحدة لفظاً وخطاً، وقد يعسر عليه تحليل أداة مثل (لئن) إلى (لام جر) و(إن). ولذلك قد يحسن معاملة همزة على أنها داخلية.

ويعالج همزة المتطرفة المفتوح ما قبلها، فقد يسند الفعل المهموز إلى ألف الاثنين فلا يتغير رسم همزة مثل: يبدأ ← يبدأ. أما الأسماء إذا ثبتت اكتفي بألف عليها رمز المد، مثل: مبدأ ← مبدأ. ويتساءل مستنكراً عن الفرق لفظاً بين: يبدأ، ومبدأ^(٤). ولعله يعلم أنهم فرقوا بين ما هو فاعل وبين ما هو علامة إعرابية؛ فهم حكموا أمراً آخر غير اللفظ. وهو يرى تعميم القاعدة فيقال: يبدأ، مبدأ.

أما إن توالى وسط الكلمة همزة فألف فإنه يرى حذف الألف والإشارة إليها برمز المد مثل: (مأكل ← مآكل) وقد وهم فعد من ذلك (منشآت) والصواب على شرطه أن ترسم (منشآت)^(٥).

(١) إبراهيم، الإملاء والترقيم، ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) السابق، ص ١١٤.

(٣) السابق، ١١٥.

(٤) السابق، ١١٦.

(٥) السابق، ص.ن.

ويجمل رأيه في الهمزة آخر الكلمة بقوله: " ويفهم من هذا الاقتراح أنني أميل إلى عدم اعتبار الهمزة في آخر الفعل المسند إلى ضمير، أو في آخر الاسم المتصلة به علامات التثنية أو الجمع، همزة متوسطة، بل يدور اقتراحي حول اعتبارها همزة متطرفة، تظل على صورتها قبل الضمائر وقبل علامات العدد"^(١). ولذلك يدعو إلى كتابة الفعل (يقراً) دون تغيير عند إسناده إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، فيكتب: (يقراًون، وتقرأين). ولكنه يخالف قاعدته باستثناء ما أضيف إلى ياء المتكلم فهو يرى أن تكتب همزته بالياء. مثل (مبدأي < مبدئي). وحجته ملازمة الهمزة للكسر^(٢). وهي حجة ضعيفة.

أما الهمزة المضمومة بعدها واو مدّ فيرى الإبقاء على الأصل فيها أي أن ترسم على واو وتليها واو المد، مثل: رؤوس^(٣). فهو لا يرى بأساً في الجمع بين المتماثلين خطأً.

أما الهمزة المتطرفة فلا يرى بأساً من كتابة الألف بعدها وإن سبقت بألف، مثل: (سماءاً)، ولا يرى بأساً من رسم ألف بعد همزة منصوبة على ألف، مثل: (خطأاً)^(٤).

ويقف على الحروف المحذوفة فيرى الإبقاء على الألف في: هذا وهذه وهذان وهذين وذلك وهؤلاء، وألف لكن والسموات وإله، وألف يا النداء في يأبها ويأيتها ويأهل ويأحمد وأمثاله^(٥). والحق أنه يجب التفريق بين هذه الألفات فمنها ما ورد في متلازمات محفوظة الرسم وهي قليلة، ومن اليسير رسمها بدون ألف. ومنها ما ليس من قبيل التلازم مثل ألف (يا) فليس من الخير حذفها. ومثلها (السموات) يحسن رسمها: (السموات).

(١) إبراهيم، الإملاء والترقيم، ١١٨.

(٢) السابق، ١١٩.

(٣) السابق، ١٢١.

(٤) السابق، ١٢٢.

(٥) السابق، ١٢٣.

وأخيراً أقول إني مع الأستاذ عبدالعليم في كثير من مذاهبه وإن خالفته في بعض ما ذهب إليه ،
والذي أراه أنّ الكتابة يجب أن تصور الملفوظ ما أمكن ذلك ، ولا بأس عندي من التماثل الخطّي إن
كان في ذلك خدمة لتسهيل الكتابة. ولذلك أرى :

- ١) أن يكتب التماثلان المدغمان بحرف واحد مميز بالشدة ، مثل : عدّ.
- ٢) يحذف من التماثلات الخطية ما يلبس إثباته ، مثل : ل+البيت ← للبيت.
- ٣) يحذف ما توالى من اللامات أو الألفات فوق اثنتين ، ل+الليل ← للليل.
- ٤) تكتب أمثال رؤوس وشؤون بواوين.
- ٥) تكتب الكلمات التي تبدأ أو تنتهي بهمزة دون احتساب ما اتصل بها قبلها أو بعدها ،
فالكلمتان : (أخذ ، قرأ) تكتبان على النحو الذي كتبتا به قبل اللاصقة ، مثل :

أ+أخذ ← أخذ؟

قرأ ← قرأوا

أبناء ← جاء أبناءكم ، رأيت أبناءكم ، مررت بأبناءكم.

خطأ ← خطأان / خطأين

جزء ← جزءان / جزءين

مبدأ+ي ← مبدأي

وقد يجابه مثل هذا القول بشيء من الرفض والإنكار بسبب إلف الأوضاع السابقة ، وبحجة أن
هيئة كتابة الكلمة في نهايتها ذات علاقة بالموقع الإعرابي ؛ لأنها تصور حال الاسم من حيث الرفع
والنصب والجر ، وهذا قول صحيح ولكن الكتابة في المقام الأول اصطلاحية يمكن أن نغير من مفردات
ما تواضعنا عليه بالكيفية التي نراها نخدم غرضنا من استعمال اللغة وتعلمها وتعليمها وقد شهدت
مسيرة الرسم العربي سلسلة من التغيرات التي صبت في مصلحة هذا الرسم وهذا يقوي العزم نحو
المضي في سبيل الإصلاح في الرسم ، إذ المشاهد أن كثيراً من أخطاء الناس في استعمال اللغة إنما مردها

إلى الرسم فغياب الحركات من الرسم يكاد يذهب من استعمال الناس البناء (يُفْعِل) إذ كثير استعمالهم هذا البناء مفتوح ياء المضارعة وهذا يرتد به من الزيادة إلى التجرد. وأما علامات الإعراب فهي الحركات أو ما ناب عنها وليست هيئة الهمزة ويمكن أن نستأنس بأصل رسم الهمزة في وسط الكلمة حين رسمت في هيئتها الغالبة على الحرف الذي يؤول إليه تسهلاً فإن تسهل إلى واو رسمت على واو وإن تسهل إلى ألف رسمت على ألف وإن تسهل إلى ياء رسمت على نبرة، أما في مثل أبناء فإنها لا تسهل مرفوعة إلى الواو ولا إلى الألف منصوبة ولا إلى الياء مجرورة؛ ولذلك من الخير أن تبقى على شكلها قبل إلصاق شيء بها.



- إبراهيم ؛ عبدالعليم :
- الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب / القاهرة، ١٩٧٥ م).
- ابن بابشاذ ؛ طاهر بن أحمد (٤٦٩ هـ) :
- شرح المقدمة المحسبة، تحقيق: خالد عبدالكريم (ط ١، المطبعة العصرية / الكويت، ١٩٧٦ م).
- بعلبكي ؛ رمزي :
- الكتابة العربية والسامية (ط ١، دار العلم للملايين / بيروت، ١٩٨١ م).
- ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ) :
- اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس (دار الكتب الثقافية / الكويت، ١٩٧٢).
- الحمد ؛ غانم قدوري :
- رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية (ط ١ / العراق، ١٩٨٢ م).
- الداني ؛ أبو عمرو عثمان بن سعيد (٤٤٤ هـ) :
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد أحمد دهمان (ط ١، دار الفكر / دمشق، ١٩٨٣ م)
- ابن درستويه ؛ عبدالله بن جعفر (٣٤٧ هـ) :
- كتاب الكتاب، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي (ط ١، دار الكتب الثقافية / الكويت، ١٩٧٧ م).
- ابن الدهان ؛ أبو محمد سعيد بن المبارك (٥٦٩ هـ) :
- باب الهجاء، تحقيق: فائز فارس (ط ١: مؤسسة الرسالة ودار الأمل / بيروت، ١٩٨٦ م).

-
-
- الرضي ؛ محمد بن الحسن الاسترأباضي (٦٨٦هـ) :
- شرح الشافية ، عناية : محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد (دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٩٧٥م) .
- ابن السراج ؛ أبوبكر محمد بن السري (٣١٦هـ) :
- كتاب الخط ، تحقيق : عبدالحسين محمد ، مجلة المورد (وزارة الإعلام / بغداد ، ١٩٧٦) ج ٥ ، ع ٣٤ .
- سيبويه ؛ أبوبشر عمرو بن قنبر (١٨٠هـ) :
- الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة ، ١٩٦٦) .
- الشمسان ، أبوأوس إبراهيم :
- دروس في علم الصرف (ط ١ ، مكتبة الرشد / الرياض ، ١٩٩٧م) .
- الظاهري ؛ أبو تراب :
- لجام الأفلام (ط ١ ، تهامة / جدة ، ١٩٨٢م) .
- الفارسي ؛ أبو علي الحسن بن أحمد (٣٩٩هـ) :
- التكملة ، تحقيق : حسن شاذلي فرهود (ط ١ ، جامعة الرياض / الرياض ، ١٩٨١م) .
- ابن قتيبة ؛ أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) :
- أدب الكاتب ، تحقيق : ماكس قرونرت (مطبعة بريل / ليدن ، ١٩٠٠م) .
- ابن مالك ؛ جمال الدين محمد (٦٧٢هـ) :
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق : محمد كامل بركات (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / القاهرة ، ١٩٩٦م) .
- النحاس ؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ) :
- صناعة الكتاب ، تحقيق : بدر أحمد ضيف (ط ١ ، دار العلوم العربية / بيروت ، ١٩٩٠م) .

من علماء العربية

محمد عبدالخالق عزيمة

-

أ. د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي
الأستاذ في قسم النحو وفقه اللغة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، أما بعد:
فقد رغب إلي أخي وصديقي الوفي الأستاذ الدكتور / أبو أوس إبراهيم
الشمسان أن أسهم في الكتاب المهدى إلى الأستاذ الجليل والعالم الفاضل الأستاذ
الدكتور حسن الشاذلي فرهود، فأجبت طلبه، وكنْتُ أزمعُ أن أعطيه واحداً من
النصوص التي حققتها، وعرضتُ النصَّ عليه، فاستحسنه، لكنّه ما لبث أن عاد إليّ
وطلب أن تكونَ الكتابة عن أستاذه وشيخي الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عبدالخالق
عزيمة، فلم أستطع ردَّ رغبته، وإن كنتُ قد كبحتُ جماحَ النفس في الكتابة عن شيخي
زمناً طويلاً، إلا أنني أمامَ هذه الرغبة الأكيدة من أخي أبي أوس لم أجدُ مسوغاً
للامتناع عنها وصادفتُ هوىً في النفس، فعزمتُ على الأمر، وتوكلتُ على الله،
وقدّمتُ هذا المختصر، وتوحيّتُ فيه أن يضيءَ جانباً مشرقاً من حياة الشيخ، فعلاقتي
به امتدّت من عام ١٣٩٩ هـ حتى توقاه الله سبحانه وتعالى، ولن أتحدّثَ حديثاً شخصياً،
وإنما جمعتُ بعضَ المهمّ الذي يمكنُ توثيقه، ويكونُ في تدوينه تصويرٌ للجانب العلميّ
الرحب من حياة الشيخ، وهناك أمورٌ كثيرة، منها ما هو غيرُ مدوّن، ومنها ما دوّن ولم
أتمكّن من توثيقه، فأعرضتُ عن تقييدهما في هذا المختصر، وربما أعودُ إلى ذلك في
وقتٍ أوسع، ومجالٍ أرحب.

:

أشكرُ الأخ الفاضلَ د. إبراهيمَ الشمسَانَ على حسن ظنِّه بي؛ إذ حملني على الكتابةِ عن شَيْخي، مهدىً إلى شيخِ جليلٍ يستحقُّ الثناءَ والإشادةَ، فلهما منِّي جزيلُ الشكر، وعظيمُ الامتنان، والدعاءُ بأن يوفِّقهما اللهُ ويمدَّ في عمريهما، وأن يزيدَهما من فضله.

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ونبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* * *

سوفَ يكونُ الحديثُ عن الأستاذِ الدكتور / محمَّدِ عبدِالخالقِ عضيمةَ مقسمًا على فقرات، تتناولُ مختصرًا عن حياته، وإليك ما دونت. وبالله التوفيق وعليه التكلان.

:

هو الأستاذُ الدكتورُ / محمَّدُ بنُ عبدِالخالقِ بنِ عليِّ بنِ عضيمةَ ؛ وكانَ - رحمه اللهُ تعالى - يكتبُ اسمه دائماً: محمَّدُ عبدِالخالقِ عضيمةَ، فيظنُّ من لا يعرفُ الشيخَ أنَّ اسمه مرگبٌ من محمَّدٍ وعبدِالخالقِ، كما جرَّتْ عادةُ بعضِ المعاصرينَ من إضافةِ اسمِ محمَّدٍ إلى أسمائهم تبرُّكاً، وكانَ الشيخُ يضيقُ بمن يكتأبهُ باسمِ الشيخِ عبدِالخالقِ عضيمةَ، فيحذفون محمَّدًا ظنًّا منهم أنَّ هذا الأمرَ منطبقٌ عليه، - رحمه اللهُ تعالى -.

:

أشارتِ الأوراقُ الرسمِيَّةُ إلى أنَّ الشيخَ ولدَ في تاريخِ ١/٤ / ١٣٢٨ هـ الموافق ١٥/١/١٩١٠م، وذكر معاصرهُ ورفيقُ دربهُ أستاذي د. أحمدُ كحيلُ أنَّه ولدَ في قريةِ (خبَّاطة) من قرى طنطا^(١).

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد ١٣، ١٤ ص ٧٥٣، وانظر أيضاً: إتمام الأعلام ٣٧٨.

وأشارت الباحثة التي أعدت رسالة ماجستير عن الشيخ إلى أنها قرية كانت من أعمال مديرية الغربية، وأنها الآن من قرى محافظة كفر الشيخ^(١).

:

درس الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة - رحمه الله تعالى - في القرية، وحفظ القرآن الكريم، وأتم تعليمه الأولي فيها، وهو ما أهله للالتحاق بمعهد طنطا الأزهرى^(٢) وأنهى الدراسة فيه عام ١٩٣٠م^(٣).

بعدها التحق بكلية اللغة العربية في الأزهر، وتخرج فيها عام ١٩٣٤م^(٤). التحق بالدراسات العليا التي أنشئت في ذلك الوقت، وحصل على شهادة التخصص، وهي الماجستير في الأعراف الأكاديمية الآن عام ١٩٤٠م، وكان بحثه بعنوان (المشترك في كلام العرب).

حصل على العالمية العالية الدكتوراه (تخصص المادة) عام ١٩٤٣م، وكانت رسالته بعنوان (أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية).

لقد بذل جهداً كبيراً مضاعفاً في هذه الرسالة غير ما دوّنه فيها، فلم يدون فيها إلا ما اقتضته خطة البحث، أما الجهد الآخر فيصوره معاصره د. كحيل فيقول: "وفي يوم مناقشة الرسالة دخل إلى لجنة المناقشة يحمل الرسالة وبعض المراجع، ودخل خلفه أحد أقربائه يحمل حقيبة كبيرة، وفي أثناء تقديمه للرسالة فتح الحقيبة، وأخرج منها لفائف البطاقات، ووضعها أمام اللجنة، وقال: هذه آراء المبرّد مستخرجة من كتاب المقتضب، وهذه آراؤه مستخرجة من الكامل، وهذه آراؤه مستخرجة من خزنة الأدب للبغدادي، وهذه آراء يذهب فيها مذهب سيبويه مقرونة بنصوص سيبويه، والحق أنه بهر اللجنة؛ إذ لم تر طالباً قبله يعتمد على نفسه، ويطلع على هذه المراجع، وبعد مناقشة طويلة ظهر للجنة ذكاؤه وسرعة بديهته وفهمه لكل جزئية من جزئيات

(١) انظر: الشيخ عزيمة وجهوده اللغوية ص ٧. (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى).

(٢) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد ١٣، ١٤ ص ٧٥٣.

(٣) انظر: الشيخ عزيمة وجهوده اللغوية ص ٧.

(٤) انظر: الشيخ عزيمة وجهوده اللغوية ص ٧.

:

الرسالة، فتمنحه اللجنة الشهادة العالمية (الدكتوراه) بدرجة ممتاز، وكان أول من أخذ درجة امتياز^(١).

هذه شهادة د. أحمد حسن كحيل، الذي شهد المناقشة، ثم استضاف الشيخ عزيمة بعدها ؛ ليكون شريكه في سكنه، وقد حكى د. كحيل واقعا متميزا، آذن في وقته ببزوغ شمس عالم جليل، تحكي سيرته الرائعة مثلاً يحتذى.

:

قال د. أحمد كحيل - رحمه الله تعالى - : " والتحق بكلية اللغة العربية، وكان يحاضر في الكلية صفوة من العلماء المبرزين في اللغة، مثل الشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ سليمان نوار والشيخ محمد محيي الدين والأستاذ أحمد نجاتي والأستاذ علي الجارم، والدكتور عبدالوهاب عزّام، فتلقى العلم عن هؤلاء الصفوة في النحو والصرف والأدب والتاريخ"^(٢).

ومن شيوخه الذين ذكر د. عزيمة أنه قرأ عليهم الأستاذ محمد نور الحسن، وأشار إلى أنه كان يقرأ عليه في منزله^(٣).

:

بعد حصول الشيخ على الشهادة العالمية أوفد إلى مكة المكرمة، وبعد مدة قصيرة من إيفاده تزوج بمصر، ورحل بزوجه إلى مكة المكرمة. أنجب الشيخ ثمانية من الولد، ثلاثة أبناء؛ هم: صفي الدين وبه يكنى، فكنية الشيخ أبو صفي، وأيمن والمعتز بالله، وخمس بنات؛ هن: صفيه وسوسن وسعاد وآيات وهناء.

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد ١٣، ١٤ ص ٧٥٣.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية العدد ١٣، ١٤ ص ٧٥٣.

(٣) انظر: الأستاذ محمود شاكر: كيف عرفته. للشيخ عزيمة (ضمن دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهر)

وقد عملت ابنته د. صفية في المستشفى المركزي في الشميسي بالرياض بعد وفاة والدها بسنتين، وكان زوجها يعمل في مستشفى الأطفال بالسليمانية في الرياض أيضاً، إلى وقت قريب.

:

كانت أول رحلة رحلها الشيخ إلى مكة المكرمة، وفيها بدأ العمل في كتابه: (دراسات لأسلوب القرآن الكريم)، وكانت في شهر صفر عام ١٣٦٦هـ، يناير عام ١٩٤٧م^(١).

أما الرحلة الثانية فكانت إلى ليبيا، إلى مركز الدراسات العليا في واحة جغبوب، وبقي حتى قيام ثورة الفاتح من أيلول^(٢).
أما الرحلة الثالثة فكانت إلى الرياض حتى توفاه الله، وكانت ما بين عامي ١٣٩٢هـ حتى عام ١٤٠٤هـ.

:

أولاً: الكتب:

١- أبو العبّاس المبرّد وأثره في علوم العربيّة:
هذا هو العمل الذي نال به درجة الدكتوراه، وقد طبعته مكتبة الرشد بعد وفاة الشيخ - رحمه الله تعالى -، وقبل أن يعيد الشيخ النظر فيه، ولم تتسنّ مراجعته كما ينبغي، ولم تصنع له الفهارس التي كانت من ديدن صاحب العمل - رحمه الله تعالى -

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أن هذا المطبوع يمثل جزءاً من الرسالة، ولم يكن يمثل الرسالة كلها، فقد أشرت سابقاً إلى كلام د. كحيل الذي وصف مناقشة أستاذي

(١) أشار إلى هذا في بحث دراسات لأسلوب القرآن الكريم. انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الخامس ص ٨٧.

(٢) انظر: إتمام الأعلام ٣٧٨.

:

عزيمة لرسالة الدكتوراه، وذكر أن هناك آراءً للمبرّد كثيرة كانت مادة هذه الرسالة مقفسة إلى أنواع متعددة، وأنهم تدون في المطبوع الذي قدمه للمناقشة، وطبع لاحقاً، ولذا ظهرت رغبة الشيخ - رحمه الله تعالى - في إعادة النظر في بحثه عن المبرّد، وتأنيه في نشره.

٢- دراسات لأسلوب القرآن الكريم:

وهو عملٌ علميٌّ ضخمٌ يقعُ في ثلاثة أقسامٍ في أحد عشر مجلداً؛ قال عنه الأستاذ محمود شاكر - رحمه الله تعالى - : "فماذا يقولُ القائلُ في عملٍ قامَ به فردٌ واحدٌ، لو قامتْ عليه جماعةٌ لكانَ لها مفخرةٌ باقيةٌ؟ فمنَ التواضع أن يسمّى هذا العملُ الذي يعرضه عليك هذا الكتابُ ((معجماً نحويّاً صرفياً للقرآن العظيم))."

فمعلومٌ أنَّ جُلَّ اعتمادِ المعاجم قائمٌ على الحصر والترتيب. أمّا هذا الكتابُ فالحصرُ والترتيبُ مجردٌ صورةٌ مخطّطةٌ يعتمدُ عليها. أمّا القاعدةُ العظمى التي يقومُ عليها فهي معرفةٌ واسعةٌ مستوعبةٌ تامّةٌ لدقائق علم النحو وعلم الصرف وعلم اختلاف الأساليب"^(١).

زمن تأليف الكتاب:

إنَّ التاريخَ لهذا العمل الكبير يعطيك ميزة العمل الدؤوب، وينبئك عن عزم الرجل الذي لا يكلُّ ولا يملُّ، بل واصلَ عمله طيلة هذه السنين، حتّى تحقّق له مبتغاه، وهو أمرٌ ليسَ صعباً على من عرفَ الشيخَ وتتبعَ آثاره العلميّة، يمكنُ هذا من خلال ما تحدّثَ به الشيخُ عنه في مؤلفاته أو مقالاته، مما قاله أو وعدَ به، وأرادَ الله سبحانه وتعالى أن يتمّه له.

إنّها مواقفٌ إذا تدبّرَها العاقلُ أيقنَ بصدق الرجل في توجيهه، وتوفيق الله له.

وحتى يكونَ للتاريخِ الزمنيِّ قيمةٌ، فإنني سوفَ أسجّلُ هذه الظواهر التي مرّ بها هذا العملُ حسب السنين مبتدئاً بها، حتى تكون الصورة التي مرّ بها العملُ بها واضحة، منذُ كان فكرةً حتى نجزَ كتاباً ضخماً، ليكون مثلاً حياً على صدق الرجل وتوفيق الله سبحانه له.

(١) تصدير بقلم الأستاذ محمود شاكر؛ دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول الصفحات ج - د.

١٣٦٦هـ:

كانت البداية لهذا العمل، وفي مكة المكرمة، بلد الله الحرام، يقول الشيخ – رحمه الله تعالى -: "قدمنا مكة المكرمة في صفر سنة ١٣٦٦هـ يناير ١٩٤٧م، وتسلمنا أعمالنا ووجدتني مكافأ بدراسة كتاب (الدروس النحوية) للأستاذ حنفي ناصف وزملائه، كنت أجلس في الحرم من العصر إلى العشاء، فرأيت أنه لا بد لي من قراءة تصلني بمادتي التي تخصصت فيها، وانقطعت لها، وإلا فقدت كثيراً من معلومات النحو، شأن كل العلوم النظرية، إذا لم يكن صاحبها على صلة بها بالقراءة فقد كثيراً من مسألها.

ومرّ بخاطري أنّ كثيراً من النحويين ألفوا كتبهم بمكة: أبو القاسم الزجاجي ألف كتابه (الجمال) بمكة، وكان كلما انتهى من باب طاف حول البيت.

ابن هشام ألف كتابه (مغني اللبيب) لأول مرة في مكة، ثمّ فُقد منه في منصرفه إلى القاهرة، ولما عاد إلى مكة ثانية ألفه للمرة الثانية.

لم يكن لديّ تخطيط عن دراسة معينة، ولا كتاب معين، وإنما تمنيت أن تكون هذه الدراسة لها صلة بالقرآن الكريم، ليكون ذلك أليق وأنسب بهذا الكتاب المقدس. خطر ببالي خاطر، هو أن أنظر في استعمال القرآن لبعض حروف المعاني، فمثلاً (إلا) الاستثنائية لها وجوه كثيرة في كلام العرب، فهل استعمل القرآن هذه الوجوه كلها أو بعضها دون بعض" (١).

من هنا مكاناً وزماناً بدأت فكرة هذا العمل الموسوعي، وبدأ صاحبها في العمل منذ ذلك التاريخ.

١٣٧٥هـ:

يخبر الشيخ أنه ينوي إخراج كتاب يتناول دراسة أسلوب القرآن، بعد أن خطا خطوات في هذا العمل، واتضح الهدف عنده، وقرّر أن تكون دراسته للقرآن دراسة تعتمد على الاستقراء، فيقول: "وفي النية – إن كان في العمر بقية" (٢) – أن أخرج كتاباً يتناول دراسة أسلوب القرآن الكريم دراسة تعتمد على الاستقراء، أرجو الله أن يوفّقني في إتمامه، ويعينني على إخراجها، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الخامس ٨٧.

(٢) كان هذا الكلام كما ترى في التاريخ المدون عام ١٣٧٥ هـ، وعاش الشيخ بعده تسعة وعشرين عاماً، وذلك فضل من الله سبحانه.

:

ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ - ٧ نوفمبر ١٩٥٥ م^(١).
وقد حَقَّق اللهُ له أمنيته، ومدَّ في عمره كما سترى من التتبع التاريخي التالي.
١٣٩٥ هـ:

في هذا العام يخبرُ الشيخُ أنَّه أمضى أكثرَ من خمسةٍ وعشرين عاماً يعملُ في هذا الكتاب، ولم ينجزْ إلا دراسةً جانبٍ واحدٍ؛ هو الحروفُ والأدواتُ، قالَ - رحمه الله تعالى -: "فهذا العنوانُ (دراساتُ لأسلوبِ القرآنِ الكريمِ) إنّما هو عنوانُ لبحثٍ تناولَ بالدراسةِ جانباً من جوانبِ الدراساتِ القرآنيةِ، وهو الجانبُ النحويُّ، أقمتُ على دراسةِ هذا الجانبِ أكثرَ من خمسةٍ وعشرين عاماً، وما فرغتُ إلا من جانبٍ واحدٍ من جوانبِ الدراساتِ النحويةِ، وهو دراسةُ الحروفِ والأدواتِ في القرآنِ"^(٢).

عملُ الشيخِ في الكتابِ وتفرُّغُ له بعد أن عكف سنين طويلة جداً على جمع مادته وتبويبها، ومراجعة كثير من مسائلها على كتب النحو التي فهرسها، واعتمد عليها في التصنيف والتقسيم، وتتبع النحويين، وجمع أشنات المسائل، وواصل ليله بنهاره، حتى تمَّ له ما أراد بفضل الله سبحانه، فأنجز الجانبين الآخرين، هما الجانب النحوي والجانب الصرفي، فجاء القسم الثاني دراسة الجانب الصرفي في أربعة أجزاء، والقسم الثالث دراسة القسم النحوي في أربعة أجزاء أيضاً، بعد القسم الأول وهو قسم الحروف الذي أخرجه في ثلاثة أجزاء، بها تم الكتاب في أحد عشر مجلداً، كما سيأتي بعد.

١٤٠١ هـ:

في العام تمَّ إنجازُ الكتابِ كاملاً تأليفاً وطباعةً؛ في أحد عشر مجلداً، تزيد صفحات كلِّ مجلدٍ عن ستمائة صفحة، وبعضها تجاوز سبعمائة صفحة، وبعضها الآخر تجاوز ثمانمائة صفحة.

قالَ - رحمه الله تعالى - في آخر الكتابِ في المجلدِ الرابع من القسم الثالث: "كانت طباعةُ القسمين الثاني والثالث بالقاهرة، وكان عملي في الرياض، ولذلك وقعت بعض الأخطاء المطبعية، وقد نبّهت على المهم منها، وتركت الباقي لفطنة القارئ، على أنني أقول كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وعين الرضا عن كل عيب كليله
كما أن عين السخط تبدي المساويا

(١) مقدمة: المغني في تصريف الأفعال ٦.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية، العدد الخامس ٨١.

ولستُ أزعُمُ أني لا أخطئُ، فإنَّ العصمةَ لله وحده، ولكنِّي أقولُ كما قالَ شاعرُ
النيل حافظُ إبراهيم:

إذا قيسَ إحسانُ امرئٍ بإساءةٍ فأرْبى عليها فالإساءةُ تغفرُ
واللهُ أسألُ أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه تعالى، بريئاً من الرياء والسمعةِ
والزهو، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعاء. ٢٥ شوال ١٤٠١ هـ ٢٥ أغسطس ١٩٨١ م.
محمد عبدالخالق عضيمة حلوان: ٤٧ شارع محمد سيد أحمد^(١).

١٤٠٢ هـ:

أعلنت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية موضوعَ
الجائزة للعام القادم في مجال الدراسات الإسلامية هو الدراسات القرآنية.
وبناءً على هذا رشحت كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعودِ
الإسلامية كتابَ (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) لمؤلفه الشيخ محمد عبد الخالق
عضيمة، لنيل الجائزة.

١٤٠٣ هـ:

تعلن الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية فوز الشيخ محمد عبدالخالق
عضيمة بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٣ هـ.

١٤٠٤ هـ:

ينتقل صاحبُ العملِ إلى رحمةِ ربِّه، غفرَ اللهُ له، وأسكنه فسيحَ الجنان.

وقفة: (وهكذا كتاب ومؤلف من عام ١٣٦٦ هـ إلى عام ١٤٠٤ هـ)
ولعلَّ اللهُ سبحانه وتعالى أرادَ أن يكافئَ صاحبَ هذا العملِ في حياته بإتمامه
أولاً، وبإنجاز طبعته ثانياً، كما تمنى أن يراه مطبوعاً تاماً كاملاً، ثم يمنُّ اللهُ عليه
بفوزه بجائزة عالمية ثالثة، في وقت لم يخطرُ ببالي أنه سيكملُ الكتاب، لكن نجز ذلك
كله بفضل الله، ولك أن تنظر حاله عام ١٣٧٥ هـ لما قال: إن كان في العمر بقية، ثم لما
عنَّ له أن يدعوَ بالدعاء السابق الذي جعله ختامَ كتابه، ثم ما أراد اللهُ له أن يكونَ
الختامُ منحه جائزة الملك فيصل - رحمه اللهُ تعالى - العالمية للدراسات الإسلامية في
حياته، ثم ينتقل بعد هذا إلى رحمة الله في العام التالي لهذا مباشرة.

سقتُ التواريخَ موثقةً لأبَّينِ المراحلِ الزمنيةِّ لهذا العملِ ولصاحبِ العملِ، ويغفرُ اللهَ سبحانه وتعالى للجميع.

أقسام الكتاب:

قسَمَ الشيخُ - رحمه الله تعالى - الكتابَ ثلاثةَ أقسامٍ؛ هي:
القسمُ الأوَّلُ: الحروفُ والأدواتُ، ويقعُ في ثلاثةَ أجزاءٍ.
الجزءُ الأوَّلُ يقعُ في ستمائةٍ وخمسَ عشرةَ صفحةً.
الجزءُ الثاني يقعُ في سبعمائةٍ وتسعَ صفحاتٍ.
الجزءُ الثالثُ يقعُ في ستمائةٍ واثنين وأربعينَ صفحةً.
القسمُ الثاني: دراسةُ الجانبِ الصرفيِّ، ويقعُ في أربعةَ أجزاءٍ.
الجزءُ الأوَّلُ يقعُ في سبعمائةٍ وتسعَ صفحاتٍ.
الجزءُ الثاني يقعُ في سبعمائةٍ وسبعَ وثمانينَ صفحةً.
الجزءُ الثالثُ يقعُ في ستمائةٍ وتسعَ وخمسينَ صفحةً.
الجزءُ الرابعُ يقعُ في ثمانمائةٍ وثلاثَ وثلاثينَ صفحةً.
القسمُ الثالثُ: دراسةُ الجانبِ النحويِّ، ويقعُ في أربعةَ أجزاءٍ.
الجزءُ الأوَّلُ يقعُ في سبعمائةٍ وثمانَ وستينَ صفحةً.
الجزءُ الثاني يقعُ في ثمانمائةٍ وأربعَ وأربعينَ صفحةً.
الجزءُ الثالثُ يقعُ في ستمائةٍ واثنين وثمانينَ صفحةً.
الجزءُ الرابعُ يقعُ في ستمائةٍ وتسعَ وأربعينَ صفحةً.
٣- فهرس كتاب سيبويه:

هذا العملُ الضخمُ يقعُ في إحدى عشرةَ وتسعمائةٍ صفحةً، وهو أكبرُ عملٍ لفهرسةِ كتابِ نحو، وقالَ الشيخُ في باعِثِهِ على العملِ: "ولمَّا أُخرِجَتُ المقتضبُ للمبرِّدِ صنعْتُ له فهرساً مفصلاً ظفراً بإعجابِ كثيرٍ من الباحثين، وطلبَ مني كثيرٌ من الأصدقاء أن أصنعَ لكتابِ سيبويهِ فهرساً مفصلاً على غرارِ فهرسِ المقتضبِ، ولمَّا أمكنتني الفرصةُ اهتبلتها، وشرعتُ في تحقيقِ هذه الأمانةِ"^(١).

طبعَ هذا العملُ في طبعتهِ الأولى عام ١٣٩٥هـ، في مطبعةِ السعادةِ في القاهرة، وبعدَ هذا أعطى الشيخُ - رحمه الله تعالى - حقوقَ الطبعِ على ما أذكرُ الأستاذَ عبدَ الله

(١) فهرس كتاب سيبويه ٥.

العوهليّ صاحبَ مكتبةِ دار العلوم الذي اشترى منه حقوقَ الطبع، مع جملةِ الفهارس الآتي ذكرها.

٤- فهارسُ المخصّص والاختصاصِ وأدبِ الكاتب:

هذه فهارسُ صنعها الشيخُ لهذه الكتب، على غرارِ فهارسِ الكتابِ وفهارسِ المقتضب، جاءتِ فهارسُ المخصّص في مجلدين، والاختصاصِ وأدبِ الكاتبِ كلٌّ واحدٍ منهما في مجلّدٍ واحدٍ، وقد اشترى حقوقَ الطبع بالإضافة إلى فهارسِ كتابِ سيبويه الأستاذُ الفاضلُ / عبدُالله العوهليّ صاحبُ مكتبةِ دار العلوم^(١)، ودفعَ الحقوقَ الماليّةَ كاملةً، وكانَ المبلغُ كبيراً في ذلكَ الوقتِ، سلمه للشيخِ مقدّماً، وكانَ العوهليّ - والحقُّ يقالُ- كريمَ النفسِ حسنَ التعاملِ رحبَ الصدرِ، وليسَ هذا غريباً عليه، كما أنّ الشيخَ يستحقُّ هذا وأكثرَ، فصَحَّحَ الشيخُ التجربةَ الأولى، وسلّمها إلى المكتبةِ، ولكنَّ المنيةَ عاجلته، ولم تزلِ الكتبُ حتّى الآنَ تحتاجُ من يقبلُ عثرتها، ويعينُ صاحبَ دار العلوم على أن تخرجَ في أحسنِ حالٍ، فهو حريصٌ كلَّ الحرصِ على إتقانِ الكتبِ التي تخرجُها الدارُ، فلهِ درُّه من رجلٍ ما أطولَ صبره، وأكرمَ خلقه.

٥- فهارسُ مسائلِ النحو والصرفِ في معاني القرآن للفراء:

نشرَ في العددِ الثالثِ عشرَ والرابعِ عشرَ من مجلةِ كليّةِ اللغّةِ العربيّةِ بالرياض، وسيأتي ذكره هناك بإذن الله تعالى.

٦- اللبابُ من تصريفِ الأفعال:

طبعَ عدّةَ طبعاتٍ، وخرجتِ الطبعةُ الخامسةُ في شعبان سنة ١٣٩١هـ في مطبعةِ السعادةِ في مصرَ، وهو كتابٌ متوسطٌ في تصريفِ الفعلِ.

٧- المذكرُ والمؤنثُ لابن الأنباريِّ؛ دراسةً وتحقيقاً.

نشرته لجنةُ إحياءِ التراثِ في المجلسِ الأعلى للشؤون الإسلاميّةِ في مصرَ، وخرجَ منه الجزءُ الأوّلُ عامَ ١٤٠١هـ، ووقعَ من الشيخِ موقعاً سبّبَ له ألمًا، ويمكنني إرجاعُ ذلكَ إلى ثلاثةِ أمورٍ، هي:

(١) لم أنشرُ هذا الكلامَ حتّى استأذنتُ أخي الكريمَ الأستاذَ / عبدُالله العوهليّ فيه، وقرأته عليه كاملاً، فأضافَ أنّ الشيخَ رحمه الله تعالى لم يشترطَ قيمةً، وإنما هو الذي قدرها، وأن الشيخَ استكثرَ المبلغَ وبخاصةً أنه دفعَ مقدّماً، فوفاءً للرجلين الشيخِ والعوهليّ أثبتَ هذا للتاريخِ، وكان اتصالي بالأستاذِ عبدُالله العوهليّ صباحَ يومِ الأحدِ الثاني عشرِ من شهرِ صفرِ الخيرِ من هذا العامِ ١٤٢٧هـ، لأستأذنه في نشر ما كتبته عنه إن لم ير مانعاً من ذلك.

:

الأول: أن لجنة إحياء التراثِ تصرّفتْ في عمل الشيخ - رحمه الله تعالى - في ضوء المنهج الذي اختطّته لنفسها، فاجتزأت بعض الحواشي المطوّلة، واكتفتْ بالإشارة إلى المراجع المختلفة للمسألة الواحدة.

الثانية: أن الكتابَ خرجَ وفيه استدراكاتٌ على الشيخ وتعبّاتٌ لم يرها إلا بعدَ نشر العمل، واستغربَ وجودها في عمله، انظر: الصفحات ١٥٥، ١٥٩، ١٠١ هـ، ١١١ هـ، وغيرها من الصفحات التي جاءَ في هوامشها مثل هذا.

الثالثة: أن د. رمضان عبدالتوّاب استدرَكَ عليه بعضَ تخريجاتٍ للشواهدِ، وأضافها في طبعة الشيخ، ووضعَ بينَ قوسينَ (رمضان) إشارةً منه إلى أنها من عمله، انظر: ص ٥٦٥ هـ، و ص ٢٥٨٧ هـ مثلاً، وهو لم يشاركِ الشيخَ في التحقيق، ويرى الشيخُ أنه ليسَ من حقِّ أحدٍ أن يضيفَ إلى عمله دونَ علمه.

كلُّ هذا سبّبَ إزعاجاً للشيخ، ومعَ هذا لم يؤثّرَ على علاقته بالدكتور رمضان عبدالتوّاب، فلما زارَ د. رمضان عبدالتوّاب الرياضَ، استقبله الشيخُ استقبالاً حسناً، ولم يُبدِ له تبرُّمَه، ولكنّه طلبَ منه أن يتابعَ معَ المجلس الأعلى صدورَ الجزء الثاني. وتوفي الرجلان، ولم يظهرَ باقي الكتابِ حتى الآن.

٨- المغني في تصريف الأفعال:

هذا الكتابُ كما قال الشيخُ: "ثمره دراسةٌ مستوعبةٌ نفضتُ لها ما وصلَ إليَّ من كتبِ النحو والصرف؛ أرجو أن يكونَ فيها غناءً في دراسةِ تصريفِ الفعل".

وقد نشرَ هذا الكتابُ لأولَ مرةٍ عامَ ١٣٧٥ هـ، ثم نشرَ بعدَ ذلكَ عدّةَ مراتٍ، وقد خصّصَه لتصريفِ الفعل، واستوعبَ مسائله وختمه بنماذجٍ من أسئلته لطلابِ كليّةِ اللغة العربية في الأزهر عام ١٩٥٧ م، وعام ١٩٥٨ م، وعام ١٩٥٩ م.

٩- المقتضبُ للمبرّد، دراسةٌ وتحقيقاً:

نشرته لجنة إحياء التراثِ الإسلاميّ في المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة في

مصر.

وأنجزَ الشيخُ تحقيقَ هذا العمل الكبير في ستة أشهرٍ فقط، وأشارَ إلى هذا فقال: "فهرستُ كتابِ سيبويه فهرساً مفصلاً، حوى مسائله مرتبةً ترتيبَ أبوابِ النحو، كما رتبتُ شواهدَه باعتبارِ القافية^(١)، وقد أسعفتني هذا الفهرسُ في تحقيقِ (المقتضب) إذ قد

(١) على عادة الشيخ في فهرسة ما يقرأ.

أَلزَمْتُ نَفْسِي بِعَقْدِ الصَّلَةِ بَيْنَ كِتَابِ سَيَبُويهِ وَالمَقْتَضِبِ، وَقَدْ اشْتَرَطَتِ اللِّجْنَةُ^(١) فِي تَعَاقُدِي لِإِخْرَاجِ المَقْتَضِبِ أَنْ يَتِمَّ تَسْلِيمُ الكِتَابِ فِي مَدَّةٍ لَا تَتَجَاوَزُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ^(٢). وَقَدْ أَنْجَزَ مَا وَعَدَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -.

يَقَعُ الكِتَابُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ كِبَارٍ، خَتَمَهُ بِفَهَارِسٍ رَائِعَةٍ لِمَسَائِلِ النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ فِي الكِتَابِ، سَهَّلَتِ الوُصُولَ إِلَى مَسَائِلِهِ وَقَضَايَاهُ بَيَسْرٍ وَسَهُولَةٍ. وَقَدْ نَشَرَ د. أَمِينُ عَلِي السَّيِّدُ الأُسْتَاذُ فِي قِسْمِ النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَعَمِيدُ دَارِ العُلُومِ بَعْدَ ذَلِكَ نَقْدًا لِعَمَلِ الشَّيْخِ نَشَرَهُ فِي مَجَلَّةِ الكَلْبِيَّةِ العَدَدُ الحَادِي عَشَرَ الصَّفَحَاتِ ٢٤١ - ٢٥٠، مَخَالِفًا الشَّيْخَ فِي تَرْتِيبِ المَقْتَضِبِ، وَمَا ارْتَأَاهُ أَنَّهُ إِصْلَاحٌ لَهُ. لَمْ يَعْقِبِ الشَّيْخُ عَلَى المَقَالَةِ بِشَيْءٍ، وَلَمْ يَغْيِرْ مِنْ مَنَهِجِهِ شَيْئًا فَقَدْ نَشَرَ المَقْتَضِبُ بَعْدَ المَقَالَةِ، بَلْ فِي العَامِ نَفْسِهِ نَشَرَهُ ثَانِيَةً عَامَ ١٤٠١ هـ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْسِهِ مَا رَأَى إِصْلَاحَهُ.

١٠- هادي الطريق إلى ذخائر التطبيق:

أشارَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي مَقَالَتِهِ الَّتِي عَنَوَاهَا: النُّحُوُّ بَيْنَ التَّجْدِيدِ وَالتَّقْلِيدِ إِلَى مَحَاوَلَتِهِ فِي هَذَا الكِتَابِ تَيْسِيرَ النُّحُوِّ وَتَحَدَّثَ عَنْهَا حَدِيثًا طَوِيلًا، أَفَاضَ فِيهِ، وَمِمَّا قَالَهُ: "إِنَّ إِيْمَانِي بِهَذِهِ الفِكْرَةِ"^(٣) قَدِيمٌ، وَقَدْ سَنَحْتُ لِي الفِرْصَةَ مِنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا^(٤)، فَأَخْرَجْتُ كِتَابًا يَحْمِلُ هَذِهِ الفِكْرَةَ، وَيَسِيرُ عَلَى ضَوْئِهَا، فَكَانَ بِحَقِّ خَطْوَةٍ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ.

كَانَ مَنَهِجِي فِي هَذَا الكِتَابِ أَنْ أَعْرِضَ القَوَاعِدَ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي اسْتِقَامَةِ الأُسْتِنَا، وَسَلَامَةِ أَقْلَامِنَا فِي عِبَارَةٍ مَوْجِزَةٍ وَاضِحَةٍ، أَمَّا الحَدِيثُ عَنِ المَسَائِلِ الَّتِي لَا صِلَةَ لَهَا بِاسْتِقَامَةِ الأَسَالِيبِ فَقَدْ تَجَاوَزْتُهُ وَلَمْ أَشْرُ إِلَيْهِ.

هَذَا الكِتَابُ غَطَّى نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ النُّحُوِّ؛ مِنَ المَبْنِيِّ وَالمَعْرَبِ إِلَى بَابِ ظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا، تَرَكْتُ الحَدِيثَ فِيهِ عَنِ وَجْهِ شَبْهِ الأَسْمِ بِالحَرْفِ حِينَ البِنَاءِ، وَالحَدِيثَ عَنِ (أَل) وَأَقْسَامِهَا، وَرَافِعِ المَبْتَدَأِ وَالخَبْرِ، هَذَا هُوَ أَهْمُ مَا تَرَكْتُ الحَدِيثَ عَنْهُ.

(١) هي لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر.

(٢) فهرس كتاب سيبويه ٤، وقد أشار في مقدمة تحقيقه للمقتضب إلى أن فهرس كتاب سيبويه أعانته على إنجاز التحقيق، ولم تكن هذه الفهارس قد طبعت آنذاك.

(٣) يعني تيسير النحو.

(٤) كان حديثه هذا عام ١٣٩٦ هـ، ويعني به خروج كتابه هادي الطريق الذي أنهاه وكتب مقدمته في ١٤ من شهر شعبان ١٣٨١ هـ.

لم أعتد على كتاب واحد، وإنما تحدثت عن كل ما له صلة باستقامة الأساليب، لو كان هذا الحديث مذكوراً في غير كتب النحو، وأمثلة لذلك:

١- فائدة: يجوز في (قليل) و (كثير) جمعها جمع مذكر سالم^(١)....^(٢)

ثم استمر الشيخ - رحمه الله - يسرد منهجه، ويصف عمله في الكتاب، وقد استغرق ما يقارب سبع عشرة صفحة^(٣) من ذلك البحث.

طبع هذا الكتاب في مطبعة الاستقامة في القاهرة ١٣٨١هـ، ويقع في مائة واثنين وسبعين صفحة.

المقالات:

هذه جملة مقالات نشرها الشيخ - رحمه الله تعالى -، منها ما هو منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض من العدد الثالث، وهي السنة التي قدم فيها إلى الرياض، ودرّس في الكلية، حتى توفاه الله، وكان العدد الثالث عشر والرابع عشر - وهما في مجلد واحد - في المطبعة، وقد نشر الشيخ في هذا العدد الأخير بحثين، والله الأمر من قبل ومن بعد، وهذه المقالات هي:

- ١- الأحنف بن قيس^(٤).
- ٢- أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم^(٥).
- ٣- تجربتي في تحقيق التراث^(٦).
- ٤- تجربتي مع كتاب سيبويه^(٧).
- ٥- أبو حيان وبحره المحيط^(٨).
- ٦- جموع التكسير في القرآن الكريم^(٩).
- ٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم^(١٠).

(١) انظر هذه الفائدة في: هادي الطريق إلى ذخائر التطبيق ١١.
(٢) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السادس ٨٨-٨٩.
(٣) انظر: المجلة؛ المصدر السابق: الصفحات من ٨٨ - ١٠٤.
(٤) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد العاشر ص ٣٣١ - ٣٥٣.
(٥) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثالث عشر والرابع عشر ص ١١-٢٩.
(٦) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الحادي عشر ص ١٥٧-١٧٨.
(٧) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الرابع ص ٣٥ - ٥٣.
(٨) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السابع ص ١٣ - ٥٠.
(٩) انظر: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء العدد الثاني ٣٤٩.
(١٠) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الخامس ص ٨١-١٠٠.

- ٨- فهارس مسائل النحو والصرف في معاني القرآن للفراء^(١).
 - ٩- القلب المكاني في القرآن الكريم^(٢).
 - ١٠- لمحات عن دراسة السنين وسوف في القرآن الكريم^(٣).
 - ١١- لمحات عن دراسة العدد في القرآن الكريم^(٤).
 - ١٢- مع أساليب القرآن الكريم^(٥).
 - ١٣- النحو بين التجديد والتقليد^(٦).
 - ١٤- نظرات في أبنية القرآن الكريم^(٧).
- وقد نشرَ مقالةً بعنوان: (ردُّ على مقال: لماذا احتقرَ النحويُّون المرأةَ؟)، وهي ردُّ على د. عدنان رشيد، الذي كتبَ مقالةً في جريدةَ الجزيرة تحملُ هذا العنوانَ، فما كانَ من الشيخ إلا أن ردَّ عليه بهذه المقالة، وختمها بقول الشَّاعر:
- ما لمنْ ينصبُّ الحبائلَ في الأرضِ ومرجَاهُ أن يصيدَ الهلالاً^(٨)

جهوده في الدراسات العليا:

كان للشيخ - رحمه الله تعالى - جهودٌ كبيرةٌ في الدراسات العليا تمثلت في تدريسه مقرر الصرف في السنة التمهيديَّة طيلة عقده بالإضافة إلى تدريسه مقرر الصرف في السنتين الثالثة والرابعة في كلية اللغة العربية، وكان مثلاً للجدِّ والحزم، لم يتأخر عن محاضرة، ولم يتوان في إيضاح ما يتصدَّى لتدريسه بصورة رائعة. وكنت من طلابه في السنوات الثلاث، بالإضافة إلى إسهامه الكبير معي في رسالتي للماجستير وعنوانها هشام بن معاوية الضرير حياته وآراؤه ومنهجه، فقد كان - رحمه الله تعالى - يحرص على معرفة آراء الكوفيين، ويردد مقولته: إن آراء

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العددين الثالث عشر والرابع عشر ص ١٨٧-٢١٦ .
(٢) انظر: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الأول ص ٢٧٣-٢٨٤ .
(٣) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثالث ص ٦٥-٧٠ .
(٤) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثاني عشر ص ١١-٥٦ .
(٥) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد التاسع ص ١٣-٢٧ .
(٦) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد السادس ص ١١-١٠٦ .
(٧) انظر: مجلة كلية اللغة العربية؛ العدد الثامن ص ١٣-٥٢ .
(٨) انظر: الجزيرة العدد ٣١١٨، الجمعة ٢٣ / عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م) ص ١١٣. عبدالعليم إبراهيم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٧٥م) ص ٤، ١١٣/١٤٠١ هـ

:

الكوفيين لم تصلنا عن طريق الكوفيين، ولو وصلت عن طريق الكوفيين لتغيرت نظرتنا نحوه.

بالإضافة إلى التدريس كان - رحمه الله تعالى يسهم في الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن هذه الرسائل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الآتي:

أولاً: الماجستير:

أشرف على رسائل الماجستير الآتية:

١- آراء أبي عمرو بن العلاء النحوية واللغوية ؛ جمعها ودراستها؛ تقدم بها المعيد حسن بن محمد الحفظي، وكان من المناقشين زميل د. عضيمة الدكتور أحمد حسن كحيل، ونوقشت هذه الرسالة يوم ١٤٠٢/١/٢٩ هـ.

٢- الزجاج ومذهبه في النحو ؛ أنجزها المعيد عبدالرحمن بن صالح السلوم، ونوقشت بتاريخ ١٤٠٢/٢/٢٠ هـ.

٣- تحقيق القسم الأول من كتاب سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي، وتقدم بها محمود سليمان عبيدات (أردني الجنسية)، واشترك في مناقشتها د. أحمد كحيل، ونوقشت يوم ١٤٠١/٥/٥ هـ.

٤- دراسة نحوية لكتاب إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، وتقدم بها يحيى بشير مصري، (سوري الجنسية)، واشترك في مناقشتها أيضاً د. أحمد كحيل، ونوقشت يوم ١٤٠١/١/١ هـ، ومن طرائف الشيخ عضيمة في هذه المناقشة بعد أن أنهى المناقشان ملحوظاتها على الرسالة أشار إلى أنه من حق المشرف أن يناقش الطالب فيما اختلف فيه معه، ولم يلتزم الطالب بتعديله، وناقش الرسالة كأنه عضو مناقش، وكانت مناقشة قوية مستفيضة، أبان الشيخ عضيمة عن خلق العلماء والتجرد للعلم، وهي أول مرة تحدث في الكلية، وقد تكررت بعد ذلك في قسم آخر غير قسم النحو والصرف وفقه اللغة.

٥- أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو ؛ تقدم بها يحيى بن علي صالح، وأشرف عليها الشيخ عضيمة بالاشتراك مع د. عبدالغفار حامد هلال، ونوقشت مساء يوم ١٤٠٢/٨/١٣ هـ.

ثانياً: رسائل الدكتوراه:

أشرف على عدد من رسائل الدكتوراه، ومنها عدد من الرسائل أوشك أصحابها على النهاية، لكن حالت منية الشيخ عن إتمام الإشراف عليها، فأحيلت إلى مشرفين

آخرين، ومن الرسائل الدكتوراه الرسالة التي أنجزها د. عبدالله بن سالم الدوسري، وعنوانها: (سبويه في لسان العرب) ونوقشت يوم ١٦/٦/١٤٠٣ هـ.

علاقات الشيخ:

كان الشيخ - رحمه الله تعالى - له علاقات كثيرة واسعة حسنة، ويجيب عن جميع الرسائل التي تأتيه، ولم يتوان في الرد على رسائله، مهما كانت، ومن أي جهة جاءت، كانت له مراسلات مع عددٍ غير قليلٍ من أساتذة الجامعة في عدد من البلدان العربية.

ومن أبرز الأشخاص الذين للشيخ بهم علاقة تقدير من غير منسوبي الكلية التي عمل بها الأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود؛ الذي كان يزور الشيخ في سكنه شمال جامع الرياض الكبير، وغيره كثير من السعوديين على وجه الخصوص، وكان الشيخ عضيمة يثني على علم د. حسن فرهود، ويعجبه عمله في تحقيق التكملة كثيراً.

أشرت عند حديثي عن المقتضب إلى أن د. أمين علي السيد كتب نقداً لعمل الشيخ في ترتيب المقتضب، ونشره في مجلة كلية اللغة العربية التي ينتميان إليها، ولما قابل الشيخ د. أمين السيد لم يظهر عليه أثر لتلك المقالة، أو أن يسود علاقتهما فتور، بل بقيت العلاقة على ما كانت عليه.

وأشرت عند حديثي عن المذكر والمؤنث إلى ما صنعه د. رمضان عبدالنواب في عمل الشيخ، بل إن الاختصارات كان التوقُّع يشير إلى أنها من فعله - عفا الله عنه -، وجاء د. رمضان أستاذاً زائراً لكلية اللغة العربية، وقابل الشيخ في الكلية، وألحَّ الشيخ عليه بدعوته إلى منزله، وفعلاً زاره د. رمضان، وكنت حاضراً تلك الزيارة، وقد احتفى به الشيخ أيما حفاوة، وقدره تقديراً رائعاً.

وفي تلك الزيارة جرى حديثٌ بينهما عن تحقيق د. عبدالسلام هارون لكتاب سبويه، فذكر الشيخ أن له على العمل ملحوظات كثيرة، فعرض عليه د. رمضان أن يعيد تحقيق الكتاب، فاعتذر الشيخ بأنه لا داعي له ما دام أن الكتاب خرج محققاً، فطلب منه أن ينفذ تحقيق عبدالسلام هارون، فأطرق الشيخ قليلاً ثم قال: هارون أحسن في تحقيق كثير من كتب التراث، ولم يوفق في تحقيق الكتاب، فنحن نغفر له هذه من أجل تلك.

:

أما العلاقة التي كانت مبنية على إعجاب متبادل بين الرجلين فهي علاقته بالأستاذ محمود محمد شاكر، وقد قدّم الأستاذ محمود شاكر لكتاب الدراسات، وكتب الشيخ عزيمة مقالة رائعة بعنوان: (الأستاذ محمود محمد شاكر: كيف عرفته) ونشرت ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى فخر بمناسبة بلوغه السبعين ص ٤٥٣ - ٤٥٥^(١).

وفاته:

بقي الشيخ في كلية اللغة العربية بالرياض أكثر من عشر سنوات، جرت عادته - رحمه الله تعالى - طيلة السنوات الماضية أن يقضي إجازة نصف العام - وهي أسبوعان - الأسبوع الأول في مكة المكرمة، ويسكن في أحد الفنادق القريبة من الحرم، ثم يسافر إلى المدينة المنورة ليقضي فيها الأسبوع الثاني قريباً من المسجد النبوي.

وفي عام ١٤٠٤هـ وقبل بدء الامتحانات قدّم طلباً إلى عميد الكلية آنذاك الشيخ ناصر بن عبدالله الطريم، وقال في الطلب: إنه بقي في المملكة أكثر من عشر سنوات، لم يسافر خلال إجازة نصف العام إلى مصر، ويطلب الإذن له بالسفر، ومثل الشيخ لا يرد طلبه، فوافقت الكلية، وتمّ الأمر، وكانت إجازة نصف العام تبدأ بنهاية دوام يوم الأربعاء ١٤٠٤/٤/٨هـ، إلا أن الشيخ رغب في تقديم سفره لظروف الحجز والطيران، فسافر يوم الثلاثاء ١٤٠٤/٤/٧هـ تصحبه زوجته.

وبعد وصوله القاهرة استقبله ابنه المعتز، ووقع لهم حادث سيارة، ووصفت الباحثة التي كتبت عن الشيخ رسالتها قائلة: "وحين وصل وزوجه إلى مطار القاهرة كان في استقبالهما ابنهما محمد المعتز بالله، وقد جلس الشيخ في المقعد الأمامي في السيارة، وبادرت الزوجة والابن بوضع الحقائق فيها حين أقبلت سيارة كبيرة فاصطدمت بسيارتهم، ولم تلتحق بهم إصابات بيد أن الشيخ أصيب بالإغماء، وفقد وعيه، فنقل إلى مستشفى قريب، ولكنه ظلّ مغمى عليه إلى إن انتقل إلى رحمة الله بعد نحو ثمان وأربعين ساعة في ١٤٠٤/٤/٩هـ الموافق ١٨٤/١/١٢م رحمه الله رحمة واسعة"^(٢).

(١) كدت ألا أذكر هذه المقالة حتى نبهني أخي د. هشام عبدالعزيز الشرقاوي عليها، فجزاه الله خيراً.

(٢) الشيخ عزيمة وجهوده اللغوية ١٢-١٣.

هذا ما قالتها الباحثة، وأثبتته في رسالتها، والرواية التي سمعتها وقت الحادثة والتي نقلت إلى الدكتور أحمد كحيل وهو الذي نقل الخبر، وسمعه أيضاً من عددٍ من زملاء المصريين ربما يختلفُ بعضُ الشيء، فبعد وصولهما استقلا السيارة الخاصة، وبعد خروجهم من المطار بمسافةٍ ليست بعيدةً حانت التفاتةٌ من السائق، فأنحرفت السيارة عن الطريق، واصطدمت بعمودٍ كهرباءٍ، وأصيبَ الشيخُ الذي كان يجلس في المقعد الأمامي بضربةٍ في الجبهةِ وأعلى الأنفِ، مما سبّبَ دخوله في غيبوبةٍ طيلة يومي الثلاثاء والأربعاء، وجاءه أولاده وبناته، وهو ما زالَ في غيبوبةٍ، وأفاقَ بعدَ العشاء، وسألَ عن ابنتيه هناك وأيات، وطلبَ أن يراهما، وبقيَ مستيقظاً مدةً ليست طويلةً وانتهت الزيارة، فلما جاءَ الأبناء صباحَ اليوم التالي وهو يوم الخميس أفادَ المستشفى أنَّ الشيخَ توفي في الليل، يعني ليلة الخميس ١٤٠٤/٤/٩ هـ. رحمه الله رحمةً واسعةً، وغفرَ له، وأسكنه فسيحَ جنّته، وألحقه بالصدّيقين والشهداء وحسنَ أولئك رفيقاً.

بعض أقوال الشيخ:

للشيخ - رحمه الله تعالى - أقوالٌ كثيرةٌ، تجسّدُ منهجَه في الحياةِ والبحثِ والتعاملِ مع الآخرين، وله نظرتهُ الثاقبةُ، وآراؤه الدقيقةُ، أمّا في العلم فقد بناها على درسٍ وتمحيصٍ وتدقيقٍ، أمّا في الحياة فقد أملاها ذكاؤه وبصره بالناس، ولن أزيد على هذا، وإنما اخترتُ نصوصاً من أقواله مسندةً إلى أعماله موثقاً جميع ما نقلتُ. قال - رحمه الله تعالى - : "إذا قرأ النَّاسُ القرآنَ الكريمَ للتدبُّرِ والعبرةِ ونيلِ الثوابِ فلا يشغلني في قراءةِ القرآنِ إلا الجانبُ النحويُّ، تشغلني دراسةُ هذا الجانبِ عن سائرِ الجوانبِ الأخرى.

أهوى قراءةَ الشعر، وأحرصُ على حفظِ الجيّدِ منه، ولكنَّ جيّدَ الشعرِ الذي يصلحُ لأنَّ يحلَّ محلَّ شواهدِ النحو له تقديرٌ خاصٌّ في نفسي. ورحمَ الله ثعلباً فقد قال: اشتغلَ أهلُ القرآنِ بالقرآنِ ففازوا، واشتغلَ أهلُ الحديثِ بالحديثِ ففازوا، واشتغلَ أهلُ الفقهِ بالفقهِ ففازوا، واشتغلَت أنا بزبيدٍ وعمرو، فيا ليت شعري ماذا تكونُ حالي في الآخرة" (١).

(١) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس ٨٢.

:

قال - رحمه الله تعالى:- "وفي رأبي أنه لا يجملُ بالمتخصِّص في مادَّته العاكفِ على دراستها أن تكونَ طبعاَتُ كتابه صورةً واحدةً لا أثر فيها لتهديبٍ أو قراءاتٍ جديدةٍ، فإن القعودَ عن تجديدِ القراءةِ سمةٌ من سماتِ الهمودِ، ولونٌ من ألوانِ الهمودِ"^(١).

وقال - رحمه الله تعالى -:- "وليس من غرضي في إخراجِ المقتضب أن أزهوَ به، وأحطَّ من قدرِ سواه، فإنِّي أكرمُ نفسي عن أن أكونَ كشخصٍ كلِّما ترجمَ لشاعرٍ جعله أشعرَ الشعراءِ"^(٢).

قال - رحمه الله تعالى -:- "فحديثي اليوم إنما هو وحيٌّ هذه التجربة، وثمرتة تلك الممارسة والمعاناة، ولكلِّ إنسانٍ تجربته، فإذا كان لغيري تجربةٌ أخرى، أو رأيٌ آخر يخالف ما أذكره أو استفسارٌ فليكتب لي عن ذلك بعد الفراغ من المحاضرة، وعلم الله أني لا أضيِّقُ بالرأيِ المخالفِ، وفي يقيني أن المناقشةَ تنضجُ الرأيَ وتهدِّبه"^(٣).

وقال - رحمه الله تعالى -:- "لقد سجَّلتُ كثيراً مما فاتَ النحويين، وليسَ من غرضي أن أتصيِّدَ أخطاءهم، وأردَّ عليها، ولستُ أزعم أن القرآنَ قد تضمَّنَ جميعَ الأحكامِ النحويةِ، فالقرآنُ لم ينزل ليكونَ كتابَ نحوٍ، وإنما هو كتابٌ تشريعٍ وهدايةٍ، وإنما أقولُ: ما جاءَ في القرآنِ كانَ حجةً قاطعةً، وما لم يقعَ في القرآنِ نلتمسُه في كلامِ العربِ، ونظيرُ هذا الأحكامُ الشرعيةُ؛ إذا جاءَ الحكمُ في القرآنِ عملَ به، وإن لم يرد به نصٌّ في القرآنِ التمسناه في السنَّةِ وغيرها"^(٤).

أمثلة من اختياراته واستدراكاته وأقواله:

لن أطيلَ الحديثَ عن تعقباتِ الشيخِ للسابقين، واستدراكاتِهِ في النحو والصرفِ، وإنما سوف أكتفي ببعض الأمثلة، ومنها على سبيل المثال:

(١) المغني في تصريف الأفعال ٤.

(٢) المقتضب ١٢٦/١ (ط: الثانية).

(٣) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس ٨٢-٨٣.

(٤) النحو بين التجديد والتقليد؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد السادس، ٩٥.

استدرك على السهيلي استقباحه تقدّم معمول الفعل المقترن بالسین عليها، ووافق المبرد والرضي وأبا حيان، ولم يشتر هؤلاء الجلة إلى الدليل من السماع، ووقف الشيخ على هذا التقديم في القرآن الكريم، وأورد شاهداً عليه^(١). اشتراط الزمخشري في خبر (أن) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها فعلاً، واستدرك عليه الشيخ أن خبرها جاء اسماً جامداً، واسماً مشتقاً في القرآن الكريم. منع ابن الطراوة أن يقع المصدر المؤول من (أن) والفعل مضافاً إليه، واستدرك عليه الشيخ أن المصدر المؤول من (أن) والفعل جاء مضافاً إليه في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن.

منع النحويون وقوع الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب، وعلّوا ذلك بأن وقوعه بعد الإيجاب يتضمّن المحال والكذب، واستدرك عليهم الشيخ أنه جاء في القرآن ثماني عشرة آية وقع الاستثناء المفرغ بعد الإثبات، وفي بعضها كان الإثبات مؤكداً مما يبعد تأويله بالنفي^(٢).

ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

خاتمة:

هذه السيرة المختصرة كتبها في مدة قصيرة من الزمن، وهناك أمور كثيرة، ونصوص مختلفة من كتابات متعدّدة رغبت في تسجيلها لكن ربما يكون من العذر ضيق الوقت، وأمور أخرى لم أسجلها، وهناك أحداث مسجلة، ووقائع مختلفة منها الخاص، ومنها العام جرت في حياة الشيخ وعاشت فصولها، تدخل في السيرة الذاتية ولم أسجلها هنا، ولعلّ أهم توجيه تلقّيته منه هو نصيحته لي شخصياً ألا أقبل عملاً إدارياً مهماً كان حتى أنهى جميع المراحل التي تتطلب بحوثاً وأعمالاً علمية، وأنها هي الأولى من الأعمال الإدارية.

وأخيراً لعلّ فيما قدمت مكنة لمن أراد أن يعرف سيرة علم أفنى عمره، وتتمنى أن يكون في العمر بقيّة، فحقّق الله له ذلك، وامتدت هذه البقية حتى أنهى الكتاب الذي نصّب نفسه للعمل فيه، وأنهى طباعته ومراجعته، وأسهمت جامعة الإمام محمد بن سعود

(١) انظر: السنين وسوف في القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الثالث ٦٩.

(٢) انظر هذا وأكثر منه بالتفصيل في بحث: دراسات لأسلوب القرآن الكريم؛ مجلة كلية اللغة العربية العدد الخامس ٢٩-

:

الإسلامية في إعانتهأ له بتحمل نفقات الطباعة، ثم يريد الله سبحانه وتعالى أن يتم جميع ذلك في حياة الشيخ، وأن تسهم الجامعة مرة أخرى في خدمة صاحب الكتاب كما أسهمت في خدمة الكتاب طباعة ونشراً فرشحت المؤلف لنيل جائزة عالمية؛ وهي جائزة الملك فيصل - رحمه الله تعالى - فيفوز بها، ليلقى ربه بعد ذلك في العام التالي كما أسلفت، والله كريم يمن على عباده، ويجزي المتقين، فجزى الله شيخي أحسن الجزاء، وغفر له، وأكرم نزله، ورفع مقامه، وجزى الله جامعة الإمام خير الجزاء على جهودها في خدمة العلم، والعناية بالعلماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تيسير تعليم النحو

الضعف اللغوي - أسبابه وعلاجه

أ. د. عوض بن حمد القوزي

قسم اللغة العربية-كلية الآداب
جامعة الملك سعود-الرياض

قبل الحديث عن "تيسير تدريس النحو" يحسن أن نطرح هذين السؤالين، ونجيب عليهما بصدق وموضوعية:

١ - هل الصعوبة التي نشكو منها تتمثل في النحو نفسه -قوانينه- وأبوابه وموضوعاته وقضاياها.

٢ - أو هل مصدر الصعوبة راجع إلى اللغة العربية نفسها -نظامًا ومعنى، أفرادًا وتركيبًا، وأصواتًا-؟!.

فإذا كانت الشكوى تومئ إلى النحو فهي أزلية نشأت بنشأته، ولم يخل زمان من التعرض لها، وحسبنا تذرر بعض الدارسين من صعوبة فهمه، وإطلاق ألسنتهم بالهزاء تارة لحملته، وتارة للعلم نفسه، وهو وإن عدَّ من قبيل الظرف، إلا أنه يعكس معاناة أصحابه وينبه إلى بعض مكامن الشكوى، فهذا أحدهم يستصعب باب العدد فيقول:

في النَّحْوِ لَا يَفْهَرُنِي إِلَّا تَقَاصِيلُ العَدَدِ

وثان يستعصي عليه باب "إضمار أن" فيتوجه إلى المازني ويشكو إليه صعوبة هذا الباب قائلاً: (١)

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٢، ص ٥-٦.

وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنَ
بَطُولِ الْمَسَائِلِ فِي كُلِّ فَنٍّ
وَمِنْ عِلْمِهِ غَامِضٌ قَدْ بَطُنَ
وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطْنٍ
ءُ لَلْفَاءِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنَ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لَعِنَ
لُ: لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِيَنِي
عَلَى النَّصْبِ؟ قَالُوا: بِإِضْمَارِ أَنْ
فَاعْرَفَ مَا قِيلَ إِلَّا بَطْنٌ
أَفْكَرُ فِي أَمْرٍ (أَنْ) أَنْ أَجَنُّ

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَيْتُ
وَأَتَعَبْتُ بَكْرًا وَأَصْحَابَهُ
فَمِنْ عِلْمِهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ
قَدْ كُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا
خَلَا أَنْ بَابًا عَلَيْهِ الْعَقَا
وَاللَّوَاوُ بِبَابِ إِلَى جَنْبِهِ
إِذَا قُلْتُ: هَاتُوا لِمَاذَا يُقَا
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا
وَمَا إِنْ رَأَيْتَ لَهَا مَوْضِعًا
فَقَدْ خِفْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طَوْلِ مَا

وآخر يسمع المشتغلين بالتصريف فيومئ إليهم مغاضبًا: "لإن كنتم تصلحون اللغة إنكم أول من أفسدها".

وقال بعض الأعراب: (١)

حَتَّى سَمِعْتُ كَلَامَ الزَّيْجِ وَالرُّومِ
كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغُرَبَانِ وَالْبُومِ
مِنَ التَّقَمِّ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ

مَا زَالَ أَخَذُهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
لَمَّا سَمِعْتُ كَلَامًا لَسْتُ أَفْهَمُهُ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمْ وَاللَّهِ يَعْصِمُنِي

وقال بعض الأعراب: (٢)

تَأْسِيسَ نَحْوَهُمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا وَضَعُوا
وَدَاكِ نَصْبٌ، وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَبَيْنَ زَيْدٍ، وَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً فِيهِ يَكُونُ لَهَا
قَالُوا لَحْنَتْ، وَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ
وَحَرَّسُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا

إلى أن قال:

(١) الإمتاع والمؤانسة، ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٠.

مَا كُلُّ قَوْلِي مَعْرُوفٌ لَكُمْ، فَخُذُوا
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايِنَةً
مَا تَعْرِفُونَ، وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
وَأَخْرَيْنَ عَلَيَّ إِغْرَابَهُمْ طَبَعُوا
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَوَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا

فإذا ما دققنا النظر في مصطلحاتنا وجدنا أن الشكوى من النحو لا تعني النحو نفسه، بقدر ما تعني صعوبة قوانينه وقواعده، وما ذلك إلا أن حقيقة النحو إنما هي "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه...^(١) وحُمل على ذلك ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب^(٢) وليس ثمة صعوبة في هذا الانتحاء، لأننا نرى كثيراً ممن يخالط الشعوب العربية لا يلبث قليلاً إلا وهو يتكلم بلسانهم، يفهم ما يقولون ويستطيع نقل ما يريد نقله إليهم، مع تفاوت في درجات الإتقان، ومحصلهم من الفصاحة لكنهم على كل حال يستطيعون التعبير عن مقاصدهم ويعون جل ما يلقي عليهم، وهم في ذلك يعكسون اللغة المسموعة المحكية، ومحصلهم منها محدود، لأنه لا يتجاوز حدود التعبير المتصل بخدماتهم، فإذا ما انتقل إلى مجال آخر رأيتهم يتخبط في الفهم والإفهام، لاختلاف المفردات التي تطرق سمعه تبعاً لاختلاف الوسط الجديد عن سابقه، وهذا عن طريق المشافهة ثابت لا يحتاج إلى براهين أو أدلة.

ومن الثابت أن الذي سيكون ثقيلاً على غير العربي إنما هو تعلم نحو اللغة العربية وصرافها وعلومها الأخرى، لأنه سينتقل من السماع والمحاكاة إلى استخدام قوانين وقوالب ربما لا يستخدمها العرب أنفسهم، بل لا نغالي إذا قلنا إنه ربما استعصى فهمها على بعض معلمي العربية أنفسهم فضلاً عن تلامذتهم، فهي قوانين مجردة، لا تخضع للقياس على اللغة المحكية، لأنها إنما تقاس على فصيح الكلام الذي لا يراه خاضعاً للاستعمال إلا قليلاً، ولو حاوله لوجده صعب المنال، لأن الملكة القائمة لديه لا تلبى حاجته كلها، ولذا تراه يقف عاجزاً أمام إلقاء خطبة، أو كتابة ظلامه أو شكوى، وربما وجد الصعوبة عند كتابة رسالة تتطلب الارتقاء بالأسلوب وبالإعراب.

من هنا نبادر بالقول: إن تعلم اللغة العربية ليس صعباً، ولعل الصعوبة تظهر عند طلب قوانينها البعيدة عن الاستعمال، المفرطة في التجريد، المتجاوزة إلى الافتراض والتأويل، أما أصولها وقوانينها النحوية والصرفية القائمة على القياس غير المعقد، فإنها سهلة المنال، ولا يستعصي فهمها على طالب العربية إن بذل في ذلك أدنى جهد، يقول

(١) الخصائص، ج ١، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٥.

المستشرق الفرنسي وليم مارسية: "إن من السهل جداً تعلم أصول العربية، فقواعدها الصرفية التي تظهر معقدة لأول مرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لا يكاد يصدق، حتى إن صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة، وبجهد معتدل، ويضيف هذا المستشرق قائلاً: "إن الفعل العربي هو لعبة أطفال إذا قيس بالفعل اليوناني أو بالفعل الفرنسي، فليس هناك صعوبة في الاشتقاق، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقاً"^(١).

وهذه شهادة أخرى من مستشرق آخر هو الفرنسي (هنري لوسيل) الذي يقول: "وتقدم العربية أيضاً نسفاً من قواعد الإعراب بسيطاً، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تقدم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسفاً من الأفعال يتسم بالبساطة..."^(٢).

ناهيك عن امتداحهم لجرسها الموسيقي الذي لا نكاد نرى له مثيلاً في كثير من لغات العالم، فيا ليت شعري كيف يشهد بيسر هذه اللغة وسهولتها وجمالها قوم يفترض منهم الشكوى؟! في الوقت الذي يشتكي صعوبتها قوم يفترض منهم الحياء -على الأقل- من المجاهرة بالشكوى.

إن الشكوى التي يرددها كثير من أبناء العرب وغيرهم، إنما هي صدى لدعوات مغرضة أطلقها المستعمرون في وقت مضى، عندما حاولوا الدخول إلى معقل قوة الأمة، وضربها في ثقافتها من الداخل، بخلخلة ثوابتها، وإبعادها عن مكنن قوتها ووحدتها، وظلت تلك الأصداة تتردد على أسماع الناشئة حتى ظنوها حقاً، وتخلوها واقعاً ملموساً عندما قيل لهم بثنائية الفصحى والعامية، ولمسوا ميل الناشئة إلى اللغات الأجنبية التي حسن لهم الاستعمار وجهها وغرس في روعهم أن الفصحى لم يعد لها مكان إلا في بطون الكتب الصفراء، وأن الحضارة الحديثة تدعو إلى التخلص من مثل تلك الاستعمالات التي لا يرى فيها غير التقعر بالإعراب، أو لفظ قد مات من الاستعمال، وأصبح مقبوراً بين الكتب وحسب، حتى إن ناشئتنا صارت تستغرب الكلام المَعْرَب، وربما استهزأت من صاحبه أو هجرته.

وفي هذا السياق يحضرنى بعض الأمثلة الميدانية مما عايشته بنفسى في الجامعة. ففي الفترة التي خدمت في معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود عميداً، وكان طلابه

(١) تيسير مباحث النحو والصرف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٣، ج ٤، ص ٩٠٣-٩٠٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠٤.

ولا يزالون من غير العرب، اشتكى إليّ بعض الطلاب الوافدين من عدم قدرتهم على التفاهم مع الطلاب السعوديين في الجامعة، وظننت الأمر طبيعياً يتصل بضعف سيطرة هؤلاء الوافدين على زمام العربية، وأنه سيأتي يوم غير بعيد لتكون لهم القدرة على الفهم والإفهام، لكنهم أرددوا القول: إن الطلاب السعوديين يتكلمون معنا بلهجة أو لهجات محلية، خارجة عن نظام العربية الذي نفهمه، وهي لهجات لا تخضع للإعراب ولا لقياس الفصحى التي تعلمناها، ولذلك فإننا لا نتعلم العربية من أبناء العروبة بقدر ما نتعلمها من زملائنا الوافدين من الأقطار الأخرى، ولقد أصبح من الظواهر في تجمعاتنا الطلابية أن ترى الصيني يجلس مع الأفريقي أو مع الأوروبي والآسيوي، ويتفاهمون بالعربية -على القدر الذي تعلموه- ولا يأنسون بالجلوس مع رفاقهم أبناء الجزيرة العربية في الكليات، لأن لهجاتهم التي يتحدثون بها تبدو وكأنها رطانة جديدة، فلا يفهمها غير أصحابها هذا شيء محزن، والأشد منه حزناً أن ترى الطالب العربي -الذي يفترض فيه الغيرة على لغته- يهزأ من الطالب الوافد الذي يكلمه بالعربية الفصحى، وربما تدعوه المجاملة إلى التخاطب مع ذلك الوافد بلغة ملحونة يعنى هو في الإسفاف بها إلى مستوى العجمة ظناً منه بأنها لغة التخاطب التي يجب عليه أن يتوصل بها إلى المستوى المعرفي لمخاطبة غير العربي، فيتجلى بلغة لا تحترم الذوق ولا الإدراك، ولا تقوم على أي أساس من المنطق اللغوي، كما أنها لا تستند على القياس الذي قامت عليه العربية أول ما قامت.

وبالتجربة فإن كثيراً من أبنائنا العرب أصبح يخجل من القراءة في الكتاب أمام هؤلاء الأعاجم، لا سيما أولئك الذين أحرزوا تقدماً في التحصيل اللغوي، وحسبك أن تسمع من الطالب الأفريقي أو الصيني أو غيرهما لغة سليمة في التخاطب والحوار، ولغة معربة رشيقة وهو يتسابق مع الخطباء في المسابقات التي تعقد في الخطابة وقراءة الشعر بله حفظ كتاب الله العظيم، وهذا يدعونا إلى التفكير في دعوى المقدسي بأن أصح العربية يتكلم بها في المشرق، أي في الأقليم اللغوي الفارسي لأنهم يتكلمونها تكلفاً ويتعلمونها تلقاً^(١).

أعود لأقرر أن هذه السلبية التي تظهر على لغة شبابنا لا تفسير لها غير الانهزام الذاتي، وعدم استشعار العزة التي كان يعيشها أسلافنا، حيث كانوا يعتزون بعروبيتهم ويستهنون العجمة ومن لهج بها، أما الجيل الحاضر فلا غرو أنه يقدم احترامه لمن مزج العربية الملحونة ببعض الألفاظ الأجنبية لا سيما الغربية منها، من إنجليزية أو

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢.

فرنسية أو ألمانية، ليدل على سعة ثقافته، ومدى تحضره، وأظنه لن يقابل بالاحترام لو لهج بلكنة هوساوية أو أردية، أو حتى صينية، لأنه لا يرى في هذه اللغات دليل تحضر يضيف إلى شخصيته هالة الاحترام الذي تضيفه عليها اللغات الغربية، فليت شعري كيف يستبدلون بالعزة الذل، ليتهم يعلمون مدى تقدير المثقفين الغربيين وغيرهم لهذه اللغة، يقول المستشرق فيشر: "باستثناء الصين، لا يحق لشعب أن يفخر بلغته غير العرب"^(١).

إننا نفخر ببناء هذه اللغة وطرائق نظمها اللفظي، ونفخر بالفكر الذي حملته عبر السنين، والنسق الناصح الذي تحملها الألفاظ، فهي سهلة التأليف، سليمة المراد، عالية الرونق رقيقة الحواشي، تسابق السمع إلى النفس، لا تحوج مستعملها إلى تأويل، ولا تشق عليه بغموض^(٢).

إلا أن معرفة العربية، سليقة وطبعًا، تختلف عن فهمها صناعة وقانونًا، ونحن اليوم إنما نحاول معرفة مواطن الصعوبة في هذه اللغة أفي اللغة نفسها هي أم في قوانينها وصناعاتها؟!

ومن أجل ذلك يجمل بنا أن نقرر أن الصعوبة التي يشتكي منها المشتكون إنما هي في النظم والقوانين التي استخرجها علماء العربية بالاستقراء والسماع، واستنتجوها بالممارسة والحكمة، وتنافسوا في حذقها والتعليل لها، وصارت مدارسهم في هذا الميدان معروفة مشهورة، وليست الصعوبة في ملكه اللسان العربي، ولا اللغة من حيث هي تركيب ونظم وبناء ومخارج أصوات وأداة تعبير، ووسيلة إفهام، ورونق فكرة، أو حمل رسالة - فاكتساب ملكة اللسان العربي هي غير صناعة العربية، وأن هذه الملكة مستغنية عن تلك الصناعة بالجملة- كما يقرر ابن خلدون^(٣).

ولكي نعرف هذه الحقيقة ينبغي أن نفرق بين اللغة ملكة وسليقة واللغة صناعة وقوالب مقننة.

يقول ابن خلدون: "صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا، ولا يحكمها عملاً...، وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، ولذلك نجد كثيرًا

(١) المعجم الكبير، ص ٢ المقدمة.

(٢) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج ٢، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦٠.

من جهابذة النحاة المهرة في صناعة العربية المحيطين علمًا بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه، أو ذي مودته، أو شكوى ظلامه، أو قصدًا من قصوده أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يُجد تأليف الكلام"^(١).

وبالمقابل "نجد من يحسن هذه الملكة، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور، ولا شيئًا من قوانين صناعة العربية"^(٢).

وهذا يدعونا إلى أن نفكر في أقرب السبل لإكساب المتعلمين ملكة اللغة، ثم تعليمهم قوانينها وصناعتها ليصلوا إلى الحسنين إلا أن مدارسنا وجامعاتنا لا تأخذ أهمية غرس الملكة أولاً بعين الاعتبار فتراها تلقي إلى الناشئة قوالب صماء في شكل قوانين ملزمة، خلت من الحسّ اللغوي، وابتعدت عن ماهية اللغة، وصرفت الدارسين إلى حفظ تلك القوالب خلواً من الشواهد، بعيدة عن الممارسة، يستظهرها المتعلم منفصلة عن اللغة نفسها، فتراه كمن تشرح له طرق السباحة شرحاً نظرياً وهو لا يعرف الماء الغزير ولم يجرب السباحة فيه حتى إذا ألقى في اليم غرق ولم تسعفه معارفه النظرية، أو كالنجار الذي لم يمارس النجارة قط، ويشرح له كيفية استعمال المنشار في تقطيع الخشب، وصناعة الأبواب أو غيرها، فإذا جاء إلى تطبيق ذلك عملياً رأته عاجزاً عن كل شيء.

يقول الدكتور المخزومي رحمه الله: "إن أمثال هذه الصنعة أصبحت ضرباً من الرياضة العقلية البائسة، وصار النحو عند بعض النحاة مجموعة من الأصول النظرية الجافة، وبيالغون في تحكيم المنطق والاعتبارات الفلسفية في الدرس النحوي"^(٣).

فاللغة إذن تعني الممارسة، وهذه الممارسة لا بد أن تكون موجهة، وإذا كنا نريد تكوين ملكة اللسان العربي، فلا بد من "إقامة علاقة عشق بين الدارس والنحو" فإن قامت هذه العلاقة فإنه يصبح بالإمكان الإقبال على تعليم القواعد العربية بأي أسلوب من أساليب تدريس العربية"^(٤).

وهذا العشق إنما يتكون بتوجيه المتعلمين إلى تراثنا العربي شعره ونثره قراءة في فهم، وحفظاً في وعي، وسيجدون في النماذج الشعرية وأمثال العرب وخطبها، وما حفظ

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٦٠.

(٣) أعلام النحو العربي، ص ٧.

(٤) انظر: تيسير قواعد اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣، ج ٤، ص ٨٩٠-٨٩١.

لنا من تراكيب كلامها ما إذا فهم معناه، أداة تحثهم على الاستزادة منه، فإذا أكثروا من التدريب على قراءته، واستمرأوه، سهل عليهم محاكاته، وانقطعت نفوسهم إليه، وأصبح من اليسير عليهم تطبيق قوانينه النظرية على شواهد الشعرية، وهكذا، وبذلك نكون قد زدناهم بالملكة المطلوبة والدراسة بأسرار اللغة وقوانينها الصناعية، في أسلوب تكاملي يربط بين النظرية والتطبيق ولا يفصل بين علوم العربية أو ينظر إليها وكأنها قوالب منعزل بعضها عن بعض، بل يبحث الصرف إلى جانب النحو إلى جانب علم البيان، ليحس أن هذه العلوم روافد للملكة المنشودة، واللغة الفصيحة المطلوبة، وليزيل عن نفسه الخوف من تعلم النحو منفصلاً عن غيره من علوم العربية.

"إن علينا أن نغرس في الناشئة حب الفصحى، وحب الأدب العربي أولاً، ونساعدهم على تذوقه قبل الشروع في وسائل حذق صناعته واستخلاص القواعد النحوية التي تحتاج في استنباطها إلى الدربة والأذهان القوية"^(١).

وإذا كنا نسعى لأن يصبح نحونا العربي فطرة لا فطنة^(٢) فإن علينا أن ننظر في الأسس التي نبني عليها تعليم اللغة للنشء، ونتعرف العناصر المؤثرة في العملية التعليمية والتربية اللغوية.

فأولها المنزل، وثانيها المدرسة بما فيها من (معلم وكتاب وخطط منهجية)، وثالثها: المجتمع ومؤسساته المختلفة وما ينتج عنه من استعمال لغوي موجّه وغير موجّه، فالموجّه يكون في الإعلام بأشكاله المختلفة، وغير الموجّه يتمثل في السلوك اللغوي الذي يطرق آذان النشء في الشارع والحارة والسوق والمدرسة والملاعب.

هذه العناصر مجتمعة تلعب دوراً كبيراً في التنشئة اللغوية -إن لم تكن هي نفسها المسؤولة مسؤولة كلية عنها- وكل عنصر يعد أساساً ورافداً لغيره من العناصر ولا يمكن فصلها عن بعض، كما لا يمكن تجاهل تأثيرها جميعاً في تكوين الطفل نفسياً وفكرياً ولغوياً ومعرفياً وتأهيله اجتماعياً، ومن أجل ذلك كان على كل منها أن يعي دوره في هذا التكوين، وأن يضطلع بمسؤوليته، وألاً يحاول التخلي عن دوره، أو إسناد مهمته إلى غيره، كما أن عليه ألا يقوض بناء الإيجابيات التي غرستها العناصر الأخرى، فذلك سيعود سلباً على الطفل، وحسبنا أن نتمثل في هذا المقام قول الشاعر:

(١) أثر الشعر في تربية الملكة اللسانية والأدبية: بحث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، مج ٣، ص ٢٠٣.

(٢) انظر: الإمتاع والمؤانسة، ج ٢، ص ١٣٩.

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدُمُ؟

ولعل لنا وقفة سريعة عند كل عنصر من هذه العناصر نسلط فيه الضوء على دوره في إرساء بناء الملكة اللغوية:

فالمنزل: هو أول هذه العناصر وتأثيره في تكوين الملكة اللغوية لا يمكن تجاهله، إذ فيه يبدأ بناء الطفل جسمياً وعقلياً ولغوياً، ويمكن أن يغرس المنزل اللغة الفصحى في الطفل عند بدء مرحلة النطق، وإكسابه لغة ناصعة خالية من العجمة والتلوث اللغوي، فإذا نشأ الطفل، وهو لا يسمع إلا لفظاً فصيحاً، وبناء لغوياً سويًا، شبَّ وقد تكونت لديه القاعدة المتينة التي تتقبل الطيب من القول، والمستقيم من التراكيب، وتكون الملكة الكلامية قد حصلت على قسط لا بأس به من المران، الأمر الذي يحفزها لمزيد من الاكتساب إذا قدمت إلى المجتمع المدرسي الجديد.

إن دور الأبوين لا يقف عند حد التغذية والتدجين أو توجيه الطفل دينياً وحسب، بل يتعدى ذلك إلى حماية لسانه من التلوث اللغوي، وبناء الحصانة اللازمة للملكة اللفظية الصحيحة، ومن العجب أن كثيراً من المنازل لا ينتبه إلى هذه الرسالة معولاً على المدرسة، وأنه يرى أن عليه الرعاية الصحية، والسلوكية المحدودة، أما رعايته لغوياً فإن المعلم سيمارس ذلك وعليه تقع المسؤولية، وأقول للأسرة: إن اللبنة اللغوية الأولى تبنى على أيديكم في المنزل، فإن وضعت وضعاً سليماً استطعنا إقامة بنية متين عليها، واستطعنا الارتقاء في البناء دون خوف أو وجل، أما إن فرطنا في الأساس فسوف يخر البناء إذا رفعنا أعمدته، لأنه لم يبق على قواعد متينة، فليع المنزل رسالته، وليقم بمسؤوليته، ولا يستهن بقدرة الطفل في التلقي التلقائي في المرحلة العمرية الأولى، فكما أنها مرحلة بناء عقدي ديني، فكذلك هي مرحلة تأسيس لغوي وفكري أيضاً.

أما المدرسة فهي المحطة الثانية في عمر الناشئة، وهي أولى محطات المجتمع بعد المنزل، نقذف إليها فلذات أكبادنا متلهفين لأن نراهم قد أحرزوا السبق الفكري، والتحصيل العلمي، وحصلوا ما يحتاجون من معارف ومهارات، وقد تلقى بالحمل كله على هذه المؤسسة لما يتوفر فيها من خبرات بشرية واعية مؤهلة ومناهج موجهة، وخطط صيغت باهتمام وعناية لتنشئة الطفل السوي، القادر على حمل الرسالة في المستقبل، إلا أنه ينبغي أن نعي أن "دور المعلم في أسباب الضعف [اللغوي] قليل، لا سيما في المراحل التعليمية الأولى، قياساً على ما حصله الطفل في مراحل التعليم من

ثقافة، وما هو عليه من مستوى لغوي قبل الدراسة^(١).

وفي المرحلة التعليمية الأولية ينبغي ألا ننسى استمرار تعلق الطفل بالمنزل واعتماده الكبير على والديه وإخوته في تنمية معارفه بصفة عامة واللغوية بصفة خاصة، ولهذا كان علينا ألا ننقل على المدرسة في هذه المرحلة عبئاً أكبر مما تتحمل، أو ننقل المسؤولية كلها عليها، لا سيما ونحن نعلم أن الطالب لا يمكث فيها غير ربع ساعات حياته اليومية، أما الأرباع الثلاثة الأخرى فيقضئها في كنف الأسرة لكن هذا لا يعفي المدرسة من مسؤوليتها.

وبالنظر إلى الجانب اللغوي فدور المدرسة فيه هام وخطير، فإذا سلمنا بتوفر الكفاءات البشرية المدربة، ذات الخبرات التربوية والعلمية، المدركة لحاجات الطفل النفسية، وكذا المناهج المدرسية المعدة إعداداً تربوياً يتناسب ومدارك الطلاب في مراحلهم المختلفة، فضلاً عن المكان المناسب بما يحويه من متطلبات الراحة النفسية والبدنية للطفل، فإننا ننتظر من المعلم عطاء يتناسب والإمكانات المتوفرة له، وخير طريق يسلكه لذلك العطاء هو أن يجعل من نفسه قدوة صالحة لطلابيه، لا في السلوك وحده، بل في التعلم، وعلى الأخص في ممارسة اللغة واستعمالها لغة تفاهم أو اتصال. إذ يطلب منه استعمال اللفظ الفصيح والابتعاد عن الهجين، وترك اللهجة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا لا يعني أن يتقعر في ألفاظه، فتنفر منه النفوس، وتمله الأسماع، ويقل تقبله عند الطلاب.

هذا في حال الخطاب، أما في حال الدرس فإن على المدرس ألا يلقي دروس العربية في قوالب جامدة، ويفرض على الطلاب حفظها أو ترديدها، فهو بهذا كمن يطعمهم العلقم، أو يلقمهم الحجارة، ويقسرهم على مائدة تكرهها نفوسهم.

وإذا كان التربويون يقررون أن الأسلوب هو الرجل، وأن أسلوب المعلم لا يكشف عن علمه وحسب، بل يكشف عن عقله وقدراته التي تتطلبها مهنته فإن أسلوب تعليم العربية ينبغي ألا يحد أو يفرض على المعلم، بل تترك له الحرية في التفنن في أساليب الإفهام، وذلك بعد غرس روح المحبة للتراث اللغوي في نفس الطالب، وألا يوحي المعلم إلى الطالب بصعوبة موضوعات اللغة، أو يبالغ في تضخيم مشكلاتها، فيهم الطالب بتلقي صعوبة المادة قبل المادة نفسها، وعندئذ ينصرف الطالب يائساً من التحصيل، وتتراعى

(١) أثر الشعر في تربية الملكة اللسانية والأدبية، ج ٣، ص ٢٠٣.

له شبحاً مخيفاً تنفر منه نفسه، فيحل العداء محل المودة، وينشأ النفور على رفات الاستعداد للتقبل، لكن إذا هون المعلم على طلابه الأمر، وأزال عنهم شبح الخوف من توعر مسالك النحو، وربط بين ما يريد نقله إليهم من معارف لغوية، وبعض الجوانب التراثية المحببة إلى نفوسهم كأن يكون النص المطروح للدارسين مرتبطاً بقصة معينة، أو حادثة، أو نحو ذلك، مما تتساق إليه طباعهم وتتناقد نحوه أهواؤهم، فعندئذ تكون التهيئة لتقبله كما تتهيأ الأرض الخصبة للري والإنبات، ويكون المعلم بذلك قد أدرك فضيلتين:

الأولى: ربط المتعلم بتراث أمته، ذلك التراث الذي تتساق إليه نفسه فطرياً، وتهواه غريزياً.

الثانية: الوصول إلى الهدف الأسمى، وهو تكوين الملكة اللغوية لدى الطفل، في أسلوب خال من الجفاف الذي ينشأ من تلقي قواعد اللغة مجردة من روح اللغة نفسها، أو تجشمه تعلم قوانينها في قوالب لا تحس فيها نوع الحياة اللغوية، أو تشعر بالتفاعل بينها وبين المتعلم.

وتعجبني في هذا المقام مقولة صدرت عن طه حسين إذ يقول: "إن إحياء النحو لا يتأتى إلا من طريقين:

أحدهما: أن يقربه النحاة من العقل الحديث، ليفهمه ويسيغه ويتمثله، ويجري عليه تفكيره إذا فكر، ولسانه إذا تكلم، وقلمه إذا كتب.

وثانيهما: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحب إلى النفوس درسه، ومناقشة مسأله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه"^(١).

وإذا كان هدفنا جميعاً تيسير النحو فلنحذر مزالق التيسير غير العملية، فمبدأ حذف بعض أبواب النحو مرفوض، إذ لو فتح هذا الباب لقطع النحو أوصالاً، ولحذف جزء منه في كل زمان، ولتطايرت أبوابه واحداً بعد الآخر تبعاً للأهواء والتقدير، ولكن الذي نراه في شأن التيسير هو مراعاة حاجة المتعلم في كل مرحلة من مراحل التلقي، فلا يعطى فوق ما يحتمل. كما لا ينبغي استهجان عقل المتعلم وتعرضه لمعلومة يشعر معها بالاستخفاف بقدراته الفكرية، فينصرف عن التحصيل الجاد ويزهد في العلم كله.

(١) نقلاً عن: تيسير قواعد اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣، ج ٤، ص ٨٨٧.

وبالمقابل ينبغي تجنب الإسراف في إثارة القضايا الفكرية العميقة ذات القواعد المغرقة في الدقة والغموض، وأن يشعر المتعلم، وهو يتلقى المعلومة النحوية أنها تخدم باباً في اللغة التي يحتاجها في حياته اليومية، فتقرب له بشكل تطبيقي يلامس حاجته الفكرية والاتصالية، ويكون هدفها البعيد إكسابه المهارة اللغوية، وترسيخ ملكة الفصحى لديه، بعيداً عن التعمق في الخلافات التي تزعزع ثقته فيها يطرح عليه من قوانين، وما يراد له من تحصيل، على أن يفتح أمامه باب الاستزادة في التعمق إن رأى إلى ذلك حاجة، أو إن كانت قدراته العقلية تلح عليه في التعمق العلمي، والبحث في العلل والأعاريب المختلفة من تقديري، أو حذف، أو محل، أو غير ذلك.

وإن أحسن وسيلة لبلوغ ذلك هو استدعاء النصوص العربية من منظوم ومنثور ليكون التطبيق عليها، ولكي نستخرج القواعد والقوانين منها، لا أن يقف المعلم عند سرد أمثلة مجردة من المعاني خالية من الأهداف، إلا هدف القاعدة النحوية، فيلقبها على المتعلم الذي ربما ظن أن حفظ تلك القوالب هو النحو بعينه، أو هو العربية التي ينبغي عليه درسها وفهمها.

وعلى معلم العربية أن يراعي عدم الفصل بين علومها، وقد أدرك هذا التلازم كثرة كاتبة من المشتغلين بهذه العلوم، فنادوا بالألا يدرس فرع بمعزل عن الفروع الأخرى^(١).

أن تكون الملكة اللغوية أمر ليس باليسير، ولكنه ليس مستحيلاً إذا اتبع فيه المنهج التكاملي المبني على حسن اختيار النصوص، وتوجيه الناشئة إليها، يقول ابن خلدون: "وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على ألسنتهم من القرآن والسنة، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من عاش بينهم، ولقن العبارة عن المقاصد منهم ... فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ..."^(٢).

ويقول: "إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ منهم وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة

(١) انظر: تيسير مباحث النحو والصرف، مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣، ج ٤، ص ٩٠٠-٩٠٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٩.

عن المقاصد على نحو كلامهم"^(١).

وهذا يعني اشتمال النصوص المختارة على أهداف لغوية ونحوية وصرفية ودلالية وتربوية، لأن هدفنا الأسمى تكوين الشخصية ذات الفاعلية الإيجابية في الحياة، ولسنا بهدف تزويد المجتمع بشخصيات مقبولة لا تتعدى كل منها القلب الذي اختيرت له، أو وضعت نفسها فيه، فالحياة الاجتماعية تتطلب الشخصية المرنة ذات المواهب المتعددة، والإيجابيات المتنوعة، يقول الجاحظ: "طلبت علم الشعر من الأصمعي، فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام، والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب"^(٢).

والكلام في هذا الباب كثير، ولولا خشية الإطالة لطرزت هذا البحث بجميل أقوال السلف في الحث على اكتساب الملكة اللغوية عن طريق مدارس كتب التراث، لأنها إلى الفصحى أقرب، كما هي إلى المتكلمين بها سليقة أشد قرباً.

على أن هناك مجالاً في المدرسة لا ينبغي تجاهله في ميدان تنمية الثروة اللغوية عند المتعلم، والارتقاء بملكته اللسانية إلى فصيح اللفظ وسلامة القول، وهو استغلال النشاط اللاصفي كمنبر الإذاعة والمسرح المدرسي وتدريب الطلاب على الإلقاء السليم، وتعويدهم على قراءة الشعر ونصوص الأدب الراقية لفظاً ومضموناً حتى تصبح الفصاحة لهم عادة، ويزول عنهم الخوف من خوض غمار الفصحى، وتختفي ظاهرة الاعتذار عن القدرة على الإعراب التي طالما ردها كثير من الخطباء حتى أولئك الذين يحملون الدرجات العلمية العالية.

أما المجتمع، فتأثيره على اللسان لا ينكر، فالطفل منذ أن يدرج على الأرض، ويخالط أترابه في الحارة، وأقرانه في الملعب والعامرة في السوق، يلتقط منهم اللغة دون انتقاء، فتتشكل شخصيته اللغوية بشكل متسارع لا يستطيع أحد السيطرة عليه، أو تنظيمه، أو إهماله.

وبما أن المجتمع بمؤسساته المختلفة مسؤول عن التأثير في أفرادها لا في المجال اللغوي وحده، بل في كل المجالات، كان على المجتمع الذي يسعى لبناء الشخصية السوية أن يحرص على ما يفرزه من عطاءات في الخلق، والدين، واللغة، ليكون المواطن سويّاً، متفاعلاً مع غيره، يعطي كما يأخذ، ويبني ويرتق، بعيداً عن السلبية

(١) المصدر السابق، ص ٥٦١.

(٢) البيان والتبيين، ج ١، ص ١٨٠.

الممقوتة.

وفي الجانب اللغوي يظهر دور المجتمع في إكساب الفرد لغة مجتمعه، ومميزاتها اللهجية، ولا أدل على ذلك من اختصاص كل بيئة بلهجتها الخاصة وقاموسها اللغوي الذي يميزها عن غيرها من البيئات، وإذا كنا جادين في البحث عن الوحدة العربية الصحيحة، فحري بنا أن نبدأ باللغة، ولن يوحد العرب من خليجها إلى محيطها غير الفصحى، لكن هذه المطالب الشاقة في زمان نشطت فيه العاميات، وبرزت الأبواق تزين للناس جمالها، وربما أحالت إليها التفرد بصنع الهوية، أو حملها تراث الشعوب، ناسين أن الإقليمية في جميع صورها لا تدعو إلا إلى التشرذم والضعف، وأن هوية الأمة في عربيتها التي توحد شعوبها، وتصنع حاضرها بسواعد مجتمعة، كما بنته في الماضي، وحملت ثقافتها إلى أقاصي الشرق والغرب.

ويأتي الإعلام بصوره المختلفة من مرئي ومسموع ومقروء على رأس القائمة المؤثرة في لغة الناشئة، فهو "من أجدى الطرق لتعلم الناشئة لغتها وبيانها، فاللغة تؤخذ بالسماع والمحاكاة، فإذا التزمت وسائل الإعلام الصواب قومت الألسنة، وعودت سامعيها إحسان الحديث، وأغنت ذخيرتهم اللغوية ورفعت من أساليبهم"^(١)، والواقع أن الإعلام يعد السلطة الرابعة -كما يقولون-^(٢)، وقد أصبح جزءاً من حياتنا اليومية، ولا ينفصل عن أي منزل، لاسيما، وقد غطت الفضائيات العالمية المعمورة، ودخلت بغيثها وسمينها إلى المنازل، وأصبح تأثيرها الفكري واللغوي والخلقي لا يخفى على كل ذي بصيرة، من أجل ذلك كان على إعلامنا العربي رسالة الارتقاء بمستوى مخرجاته كلها دون استثناء، لأنه لم يعد دوره تثقيفياً توعوياً وحسب، بل تعداه إلى أن يكون دفاعياً كذلك، إذ عليه التصدي للسموم التي تنفثها الأبواق المعادية للعرب والعربية، ومقارعة الحجة بالحجة، والتنبه لمراكز الغزو الفكري لصدّ كل هجوم يستهدف ناشئتنا في لغتها وخلقها.

وإذا كانت الإعلام العربي بهذا الحجم، فإن عليه أن يبدأ بتصحيح نفسه -لغة وفكراً- وأن يحث الخطى في استرعاء انتباه الشبيبة بالبرامج المؤثرة ذوقياً وفكرياً ولغوياً، وألا تتيح الفرصة للفتنات المغرضة فتغرقه في وحلها، وتصيب الأمة في أعلى ما تملك وهو شبابها.

(١) اللغة العربية والإعلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٤، ج ٤، ص ٧٨٨.

(٢) السلطات الثلاث الأخرى هي: السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية.

إن ما نلاحظه على إعلامنا العربي المسموع والمرئي توجهه المحلي سواء فيما يطرح من قضايا، أو الوسيلة اللغوية في ذلك الطرح، وكأن كل إذاعة، أو تلفاز لا يهتمها إلا النطاق الإقليمي الضيق، والمحيط القطري الذي تمثله، أما أن يشعر القارئون عليه أنهم يخاطبون العرب قاطبة (من الشام لبغداد، ومن نجد إلى اليمن إلى مصر فتطوان)، فذلك نسوه، ولم يعيروه أي اهتمام. فتركزت العاميات واللهجات المحلية كل في محيطه، حتى صرنا لا نسمع من محطات البلاد الشقيقة إلا الأخبار، لأنها الوحيدة التي تبث بالفصحى.

إننا بحاجة إلى إعلام يخاطب العربي في كل موقع، ولن يخاطبه إلا إذا أصلح لغته، "ورحم الله امرأً أصلح من لسانه"، على أن ما يبث حالياً لا يأخذ بالاعتبار الأهمية اللغوية التي يمكن أن يبنيتها، أو يهدمها في المجتمع، وكأنه نسي أو تناسى دوره الأساسي في نشر اللغة، ومعالجة القضايا الفكرية التي تمس حاجة الأمة كلها.

إن ما يطرق مسامعنا اليوم من وسائل الإعلام -إلا قليلاً- إما لغة ملحونة يظنونها صحيحة، وإما لهجات مغرقة في المحلية التي لا يفهمها، إلا قطاع قليل من المستقبلين، ولست بحاجة إلى ضرب الأمثلة، لأنها ممارسات كثيرة، أخطأها فاشية في النطق ومخارج الأصوات، حيث توسعوا في حروف القلقة فأدخلوا فيها الضاد والراء، أما بناء الكلمة فحدث ولا حرج، فهم يلحنون في نطقها ويخالفون العامة في ذلك ظناً منهم أنهم نهجوا الطريق الصحيح، وتجنبوا ما عليه العوام من النطق، وما علموا أنهم بذلك التفصح إنما جانبوا الصواب، وابتدعوا لحناً ربما أضر بكثرة تكراره على الكلمة اللغوية عند المتلقين، فهم يقولون مثلاً⁽¹⁾: التجربة -بضم الراء- ويجمعونها مع الضم أيضاً، والصواب كسرهما في الحالتين، كما يقولون: الشريعة السمعاء بألف وهمز بعده، والصواب بتاء التانيث، ويقولون: "واقعنا المُعاش"، وهم يعنون "المعاش" من عايش، أو "المعيش" من "عاش"، ومثله قولهم: "السلعة المباعة"، وهم يعنون "المبيعة"، لأن الفعل "باع - يبيع"، واسم المفعول منه "مبيع"، ومثل ذلك قولهم: "اللجنة" بضم اللام المشددة، ويتركون للعامة الصواب وهو الفتح. كما تتفشى أخطأهم في التراكيب على نحو قولهم: "لا زال الوضع متوتراً"، وهم يريدون الاستمرار وهذا خطأ، فالفعل الماضي ينفي "بلا" في موضعين:

(1) انظر في هذه الأمثلة: أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في نشر الأخطاء: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج 4، ص 12-17.

الأول: أن يكون الفعل الماضي مكرراً كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾.

والثاني: أن يكون الفعل الماضي دعاء، نحو "لا قدر الله"، لا سمح الله".
ومن أمثلة أخطائهم في التراكيب قولهم في النفي: "سوف لا"، و"سوف لن"،
والصواب النفي بلن.

ويقولون: "القرار رقم كذا"، وهم يقصدون "القرار ذا الرقم كذا". أما في مجال
الدلالة فأخطأوهم لا تُعد، فتراهم يقولون: "فضلاً عن كذا" وهم يريدون "بالإضافة إلى
كذا" ناوين استبعاد الأدنى وإرادة استحالة ما فوقه نحو: "فلان لا يملك درهماً فضلاً عن
دينار"، أي لا يملك درهماً ولا ديناراً، وكأنه يقول: "فلان لا يملك درهماً فكيف يملك
ديناراً"، ويقولون: "هذا سوء تفاهم"، وهم يعنون "سوء فهم"، إلى غير ذلك من الأخطاء
التي أخذت تتركز في ذاكرة المستمع، حتى ظن الصواب خطأ، واستمرراً الخطأ ولم يعد
ينكره.

أما في مجال الصحافة فالقول يطول، لأن الكتاب لا تحكهم ثقافة واحدة، ولا
أهداف معينة، فكل كاتب لا يرى إلا الصواب فيما يطرح، والصحف تلتهم ذلك دون أن
تحسن الاختيار في المضمون، أو الشكل، وكأنها لا تعتبر شأنًا لعقل القارئ ولا تحترمه،
بل تراها أحياناً تمارس بعض الاستعمالات ظناً منها بالتجديد الذي تفرضه الثقافة
المعاصرة، فهناك تقديم المتأخر دون ضابط، وعود الضمير على متقدم مجهول، وكأن
القاعدة عندهم هي الأزورار عن قواعد العربية، والميل نحو الأساليب التي تعكس التأثير
بالترجمة، ناهيك الإعلانات ونشرها كما يريد أصحابها، دون اكتراث باللغة، أو الإملاء،
وربما خالطها ألفاظ أجنبية محلاة بالحرف العربي. لقد كانت الصحافة في القرن
العشرين منبراً للثقافة، ورافداً للتعلم، ومنارة إشعاع فكري، واليوم على كثرتها وتطورها
أصبحت خواء من الفكر والثقافة، وقد لا يفيد القارئ إلا فيما تنقل أخبار ونحوها.

إن الإعلام أهم وسيلة في غرس الثقافة اللغوية في المجتمع، فمتى نرى إعلامنا
العربي، وقد تحمل مسؤوليته تجاه هذه اللغة، ونجح في تقويم اللسان وهو قادر عليه إن
هو توجه إلى ذلك؟!!!

وبعد: فهذه إضاءة يسيرة على دور الإعلام في تشكيل اللغة، وفي الجعبة مزيداً من
القول، ولكن الإشارة تكفي ذا البصيرة. والله من وراء القصد.

الباء المحذوفة في القرآن الكريم

أ.د. عوض بن حمد القوزي

قسم اللغة العربية-كلية الآداب

جامعة الملك سعود-الرياض

تبحث هذه الدراسة جزئية لها دور في الدراسات القرآنية، ومن خلالها يقف القارئ على مذاهب العرب في الحذف بدءاً من حذفهم الجملة، فالكلمة، فالحرف، فالحركة، ثم يتبين دور الوقف في مسألة الحذف، وما تمثله رؤوس الآي عند القراء من شبه بالقوافي عند الشعراء. لقد وقفت عند الباءات المختلف في إثباتها وحذفها وهي المسماة (باءات الزيادة) فكان أن تناولت هذه الدراسة تحرير معنى (الزيادة)، وأنها لا تعني ما عرف عند النحاة من أن الزائد دخوله كخروجه، بل عنت ما زيد عن رسم المصاحف، مما يقتضيه بناء الكلمة، أو الإعراب، وأن هذه الباءات تكون في الأسماء والأفعال، كما تكون في رؤوس الآي وحشوها، وفواصل الوقف وتمامه. ومن خلال الدراسة تباينت أسباب اختلاف القراء في إثبات الباءات أو حذفها، فالذي يثبتها إنما يثبتها على الأصل في بنية الكلمة، وأما الذي يحذفها فإما أن يكون متبعاً الرسم، وإما أن يكون حذفها تخفيفاً بدلالة الكسرة التي قبلها عليها، وقد يكون الحذف في الوقف دون الوصل. على أن بعض الحذف كان له وجه عند النحاة، بل إن بعضه كان له شواهد من لهجات العرب كالتي تقف عند نون الوقاية وتحذف الياء بعدها. ولم تغفل هذه الدراسة التفريق بين (باءات الزيادة) و(باءات الإضافة) فالأخيرة تتصل بالاسم وبالفعل والحرف، وخلاف القراء فيها لا يتعدى خلافهم في تحريكها بالفتح أو تسكينها، وهي كثيرة في القرآن الكري. كما لم تغفل الدراسة بيان قيمة الحذف من الناحية البلاغية، وأنه إيجاز، والعرب تحب الإيجاز، وتجعله من أسس الكلام البليغ، فهو واحد من أساليب البلاغة عند فصحاء العرب، وقد ظهر في هذا النوع من الحذف تميز القرآن بأسلوبه المعجز، وعلوه عن الشعر وسجع الكهان.

الحذف منهج تسلكه العرب في لغتها، لتعبر عن أغراض خاصة ترمي إليها، وهو أحد أساليب البلاغة عندها، وقد اهتم علماء اللغة العربية بتتبع مواطن الحذف، فوجدوا أن العرب تحذف الجملة، والكلمة، وبعض أجزاء الكلمة، أو يحذفون حرفاً واحداً منها -وهو غالباً ما يكون آخراً- كما يحذفون الحركة أيضاً، وفرّقوا بين الحذف والإضمار، ثم بينهما وبين الإيجاز⁽¹⁾.

(1) الإضمار هو ما يبقى أثره بعد الترك، والحذف ما لا يبقى. أما الإيجاز فيعني العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال. انظر: الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق

ولما كانت البلاغة هي الإيجاز، فإن الحذف هو مدار الإيجاز، وعادة ما يكون الحذف فيما لا يخلّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، ولا يبدّ من ظهور علامة تدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه، فإنه حينئذ يكون لغوًا، ولا يمكن الاعتماد عليه، كما لا يحكم عليه بكونه محذوفًا بحال^(١).

وقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بدراسة ظاهرة الحذف، والكشف عن مواطنها وأسرارها، ومظاهرها في لسان العرب، والقبائل التي تعتمد إليها، ولم تقف جهودهم عند أشهر القبائل كقريش وتميم، بل تجاوزوا ذلك إلى دراسة منطوق القبائل العربية غير الحجازية والتميمية^(٢).

وباستقراء التراث اللغوي، نرى سعة الحذف في الجمل، وقد يؤول ظهور المحذوف إلى نزول الكلام عن علو بلاغته، ولما كان الحذف فاشيًا في كتاب الله عزّ وجلّ، فلا غرابة إذن في علو أسلوبه وعلو منزلته، ناهيك عن إعجازه. إلا أن الحذف في المفردات أو سع مجالاً منه في الجمل؛ لأن المفردات أخف في الاستعمال، وهذا ما دعا لكثرة فيها، فقد يحذف الفعل ويبقى فاعله دليلاً عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾^(٣)، أو أن يحذف ويبقى مفعوله، كما في

قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^(٤).

وقد يكون الحذف لازماً كما في المصادر، حين جعلوها عوضاً عن أفعالها، كقولهم: (حمداً، وشكراً) وغير ذلك كثير مما نقل بالسمع عنهم. أما من طريق القياس فقد نقل عنهم الحذف في المصادر المثناة، نحو (لبيك، وسعديك) ونحوهما، أو ما جاء على جهة التشبيه في مثل قولهم (مررتُ به فإذا له صوتٌ صوتَ حمار، وصُراخٌ صُراخِ النُّكلى).

أما الفاعل فالمختار منع حذفه، لعدم فصله عن فعله، وهو في كثير من الأمور

ودراسة: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص ٣٣٧-٣٥١.
(١) العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، طبع بمطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤م/١٣٣٢هـ، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) انظر: الجندي، علم الدين: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس بليبيا، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦.

(٤) سورة الشمس، الآية ١٣.

بمئزلة الجزء من الفعل، وأنه معه كالجزء الواحد^(١)، إلا أن بعضهم أجاز الحذف إذا دلت عليه دلالة حالية، أو مقالية، ففي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٢) حذف الفاعل، وهو (النفس)، ولم يكن مضمراً؛ لأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلت عليه القرينة الحالوية، ومثله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾^(٣)، أي تقطع الأمر أو الوصل بينكم^(٤). قال مكي ابن أبي طالب: "وفي حرف ابن مسعود ما يدل على النصب فيه، قرأ ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وهذا لا يجوز فيه إلا النصب، لأنك ذكرت التقطع، وهو ما كأنه قال: لقد تقطع الوصل بينكم^(٥)، وهذا ما وصفه الفراء بأنه وجه الكلام^(٦)، إلا أن أبا علي ذكر مذهبين في نصب (بينكم) في هذه الآية، أحدهما: إضمار الفاعل في الفعل، وكأنه قال: تقطع الوصل بينكم، وتكون الدلالة حينئذ للحال، وهو بمئزلة جري الذكر عليه وتقدمه، والمذهب الآخر: وهو مذهب الأخفش أبي الحسن، ومفاده: أن (البين) منصوب إلا أنه على معنى المرفوع، لأنه لما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام^(٧).

ومن حذف الفاعل في الشعر قول حاتم:

(١) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: اللع في العربية، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور حسين محمد شرف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١١٥؛ انظر ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت بلبنان، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٨١، فقد عقد ابن جني باباً في الخصائص، تحدث فيه عن "شجاعة العربية"، وبين فيه أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف، وعندما عالج (الحذف) درس مذاهب العرب في حذف الجملة والمفرد، والحرف، والحركة، وبين أن ذلك كله لا يكون إلا بدليل. وقد فصل المحذوفات بأدلتها وشواهداها، ولكنه لم يذكر الفاعل ضمن المحذوفات إلا ما حذف منه مع فعله، وهذا لا خلاف عليه عند جميع النحاة.

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

(٤) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ص ٢٦٣، فقد قرأ هذا الحرف نصيباً نافع، والكسائي، وروى حفص عن عاصم النصب أيضاً.

(٥) القيسي، مكي بن أبي طالب: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت بلبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج ١، ص ٤٤١.

(٦) الفراء، أبوزكريا، يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٤٥.

(٧) الفارسي، أبو علي الحسن بن عبدالغفار: الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٣، ص ٣٥٩-٣٦٠.

أَمْوِيٌّ مَا يُعْنِي التَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى

إِذَا حَشْرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ!؟

أراد (النَّفْسُ) عند الاحتضار، وهي قرينة حالية^(١).

وأما المفعول، فالمحذوف فيه كثير، وحذفه على أنواع:

- الحذف المطرد، وعندئذ يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلقه، كقولهم: (فلان يعطي، ويمنع، ويصل، ويقطع، ويحل، ويعقد، وينفع، ويضر) ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿﴾^(٢).

- ومنه ما يحذف لفظًا ويراد المعنى تقديرًا، ففي قصة موسى مع ابنتي شعيب حذف المفعول أربع مرات في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٣) فسقى لهما^(٣)، وقد بين الزمخشري أن سبب حذف المفعول في هذه المواضع إنما هو كون الفعل غرضه لا المفعول^(٤).

أما حذف الحرف فكثير في العربية شعرها ونثرها، وهو على أشكال:

١- حذف الترخيم: ويكون في النداء، حيث يقال: (يا حَار) في نداء حارث، كما يقال: (هَرَق) في نداء (هرقل) ونحو ذلك، وهذا جائز في غير الضرورة، فإذا اضطر

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها دخلت على أبيها عند موته، فتمثلت بهذا البيت، فقال: ﴿هَلَّا قَلْتَ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ...﴾ انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ١٧، ص ١٠، وانظر أيضًا: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٦٤٢-٦٤٣ (حشر ج).

(٢) سورة النجم، الآية ٤٣-٤٤.

(٣) سورة القصص، الآية ٢٣-٢٤. والتقدير: يَسْفُونَ مَوَاشِيَهُمْ، تَذُودَانِ أَعْنَامُهُمَا، يُصْدِرُ الرِّعَاءُ مَوَاشِيَهُمْ، فسقى لهما مَوَاشِيَهُمَا، ومثل ذلك كثير. انظر: العلوي اليمني: الطراز، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٥.

(٤) انظر: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ج ٣، ص ٤٠١.

- الشاعر، فليس بين النحويين خلاف أنه جائز في غير النداء^(١).
- ٢ - حذف التصغير: ويكون بتصغير الاسم على حذف ما فيه من الزوائد، وهو جائز في الشعر والكلام، فيقال في (أزهر): (زهير)، وفي (حارث): (حريث)، وفي (فاطمة): (فطيمة)^(٢).
- ٣ - قصر الممدود: وهو نوع من الحذف الزائد لأنه تخفيف، وجوازه في ضرورة الشعر، كما أن مدّ المقصور غير جائز، لأنه زيادة وتثقل للكلام بزيادة الحروف، وما جاء من الشعر فيه مما أنشده الكوفيون تأوله البصريون على غير الوجه الذي تأولوه^(٣).
- ٤ - حذف النون الساكنة: من الحروف المبنية على السكون عند الضرورة نحو (من ولكن)، وذلك عند التقاء الساكنين، تشبيهاً للنون بحروف المدّ واللين^(٤).
- ٥ - حذف التنوين: لالتقاء الساكنين وهو جائز في الكلام والشعر وقد قرئ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾^(٥)، بحذف التنوين^(٦).
- ٦ - حذف الهاء الواقعة آخرًا في غير النداء كالتي في بيت جرير:
- ألا أضحت حبالكم رماما
وأضحت منك شاسعة أماما
- يريد: (أمامة) لكنه حذف الهاء وبقي الميم على حالها وهي غير مناداة^(٧).
- ٧ - حذف الواو والهاء المتصلتين بهاء الكناية المسبوقة بمتحرك، وهذا جائز في الشعر دون النثر، كقول الباهلي^(٨).

(١) انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله: ما يحتمل الشعر من الضرورة، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٩٣-١٠٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤-١١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦.

(٥) سورة الإخلاص، الآية ١-٢.

(٦) روى هارون عن أبي عمرو هذه القراءات، لا يُنَوَّن وإن وَصَل. انظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٧٠١.

(٧) انظر السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ٩٦-١٠١.

(٨) انظر سيبويه: الكتاب، بولاق، ج ١، ص ١١، السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٢٦-١٢٨.

أَوْ مُعْبَرُ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيِّهِ مَا حَجَّ رَبُّهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَعْتَمَرَ

وهذه الحروف زوائد، وجاز حذفها لأنها تسقط في الوقف^(١).

٨ - حذف الواو والياء من (هُوَ، هِيَ) وهو قبيح لأنهما متحركتان ثابتتان في الوقف كما في قول الشاعر:

دَارٌ لِسُعْدَى إِذْ مِنْ هَوَاكََا

أراد: (إذ هي ...) وقول الآخر

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ

أراد: (فبيناهو).

٩ - حذف الواو والياء الساكنتين إذا كان قبلهما ضمة أو كسرة اكتفاء بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء، كما في قول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانُوا حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الْأَسَاءُ

أراد: (كانوا) فاكتفى بالضمة من الواو، وكقول الآخر:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيْقُ دَرَهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِي بِالسَّيْفِ الدَّمَ

أراد: (تعطي) فحذف الياء واكتفى بالكسرة منها^(٢).

١٠ - حذف النون الخفيفة لزيادتها، ولأن حذفها لا يخل بالمعنى وهو ضرورة شعرية - كما يرى الخليل -، كما في قول الشاعر^(٣):

أَضْرَبَ عَنكَ الْهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرَبَكَ بِالسَّيْفِ قُوْنَسَ الْفَرَسِ

١١ - حذف الفاء في جواب الشرط كقول حسَّان^(٤):

مَنْ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

(١) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١ - ١٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤، وابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: الدكتور حسن هنداي، ج ١، ص ٨٢، وانظر أيضاً: ابن جني: الخصائص، ج ١، ص ٢٦.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٤٥٨.

١٢ - حذف الياء مع وجود الألف واللام في الكلمة، كالياء في القاضي والمهتدي، وقد ذكره سيبويه في باب ضرورة الشعر^(١)، إلا أن الناس أنكروه، لأن مثل ذلك الحذف جاء في القرآن الكريم في غير رؤوس الآي، وبه قرأ القراء، فقالوا: إن مثل هذا لا يدخل في ضرورة الشعر، إلا أن أبا سعيد السيرافي بين مراد سيبويه من إدخال هذا النوع من الحذف في الضرورة، وذلك أن الذين لغتهم إثبات الياء قد يحذفونها للضرورة تشبيهاً بالتنوين، لأن الألف واللام يعاقبان التنوين فلا يجتمعان في الكلمة^(٢)، وحيث إن هذا الحذف هو موضوع البحث، فسنرجئ الحديث عنه قليلاً:

١٣ - حذف التشديد الواقع في آخر القوافي الموقوفة، وهو حذف للضرورة كقول الشاعر:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنني أفر
حيث ينشد بإسكان الراء من (أفر)، لتتشاكل أواخر الأبيات:

ومنه تخفيف المشدد وتسكينه وحذف حرف بعده كقول الأعشى:

وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَتَارَاتُهُ فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ قَدْ بَانَ عَنْ

أراد معنى الياء وإحدى النونين فقال: (مَعْنٍ)، و(عَنْ) وهو يريد: (معنى) و(عني)^(٣).

١٤ - حذف الحركة: وهو وإن كان لغة إلا أنهم ينشدونه في باب الضرورة، كقول الشاعر:

أرقت لِبَرَقِ دُونَهُ شَرَوَانَ يَمَانٍ، وَأَهْوَى الْبَرَقِ كُلَّ يَمَانَ
فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخِيْلُهُ وَمَطَوَايَ مُشْتَأَقَانَ لَهُ أَرْقَانَ
فحذف حركة الهاء وسكن الحرف^(٤).

بالإضافة إلى ما ذكر هنا وفي الفقرة السابقة، فإنه يدخل ضمن حذف الحركة

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩١، ٣٠٠.

(٢) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩١.

(٤) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٢٩، وانظر هامشه للتعرف على مذاهب النحاة فيه.

حذفهم الفتحة من عين (فَعَلَ)، كقولهم في (هَرَبَ): (هَرَبَ)، وفي (طَلَبَ)، (طَلَبَ)، قال الراجز:

عَلَى مَحَالَاتٍ عُكِسْنَ عَكْسًا
إِذَا تَسَدَّهَا طَلَابًا غَلَسًا

أراد (غَلَسًا) (١).

ثم إنهم يحذفون الضمة والكسرة في الإعراب أيضاً، وقد أجازته سيبويه وأنشده (٢).

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْوَبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

فسكّن الباء من (أَشْرَبُ) والوجه رفعها (٣).

كما أنشد سيبويه على حذف الكسر أو الضم قول أبي نخيلة:

إِذَا اغْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ

ولم يقل (صاحب) ولا (صاحب) (٤).

ومن حذف الحركات ما ورد في جواز تسكين حركة الإعراب للضرورة، وقد تذهب الحركة للإدغام وطلب الخفة، فقد حكى بعض النحويين قول العرب: (أَنَا أَكْرَمُكُمْ وَأَعْشَمُكُمْ)، وقرأ بعض القراء قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ (٥) وقوله

سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦) بالسكون على الراء في الآية الأولى وعلى الميم الأول في الآية الثانية (٧).

ومنه إدخالهم جزماً على جزم إذا لم يلتق فيه ساكنان، فيدخلون الجزم على نحو

(١) المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٣) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٩، سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ٦٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٥١.

(٧) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٤٣-١٤٤، وهي قراءة ... انظر: البناء: إتخاف فضلاء البشر، ص ١٣٦.

"يشترى، ويثقي"، فيسقطون الياء، وربما اضطر الشعر فحذف الكسرة المتبقية بعد حذف الياء فيقول: "لم يَشْتَرْ زَيْدٌ، ولم يَثْقُ زَيْدٌ، ومن شواهد هذه المسألة قول الشاعر:

وَمَنْ يَثْقُ فَإِنَّ مَعَهُ ورزقُ اللهِ مُؤْتَابٌ وَعَادِي

فحذف الياء للجزم ثم حذف الكسرة القاف وأحلَّ الجزم محلها^(١).

والمحذوف في عمومه يمكن أن يدرك من جهة الإعراب، كما يدرك من جهة المعنى^(٢).

ولما كان هذا البحث معنيًا بالنظر في حذف الياء في القرآن الكريم فجدير بنا الوقوف على حال الياء في كلام العرب من منثور ومنظوم ليستدل به على ما ورد في الكتاب العزيز، وليقوي ما ذهب إليه بعض القراء من الحذف^(٣).

ففي مثل قول الراجز:

إِذَا اعْوَجَّجْنَ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ

بِالِدَوِّ أُمَّتَالِ السَّفِينِ الْعُومِ

قال سيبويه: "فسالت من ينشد هذا البيت من العرب، فزعم أنه يريد: صاحبي"^(٤) كما أن الشاعر حيث قال:

كَنُوحٍ رِيْشٍ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَمَسَحَتْ بِاللَّتَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمَدِ

أراد: كنواحي، ومثلها قول مضر بن ربيعي:

وَطَرْتُ بِمَنْصَلِي فِي يَعْْمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخِطُنَ السَّرِيحَا

ووجه ذلك: الأيدي^(٥).

وقد كثر حذف الياء من (الذي) في الشعر حتى ظهر المحذوف وكأنه بديل للأصل، مما حمل بعضهم على أن يقول: إن (اللذ) في (الذي) لغة شاذة قليلة، وأمثلة

(١) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) العلوي اليمني: الطراز، ج ٢، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) انظر: الأنصاري، أحمد مكي: نظرية النحو القرآني، دار القبلة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص ٦٥-٨٢.

(٤) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩١، وانظر: الخفاجي الحلبي، أبو محمد عبدالله بن سعيد بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٩.

ذلك كثيرة من نحو قول المتنبي في مدح بدر بن عمار^(١):

وإذا الفتى طرَحَ الكلامَ مُعَرِّضًا في مَجْلِسِ أَخَذِ الكلامِ اللَّدَّ عَنَّا
ومثله قول الآخر:

فَلَمْ أَرَ بَيِّنًا كَانَ أَحْسَنَ بَهْجَةً مِنْ اللَّدِّ لَهُ مِنْ آلِ عَزَّةَ عَامِرُ
وقول الآخر:

اللَّدُّ بِأَسْفَلِهِ صَحْرَاءُ وَأَسِيعَةٌ وَاللَّدُّ بِأَعْلَاهُ سَبْلُ مَدَّةِ الْجُرْفِ
وقول الراجز:

فَطَلْتُ فِي شَرِّ مِنَ اللَّدِّ كَيْدًا

كَاللَّدِّ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطَيْدَا

وأمثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة^(٢).

إن من مذاهب العرب حذف الياء في الوقف والوصل؛ لأنهم لم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل^(٣) وإذا كان إثبات الياء أقيس، فإنه لا خلاف في جواز الحذف لكثرتة، ثم لأنه عربي^(٤).

وقد اهتم سيبويه بدراسة الحذف، وعقد له أكثر من باب، وبحثه من زوايا عديدة، فقد خص (ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن) بباب درس فيه أوضاع الحروف الثلاثة المسماة حروف العلة أو حروف اللين والمد، وبين أن العرب تحذف هذه الحروف كراهة تحريكها، ولئلا تصير بالتحريك إلى ما يستثقلون، أو أن يقود إبقاؤها إلى لبس^(٥)، ثم لما كانت الياء أكثر الحروف الثلاثة عرضة للحذف، فقد خصها سيبويه بأكثر من باب، حيث درسها في (باب ما يحذف من أواخر الأسماء في

(١) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص ٨١.

(٢) ابن الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، ج ٢، ص ١١٤-١١٥. وانظر: السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٧٧.

الوقف وهي الياءات)، فالوقف في مثل "هَذَا قَاضٍ، وَهَذَا غَارٌ، ونحوهما من غير ياء قياساً على ذهاب الياء في الوصل، لأنهم لم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل، وقد وصف سيبويه هذا بأنه "الكلام الجيد الأكثر"، إلا أنه بيّن أن البيان أجود في الوقف، لأنه في موضع غير تنوين، فقولك: "هذا القاضي والغازي، والعمي" ونحوها أفضل من الوقف عليها من غير ياء، كما بيّن سيبويه في هذا الباب أن "جميع مالا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل، والقوافي، كما بيّن أيضاً أن الحذف لا يقع في الأفعال؛ لأن الياء لا تذهب في الوصل في حال، وذلك نحو "لا أفضي، وهو يفضي، ويرمي" واستثنى من بين الأفعال قولهم: "لا أدري" لأنه كثر في كلامهم، وهو شاذ، مبيهاً أن الأسماء أجدر أن تحذف إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي^(١).

بعد هذا عقد سيبويه باباً آخر لـ "ما يحذف من الأسماء من الياءات في الوقف، التي لا تذهب في الوصل، ولا يلحقها تنوين، وتركها في الوقف أقيس وأكثر" من نحو قولك "هذا غلام" وأنت تريد: (غلامي)، وقولك: قد أسقن، وأسقن" وأنت تريد: (أسقاني، وأسقني) ... واستشهد على ذلك بما روي من قراءة بعض الحروف في القرآن، مما سنعرض له قريباً بالتفصيل، وفرّق سيبويه في هذا الباب بين الياء في مثل "هذا قاضي"؛ "وهذان غلاماي" والياء الساكنة الواقعة بعد كسرة، فالأولى لا تحذف؛ لأنها لا تشبه ياء "هذا القاضي"؛ لأن ما قبلها ساكن، ثم لأنها متحركة في النصب كياء (القاضي) لكنها لا تشبهها، ولا تحذف في النداء^(٢) كما تحث عن حذف الياء اضطراراً في الباب الذي بحث فيه "ثبات الياء والواو والهاء التي هي علامة إضمار وحذفها" وبيّن أن حذف الياء والواو في الوصل أحسن، وعلل لذلك بئزوع العرب إلى التخلص من اجتماع الحروف المتشابهة، وإن كان الإتمام عربياً..^(٣).

ولقد كثر الحذف في الشعر، إلا أن توجيهه على الضرورة قد يكون غالباً، كما يمكن أن يحمل على الشذوذ والندرة أحياناً، ففي قول الشاعر:

فَبَيِّنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لَمَنْ جَمَلٌ رَخَوِ الْمِلَاطِ نَحِيْبُ

حذف الواو ضرورة من (هو)، كما حذف الياء للضرورة أيضاً من (هي) في

(١) سيبويه: الكتاب، ج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩١-٢٩٣.

قول الراجز:

دَارٌ لِسُعْدَى إِذْ مِنْ هَوَا كَا^(١)

وقد حذف الياء الأعرشى حين قال:

وَأَخُو الْعَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرْمُنْهُ

وَيَكُنْ أَعْدَاءً بُعِيدَ وَدَادِ^(٢)

كما حذف في قول الشاعر:

لَا صَلْحَ بَيْنِي فَأَعْلَمُوهُ وَلَا
سَيْفِي، وَمَا كُنَّا بِنَجْدٍ وَمَا
بَيْنَكُمْ مَا حَمَلْتُ عَاتِي
فَرَقَرُ قُمْرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ

حيث اكتفى بالكسرة في هذه الشواهد من الياء، كما اكتفى بالضمة من الواو في الدلالة على المحذوف^(٣).

إن حذف الواو والياء كثير في الشعر والنثر، وهو في الوقف أكثر منه في الوصل، وذلك لثقلهما^(٤)، يؤكد هذا قول سيبويه عن الواو في مثل (يَعْزُو): "لو كانت في قافية كنت حاذفها إن شئت" وهذا على غير ما ذهب إليه الخليل من عدم حذف الياء في مثل (يَقْضِي)، والواو في (يَعْزُو) إذا كانت واحدة منهما حرف الروي^(٥).

وحروف العلة هذه ضعيفة في أقوى أحوالها، ولذلك فإن أخف الحركات الثلاث وهي الفتحة مستتقلة فيها، ولذلك جنحوا عنها إلى السكون، وقد لحظ ذلك سيبويه، فسأل أستاذه الخليل عن هذه الياءات: لِمَ لَمْ تُنْصَبْ فِي مَوْضِعِ النِّصْبِ إِذَا كَانَ الْأَوَّلُ مِضَاقًا فِي نَحْوِ (رَأَيْتُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، وَاحْتَمَلُوا أَيَادِي سَبَأٍ) فقال: شبهوا هذه الياءات بألف

(١) الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: التكملة، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، منشورات جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣٠-٣١، وقد أنشد في هذا الرجز سيبويه، وفيه شاهد على حذف الياء، انظر: الكتاب، ج ١، ص ٩. كما أن البيت السابق للرجز هذا أنشده الأخفش فيما روى سيبويه في هذا الباب شاهداً على حذف الواو بعد تسكينها للضرورة، انظر: الكتاب، ج ١، ص ١٣-١٤، ثم انظر أيضاً: ابن برهان العكبري، أبو القاسم الأصبهاني عبدالواحد بن علي الأسدي: شرح اللمع، حققه: فائز فارس، السلسلة التراثية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج ١، ص ١٠. وانظر أيضاً: ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج ٢، ص ٧٣.

(٣) انظر: ابن جني: المنصف، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

(٤) انظر: ابن جني: أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هندواي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٢، ص ٥١٩-٥٢٠.

(٥) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٣٠٠.

(مُنَى) حين عرّوها من الرفع والجرّ، فكما عرّوا الألف منهما، عرّوها من النصب أيضاً، ثم ساق أمثلة على هذا، من ذلك قول روبة:

سَوَى مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطُ الْحُقُقِ

ونحو قول بعض السعديين:

يَا دَارَ هِنْدٍ عَفَتْ إِلَّا أَقَافِيهَا

وقول الآخر:

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرْفِ

حيث أسكنت الياء فيهن من (مساحيهنّ، أنافيهنّ، أيديهنّ) في حال النصب حملاً على الألف؛ لأنها أختها في العلة، والألف لا تحرك، وكل ذلك محمول على الضرورة^(١).

إلا أن العرب قد تثبت الألف في المضارع في حال الجزم، وفي الشعر فراراً عند الضرورة، على نحو قول الشاعر فيما أنشد أبو علي عن أبي زيد:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقَ

وَلَا تَرْضَاهَا، وَلَا تَمَلِّقَ

حيث أثبت الألف في (ترضّاهها) في موضع الجزم^(٢)، قال أبو علي: فهذا إنما هو على تشبيه الألف بالياء، ألا ترى ما قدّر من إثبات الحركة في:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتُ لُبُونُ بَنِي زِيَادَ

وحذفها للجزم لا يستقيم ها هنا، وقاس الياء هنا بالألف من قول عبد يغوت بن وقاص الحارثي:

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسَيْرًا يَمَانِيًّا

حيث أثبتها في موضع الجزم، ولو حذفها كان قد حذف حرفين^(٣) ومما يلحق بهذا

(١) انظر: سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٥٥، وانظر أيضاً: ابن جني: الخصائص، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٢، وسر صناعة الإعراب، ج ٢، ص ٥١٩.

(٢) ابن جني: المنصف، ج ٢، ص ٧٨.

(٣) الفارسي، أبو علي: الحجة، ج ١، ص ٩٣-٩٤، وانظر أيضاً: الفارسي: أبو علي: المسائل الحليّات، تقديم وتحقيق:

قول الشاعر:

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ نَعْمٍ وَأَسْرَتَهُمْ يَوْمَ الصَّيْلِيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ

فإن (لم) لم تعمل في الفعل بعدها، لأنها أشبهت (لا) ضرورة، وذلك لاشتراك الجميع في الدلالة على النفي^(١)، وشواهد هذه المسألة كثيرة مثبتة في كتب اللغة^(٢).

فإذا رجعنا إلى الكتاب العزيز لندرس هذا الأسلوب من الحذف، وجدناه يقع فيما يسميه القراء "ياءات الزيادة"^(٣) وهي غير تلك الياء الزائدة الدالة على المتكلم مما يسميه القراء "ياءات الإضافة" ويختلفون فيها بين الفتح والإسكان تبعاً للغات الواردة فيها، وقد ميزوها من غيرها من الياءات بصحة إحلال الكاف أو الهاء محلها^(٤).

فالزائدة سميت كذلك لزيادتها في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية، وهي تنقسم إلى قسمين: أصلية، وهي التي تكون لاماً في الكلمة، وزائدة، وهي التي ليست بلام الكلمة، وكلا القسمين يكون في الأسماء والأفعال دون الحروف^(٥).

إن الفرق بين النوعين يتلخص في أن اختلاف القراء في الأولى يكمن في الذكر والحذف، في حين لم يتجاوز اختلافهم في الثانية حدود التسكين والفتح، أما من حيث العدد فإن جملة المختلف فيه إثباتاً وحذفاً بلغ مائة وأثنين وعشرين ياء^(٦)، وفي الوقت نفسه نجد القراء قد أجمعوا على إسكان ستة وستين وخمسمائة ياء من ياءات الإضافة في القرآن الكريم، كما أجمعوا على فتح إحدى وعشرين ياء أخرى، أما ما اختلفوا في

الدكتور حسن هنداي، دار القلم بدمشق، ودار المنار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٨٤-٨٨، ثم انظر أيضاً: الفارسي، أبو علي: المسائل العسكرية، تحقيق: إسماعيل أحمد عمارة، مراجعة: الدكتور نهاد الموسى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م، ص ١٤٨-١٤٩.

(١) ابن جني: الخصائص، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) سميت هذه الحروف (زوائد) في اصطلاح القراء، لأنها لم ترسم في خط المصحف. انظر: الأصبهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٣٨.

(٤) انظر: محيسن، محمد سالم: الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، دار الجبل، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٨٠-١٨١. وانظر: الهاشمي، التهامي الراجي: مذاهب القراء في ياء الإضافة، سلسلة الدراسات والعلوم اللغوية رقم (٦)، الرباط بالمغرب، ١٩٨٨م، ص ١٥.

(٥) الهاشمي، التهامي الراجي: مذاهب القراء في ياء الإضافة، ص ٢٠.

(٦) الجزري، محمد بن محمد بن علي بن يوسف: تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٨٣-٨٥.

إسكانه وفتحته فجملته مائتان وأثننا عشرة ياء^(١).

ومن ناحية الاتصال فياءات الإضافة تتصل بكل من الاسم، والفعل، والحرف فتكون مع الاسم مجرورة المحل، نحو: "نَفْسِي" ومع الفعل منصوبة المحل نحو: "أَوْزَعْنِي"، ومع الحرف مجرورة المحل ومنصوبته، نحو "لي، وإني"^(٢). أما ياءات الزيادة فتتصل بالاسم والفعل خاصة، وليس شيء منها يتصل بالحروف.

إن من بين هذه الياءات ما يدخل تحت مصطلح الإضافة فيعرف إعراب المضاف إليه في الأسماء، ويكون منصوب المحل مع الأفعال، لكن الذي يخرجها من مسمى "ياءات الإضافة" وحكمها، زيادتها من جهة، ثم حذفها، ويرى أبو علي الفارسي في مثل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ﴾ أن حذف الياء هذه أحسن، لأنها في موضع تنوين، وأنها تعاقبه، وقاس ذلك على المنادى المفرد حيث تحذف الياء كما أن التنوين كذلك، ثم إن الياء لا ينفصل من المضاف كما لا ينفصل التنوين من المنون، فصار في المعاقبة كالتنوين وحرف الندية^(٣).

وهذا ما يفسر مقولة أبي إسحاق الزجاج بأن الحذف يقع في الكتاب كثيراً في الياءات، والهمزات، مشيراً إلى أن الرواية جاءت بالحذف وبالتمام فيهما، وكلا ذلك صواب، وأن الأجود اتباع القراء، ولزوم الرواية، فإن القراءة سنة^(٤).

ثم إن إصطلاح "الزيادة" ينبغي أن يؤخذ بحذر، فبعض هذه الياءات التي تحذف إنما هي أصول

(١) محيسن: الكشف، ص ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٣) الفارسي: الحجة، ج ٦، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٢٨٧ - ٢٨٨، ويوضح الزجاج مسألة مهمة في القراءة المتبعة فيقول: "وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربية، ولم يقرأ به قارئ فلا تقرأ به، فإن القراءة به بدعة، وكل ما قلّت فيه الرواية وضعّف عند أهل العربية فهو داخل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به". المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٨.

في حقيقتها، كالتى في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾^(٢) ونحوهما، لكن مذهب الخليل وسيبويه جواز حذف بعض الحروف الأصول، لدلالة ما يبقى على ما يلقى، وأن العرب تجيز ذلك^(٣).

وقد فرق ابن الجزري بين هذين القسمين من الياءات مبيئاً مذاهب القراء في كل قسم، فقال عن ياءات الإضافة:

لَيْسَتْ بِلَامِ الْفِعْلِ يَا الْمُضَافِ بَلْ هِيَ فِي الْوَضْعِ كَهَا وَكَفَا

كما قال عن الياءات الزائدة:

(١) سورة الفجر، الآية ٤.

(٢) سورة ق، الآية ٤١.

(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد حمزة السني العلوي: أمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ٣١٦-٣١٧. لقد كتب الدكتور التهامي الراحي الهاشمي الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط بحثين نافعين في هذا الموضوع، أحدهما: وهو في سلسلة الدراسات اللغوية وعلوم القرآن تحت رقم (٦)، بعنوان: "مذاهب القراء في ياء الإضافة"، قدم له بمقدمة لطيفة بيّن فيها أهمية القراءات القرآنية في الدرس اللساني، وأنها تمثل لبّ اللسانيات وعصارتها، كما أنها الفن اللساني الوحيد الذي يسمح لنا بفضل سياق تركيبى فريد (دون اللجوء إلى سياق تعويضي) أن نعبر عن معانٍ قد تتباين أشد التباين لمجرد أن نقف هنا، أو نرفع تلك الكلمة لا هذه. وأشار فيها إلى أن علماءنا السابقين أمثال الفراء، وأبي علي الفارسي، وابن خلدون، وأضرابهم، إنما عرفوا بفضل تأليفهم في القراءات القرآنية. وقد تناول في هذا الكتاب على صغر حجمه المقصود بياء الإضافة، وذكر أسماء القراء السبعة المشهورين ورواتهم، ومقدمة في كيفية قراءة الجداول التي اشتملت على خلاف القراء في هذه الياءات بين الفتح والسكون، ثم بيان طريقة معالجة هذه الياءات المختلفة فيها، أتبعها في القسم الثاني بذكر أصول القراءات في ياءات الإضافة، ذكر فيه مذهب كل واحد من القراء السبعة المشهورين فيها، كما خص القسم الثالث بالجداول للياءات المختلف في قراءتها، وهو أكبر الأقسام، أما القسم الرابع فخصصه للتعاليق على ياءات الإضافة. وهذا الكتاب على إفادته للدارس، إلا أنه يتجاوز الحصر والسرد والإحصاء، دون تحليل واستنباط.

أما المبحث الثاني، فهو صغير ويقع في عشرين صفحة من الحجم الصغير، وقد أسماه: "تقرير عن مدى الفائدة عند الإحاطة بالياء الزائدة" خصه ببحث الياءات المحذوفة في القرآن الكريم في رواية ورش، وقد حرره كما يقول في المقدمة لطلبته في كلية الآداب ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وفرغ من تحريره صبيحة يوم الأحد ٢٢/أكتوبر/١٩٩٥م، وأشار إلى أن الرواية في غير رواية ورش لا تهمهم، مبيئاً حرصه على التركيز على رواية ورش، وإن كان قد أشار إلى من يثبتها ويحذفها من غير ورش، رغبة في عدم حرمان محبي الاطلاع على حكمها عند الآخرين.

وقد أحصى في هذه الياء خمسة وخمسين موضعاً في القرآن الكريم غير المكررة، أما المكرر فقد بلغت جملته (ثلاثة عشر موضعاً). وقد كان منهجه إحصائياً سردياً مرتباً تلك المواضع بترتيب سور القرآن الكريم حتى إنه إذا ذكر اسم السورة وليس فيها من الياءات المحذوفة شيء أثبت ذلك، وقارن دون تعليل أو تفصيل بين مذهب ورش من جهة، وغيره من الرواة والقراء من جهة أخرى.

والبحت على صغر حجمه لا يخلو من الفائدة، فجزاه الله خيرًا على جهده، ونسأله أن يثيب كل عامل على عمله.

وَهِيَ الَّتِي زَادُوا عَلَى مَا رُسِمًا تَثَبُّتُ فِي الْحَالِيْنَ.... (١)
يريد: حال الوقف وحال الوصل، كما عرفه الشاطبي بقوله عن ياءات الإضافة:
وَلَيْسَتْ بِلَامِ الْفِعْلِ يَاءٌ إِضَافَةٌ وَمَا هِيَ مِنْ نَفْسِ الْأَصُولِ فِتْنَةٌ
وَلَكِنَّهَا كَالْهَاءِ وَالْكَافِ كُلِّمَا تَلِيهِ يُرَى لِلْهَاءِ وَالْكَافِ مَذْخَلًا
وعن ياءات الزوائد قال:
وَدُونَكَ يَاءَاتٍ تُسَمَّى زَوَائِدًا لِأَنَّ كُنَّ عَنِ خَطِّ الْمَصَاحِفِ مَعْرُورًا
وتثبيت في الحاليين... (٢).

والواقع فإن إثبات ياءات الزيادة في الحاليين غير متفق عليه من جميع القراء، فمنهم من أثبتها وصلًا ووقفًا، وهم: هشام، ويعقوب، وابن كثير، ومنهم من أثبتها وصلًا فقط، وهم: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، ونافع، وأبو جعفر، وانفرد حمزة من هؤلاء بإثبات الياء في الحاليين في موضع واحد فقط وهو "أُتْمِدُونَنِي" من قوله تعالى: ﴿قَالَ أُتْمِدُونَنِي بِمَالٍ﴾ (٣). وقسم ثالث حذف الياءات في الوقف والوصل معًا وهم: ابن عامر، وعاصم، وخلف، وربما خرج بعض القراء عن هذه القواعد (٤).
والملاحظ أن هذه الياءات قد تكون في رؤوس الآي، كما تكون في وسطها، فأما ما جاء في رأس الآية فإنه يحذف بشفاعة الفاصلة حتى ولو لم يحذف في الوقف كما في قوله عز وجل: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ (٥) وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ﴾ (٦).

(١) ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف: طبية النشر في القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ، ص ٥٧-٦١.

(٢) الشاطبي الرعيني الأندلسي، القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد: متن الشاطبية، المسمى: حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٢-٣٦.

(٣) سورة النمل، الآية ٣٦.

(٤) محيسن، محمد سالم: الهادي شرح طبية النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، دار الجيل، بيروت بلبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ١، ص ٤١٠.

(٥) سورة الرعد، الآية ٩.

(٦) سورة الفجر، الآية ٤.

وهذا المذهب في الحذف شبيه بحذف الياء والواو في القوافي عند الوقف كقول زهير:

فلأنتَ تُفري ما خلقتَ وبعُد
ضُ القومِ يخلقُ ثم لا يفِر^(١)

وقد أنشد سيبويه هذا البيت بحذف الياء بعد أن مهّد لذلك بقوله: "وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف يحذف في الفواصل والقوافي، فالواصل قول الله عز وجل:

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾^(٢)، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(٣) و﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ...﴾^(٤).

قال أبوسعيد: "إنما يريد بالواصل رؤوس الآي ومقاطع الكلام، والأسماء في الحذف أولى من الأفعال، والحذف فيها أقوى، لأنها يلحقها التثوين في الكلام فتحذف منها الياء"^(٥). وقال أبو علي: "وأخر الآي موضع وقوف، والوقف رأيناه قد أوجب إعلالاً في الموقف عليه، وتغييراً عما هو عليه في الوصل، ألا ترى أنهم قد أبدلوا من النون الساكنة الألف في الاسم والفعل، وأبدلوا من التاء الهاء في نحو: (رَحْمَةٌ)، ومن الألف الياء أو الواو نحو: أفعي، وأفعو، وزادوا في نحو: هذا فرجٌ، وهو يجعل، ونقصوا منه في نحو: (وأنشد بيت زهير السابق)^(٦).

(١) السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٧٢، والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى غير موقوفة، انظر ديوانه، صنعة الأعلام الشنتمري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١١٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٤، واللفظ في سورة يوسف، الآية ٦٥، إلا أنها في الموضعين ليست رأس آية، وقد استدلل الداني بذلك على معنى الفاصلة، وأنها: الكلام المنفصل مما بعده، ولذلك فقد تكون رأس آية، وغير رأس آية، وأن الفواصل يكنّ رؤوس أي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية. انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت بلبنان، ١٩٧٢م، ج ١، ص ٥٤.

(٣) سورة غافر، الآية ٣٢.

(٤) انظر: سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٥) السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله: شرح كتاب سيبويه، ج ٥، ق ١٦٥، (١٣٧ نحو).

(٦) الفارسي، أبو علي، الحجة، ج ١، ص ٤٠٥.

ويجدر بنا ونحن نتعرض لقضية تتصل بالقرآن الكريم، مختصة بالحذف والزيادة أن نعلم دور الفاصلة في النظم القرآني، وأنها في حفظ التناسب الإيقاعي للآي تقوم مقام القافية في الشعر، بل إن دور الفاصلة في القرآن يفوق دور القافية في الشعر^(١)، فهي قد تكون مقطعاً من كلمة، وقد تكون جملة، وهي ظاهرة أسلوبية واضحة المعالم، بها انفرد القرآن الكريم من النثر والشعر معاً^(٢)، يقول سيد قطب: "إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرقاً متحدداً، ولكنها إيقاع متشابه، مثل: "بصير، حكيم، مبين، مريب" أو مثل: "الألباب، الأبصار، النار، قرار"^(٣).

وقد تقع الفاصلة حيث يحسن القطع والوقف، وليس بالضرورة أن تقع حيث يحسن الوقف التام، فالوقف التام يحسن عند تمام القصص وانقضائهن، وهذا يكون في الفواصل ورؤوس الآي، ففي قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ

﴿وَبِاللَّيْلِ﴾^(٤)، فرأس الآية: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ إلا أن الوقف التام يقع عند

قول: ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾^(٥) ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿.... عَلَيْهَا يَتَكُونَ﴾ وَزُخْرُقًا^(٦)

فقوله سبحانه ﴿يَتَكُونَ﴾ هو رأس الآية، ولكن الوقف التام يقع عند

قوله: ﴿وَزُخْرُقًا﴾ لأنه معطوف على ما قبله، ومثل ذلك كثير في كتاب الله عز

وجل^(٧)، ولئن وقعت الفواصل عند رؤوس الآي التي تتشاكل في المقاطع، وتتجانس فيها الحروف أو تتقارب، فإن ذلك لا يعني موافقة القرآن الكريم للسجع، لأن الفواصل في القرآن، تابعة للمعاني، أما السجع فيتبعه المعنى، وهو عيب، والقرآن

(١) أبوزيد، أحمد: التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص ٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ج ٢، ص ١٩٣.

(٤) سورة الصافات، الآية ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: الدكتور

يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت بلبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٦) سورة الزخرف، الآية ٣٤ - ٣٥.

(٧) الداني: المكتفى، ص ١٤١.

منزه عن ذلك، يقول أبو الحسن الرماني: "والفواصل بلاغة، والإسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، أما الإسجاع فالمعاني تابعه له"^(١).

ولقد كان التناسب في الفواصل القرآنية من بين الأمور التي جعلت فصحاء العربية يقفون عند القرآن مذهولين معترفين بأنه ليس ككلام البش، وما هو بالشعر ولكن له حلاوة وحلاوة، كما أن له تأثيراً على العقول لا يقل عن تأثير السحر، فإذا وافقت مواضع الحذف رؤوس الآي، وجدت للقراء سبباً، يقوي مذاهبهم في الحذف، وهو رعاية الفاصلة، بحيث لا ينكسر المعنى، ولا يكون الحذف لضرورة كتلك التي تجدها عند الشعراء، ومرتادي الكلام المسجوع.

ونظرة لأي سورة من القرآن الكريم ترينا المعجزة في اختيار لفظ الفاصلة المتناسب مع مجمل الفواصل في جميع آيات السورة الواحدة، فإن وجدت الكلمة التي عليها الفاصلة مؤسسة بالواو قبل النون مثلاً، ألفت النظام متبعاً في الأعم الأغلب من آيات هذه السورة، فإن خرج عن ذلك فلن يتجاوز الياء التي غالباً ما تعاقب الواو حتى في قوافي الشعر، أو كلمة ذات وقع مشابه على السمع في التنغيم والوزن، أما إن فارق ذلك وابتعد عنه فإنك لن تحس بالنقلة الثقيلة على السمع كما تحسها وأنت تقرأ الشعر الذي تختلف فيه القافية وتتغير أو ينتقل الشاعر من بحر على آخر^(٢)، ولست بقائل لك مثلاً على كل صورة من هذه الصور التي تعكس الموسيقى فتجعل القراء يتفاوتون في أدائهم القرآن، وطرقهم الخاصة وهم يزينون به أصواتهم، فكل سورة منه تصلح أن تكون مثلاً، وما علينا إلا تدبره والنظر في علو أسلوبه، نجد ذلك التناسب واضحاً، وكأنما أريد لذاته، الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع إلا التسليم بإعجازه، وأنه من لدن حكيم خبير، فلو نظرنا في سورة "الفجر" مثلاً، نرى الحق تبارك وتعالى افتتح السورة بالقسم بالفجر فقال: ﴿وَالْفَجْرُ﴾ هذه الكلمة من ثلاثة حروف ساكنة الوسط، آخرها الراء، هذا النظام بقي بضع آيات بعد ذلك محافظاً على التناسب والوزن، لتألفه

(١) الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص ٩٧، وانظر الباقلائي، الإمام أبوبكر محمد الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٧٣.

(٢) الرماني: النكت، ص ٩٨ - ٩٩.

الأذن، وتنساق معه النفس، حتى إذا جاء إلى قوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسْرُ﴾، لم يشذ حذف الياء على السمع، فكان مستساغاً مقبولاً، وقد لا يسأل عن علته، ثم لما انتقل إلى نوع آخر من الوقف مؤسس بالمدّ قبل الحرف الأخير، رأيت المحافظة على الموسيقى اللفظية التي تخلب اللب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٦﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٩﴾﴾^(١) إنك وأنت تقرأ هذه الآيات يمر بك الحذف (بالواو) فلا يشذ ولا يخرج عن بقية الآي، ويتم الوقف من غير ياء على مذهب الذين يحذفونها في الوقف، حتى إنك لو قرأتها بالحذف وصلاً على مذهب غير نافع وابن كثير، لما وجدت ذلك نابياً في السمع، بل إن الوقف عند قوله سبحانه: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ضمن هذه الآيات كان في تناسب مع رؤوس الآي الأخرى من حيث المدّ الواقع قبل آخر الكلمة التي هي رأس الآية^(٢).

وبالنظر إلى المواضع التي اختلفت القراء في إثبات الياء فيها أو حذفها، ند أنها تتوزع بين رؤوس الآي، والفواصل، من جهة، وبين وسط الآي ودرج الكلام من جهة أخرى، ثم إنها جاءت مع الأفعال في أزمنتها الثلاثة، ومع الأسماء صحيحها ومعتلها، إلا أن الأفعال استأثرت بقسم أكبر من هذه الياءات وكان المضارع أكثر القسم الفعلي، يليه الأمر فالماضي.

أما القسم الاسمي فتكاد تتساوى قسمة الياءات فيه بين الأسماء المضافة والأسماء المنقوصة.

وجدير بنا أن نجمل بعض الحقائق قبل الخوض في أنواع الحذف هذه، فلقد روي عن يعقوب إثبات ياء الإضافة في الوصل والوقف في جميع القرآن، رأس آية كانت أو

(١) سورة الفجر، الآية ٦ - ١٤.

(٢) انظر: أحمد أبوزيد: التناسب البياني في القرآن، ص ٣٣٥ - ٣٤٨، ص ٣٥٢ - ٣٧٢، وانظر: الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم: بيان إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧٦م، ص ٢٤ - ٢٦ - ٢٧.

وسطها، مثبتة كانت أو محذوفة في الرسم، إلا قوله تعالى في الزمر: ﴿يَا عِبَادِ
فَاتَّقُون﴾^(١)، وما أشبهه من النداء^(٢).

أما أبو جعفر، وأبو عمرو، ونافع -برواية إسماعيل-، فإنهم يثبتون الياء إن كانت
وسط الآية، ولا يثبتون ما كان رأس الآية غلا شيئاً يسيراً.
ثم إن ابن كثير، ونافع، ومن لم يذكر من القراء، يوافقون في بعض، ويخالفونهم
في بعض^(٣).

وعن ابن البادش: أن ما جاء من المعتل اللام مرسوماً في الخط محذوف اللام
ينقسم قسمين، منون وغير منون.

فالمنون نحو "وَالِ، وَهَادِ، وَوَأَقِ، وَبَاقِ، وَمُسْتَخْفِ، وَمُهْتَدِ، وَمُقْتَرِ... وشبهه،
فعن يعقوب عن ورث: أن في ذلك جواز القراءة كما هو في السواد (يعني الخط الذي
كتب به المصحف العثماني- وهو ما يعبر عنه برسم المصحف)، وجواز الوقف بالياء،
وهذا عام في الباب كله.

وعن ابن مجاهد بسنده: الوقف على جميع الباب لابن كثير بالياء وهذا لا يعرفه
المكيون، وأما الباقيون فبغير الياء في الباب كله، وهو الأوجه عند أهل العربية، لأن
التنوين يحذف في هذا بحق الوقف كما يحذف في الصحيح.

أما القسم الثاني وهو غير المنون من الأسماء، فنحو "وَادِ النَّمْلِ، بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ،
بِهَادِ الْعُمِّي، لِهَادِ الَّذِينَ، صَالَ الْجَحِيمِ..."، أمّا من الفعل فنحو: "سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ، نُجْجِ
الْمُؤْمِنِينَ، يُنَادِ الْمُنَادِ، يَدْعُ الدَّاعِ... وشبهه مما رسم في المصحف بغير ياء ولا واو،
لأنهما يسقطان في اللفظ لالتقاء الساكنين، فعن ابن كثير: الوقف على التمام في (يَدْعُ،
وَسَنَدُ، وَيَمْنُ)، وقياس قوله فيها وفي (هَادِ، وَوَالِ) يقتضي أن يقف فيه كله بالياء..
وعن قتيبة: ما كان بالياء وفتت [عليه] بالياء، وما لم يكن فيه ياء ثابتة وفتت بغير
ياء، وهو الذي يليق بمذهب الكسائي وصححه أبو عمر والداني، وعن الباقيين: الوقف

(١) سورة الزمر، الآية ١٦.

(٢) الأصبهاني: المبسوط، ص ١٣٨، ٤١٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٨، الشاطبي الرعي: متن الشاطبية، ص ٣٤ - ٣٦، ابن الجزري: طيبة النشر، ص ٥٩ - ٩١.

على الفصل كله بغير ياء اتباعاً للخط^(١). إن الذين يثبتون هذه الياء قد يكون لهم دليل من وجه نحوي، ففي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾^(٢) قرأها قُنبل بإثبات الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ وجزم ﴿وَيَصْبِرْ﴾ وزعم أن (مَنْ) موصولة، فلهذا ثبت ياء ﴿يَتَّقِي﴾^(٣).

ويجدر بنا بعد إجمال مذاهب القراء في الياءات الزائدة أن نقف عندها مفصلين الحديث عن مذاهبهم في الحذف والإثبات، معللين قدر الإمكان لما ذهب إليه كل فريق، مبتدئين بقسم الأفعال، مردفين بعد ذلك بقسم الأسماء، سائلين الله العون والتوفيق.

أولاً: الياءات الزائدة في الأفعال:

سبقت الإشارة إلى أن الياء تتصل بالفعل في جميع أزمانه، وأنها تأتي مع الزمان على ضربين، الأول ما كان أصلاً في بنية الفعل، والثاني ما كان ضميراً للمتكلم، وهاك بيان ذلك:

أ - الفعل المضارع: والياء معه على قسمين:

الأول: تكون الياء فيه من أصل الفعل ومحل إعرابه وهي:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ...﴾ [هود: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ...﴾ [يوسف: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسْرُ﴾ [الفجر: ٤].

(١) ابن البادش، أبوجعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، حققه وقدم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ، ج ١، ص ٥٢٠-٥٢٤.

(٢) سورة يوسف، الآية ٩٠.

(٣) ابن هشام، جمال الدين الأنصاري: مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢ م، ص ٦٢١، ٩١٦.

وقد ذكر ابن مجاهد الخلاف فيها جميعاً^(١) وكان الخلاف يتركز حول إثبات الياء في الوصل والوقف، أو إثباتها دون الوقف، أو حذفها وفقاً ووصلاً، ولكل فريق حجته، قال الفراء في التي في سورة هود ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ...﴾ كتب بغير الياء، وهو في موضع رفيع، فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صواباً، وإن حذفها في القطع والوصل كان صواباً، فقد قرأ بذلك القراء، فمن حذفه إذا وصل قال: الياء ساكنة، وكل ياء، أو واو تسكنان وما قبل الواو مضموم، وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالضمّة من الواو، وبالكسر من الياء، وأنشد [ني] بعضهم:

كَفَّاكَ كَفُّ مَا تُلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِي بِالسَّيْفِ الدَّمَآ

ومَن وصل بالياء وسكت بحذفها قال: هي إذا وصلت في موضع رفع فأثبتها وهي إذا سكت عليها تُسكن فحذفها...^(٢) والملاحظ أن الحذف في هذه المواضع جاء في أوساط الآيات كما جاء في رأس الآية التي في سورة الفجر، والحذف محببٌ إذا كان الحرف رأس آية، فضلاً عن أن العرب قد تحذف الياء مكتفية بكسر ما قبلها، كما في البيت الذي أنشده الفراء آنفاً^(٣) وكقول الآخر:

لَيْسَ تَخْفَى يَسَارَتِي قَدْرَ يَوْمٍ وَلَقَدْ تَتَخَفِ شَيْمَتِي إِعْسَارِي^(٤)

ويذهب بعض القدماء إلى أن الذين يثبتون الياء في مثل هذه المواضع إنما يثبتونها على الأصل، كما أن الذين يحذفونها إنما يتبعون المصحف^(٥) وعن اليزيدي: الوصل بالياء والسكت بغير ياء على الكتاب^(٦)، وعنه عن أبي عمرو أنه كان يقول: "ما أبالي كيف قرأت، أبالياء أم بغير الياء في الوصل، فأما الوقف فعلى الكتاب"^(٧).

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٣٣٨، ٣٥١، ٤٠٣، ٦٨٣ على التوالي.

(٢) الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) انظر البيت في: الخصائص، ج ٣، ص ٩٠، وقد أنشده ابن جني شاهداً على حذف الياء اكتفاء بالحركة قبلها، ومثله أيضاً فعل ابن الشجري: الأمالي الشجرية، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت بلبنان، بلا تاريخ، ص ٧٢، وعده ابن الشجري من الشذوذ، لوقوعه في غير الفواصل والقوافي.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٦٠، وفي صدر البحث جملة من الشواهد على هذه المسألة.

(٥) ابن خالويه، أبو عبدالله الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن، منشورات دار الحكمة بدمشق، بلا تاريخ، ص ٧٤.

(٦) الفارسي، أبو علي: الحجة للقراء السبعة، ج ٦، ص ٤٠٣.

(٧) المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٠٤.

وقد وجه أبو علي قراءة ابن كثير في إثبات الياء في "يسرى" وصلّ أو وقف بأن الفعل لا يحذف منه في الوقف، كما يحذف من الأسماء نحو: قاضٍ، وغازٍ، تقول: هو يَقْضِي، فثبتت الياء، ولا تحذف الياء من الفعل كما تحذفه من الاسم نحو: قاضٍ، لأنها لا تسقط في الوصل، كما تسقط الياء من نحو: قاضٍ في الوصل، وليس إثباتها بالأحسن من الحذف، وذلك أنها في فاصلة واستدل بقول سيبويه: "وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف نحو: القاضي من الألف واللام، يحذف إذا كان في قافية أو فاصلة"^(١). وقبل أن نبرح هذا الموضوع يحسن أن نقف على مذاهب القراء في إثبات الياء وحذفها في هذا القسم.

فأما التي في (هود) فقد أثبتها ابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف وأثبتها أبو عمرو بن العلاء والكسائي ونافع في الوصل دون الوقف. وحذفها عاصم وابن عامر وحمزة ووقفاً ووصلاً^(٢).

وأما التي في سورة (يوسف) فقد أثبتها ابن كثير وحده من السبعة في الوصل والوقف كما أثبتها قنبل أيضاً، وقرأها الباقر وغير ياء في وصل ولا وقف^(٣).

وقد وجه أبو علي قراءة ابن كثير على احتمالات ثلاثة:

أحدها: أن يقدر في الياء الحركة، فيحذفها، فتبقي الياء ساكنة للجزم كما قدر ذلك في قول الشاعر:

ألم يأتينك والأنباء تنمي ...

ودفع أبو علي هذا الاحتمال؛ لأنه مما يجيء في الشعر دون الكلام. وما هذه إلا لغة في إثبات حرف العلة مع الجازم^(٤)، وقد تقدم التمثيل عليها.

أما الآخر: فإن يجعل (من يئقي) بمنزلة (الذي يئقي)، ويحمل المعطوف على المعنى

(١) المصدر نفسه، وقد سبق لنا الوقوف عند كلام سيبويه، انظر قبله: ٨٣/هـ، ٨٤، ٨٥.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٣٣٨، ابن غلبون الحلبي، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم: التذكرة في القراءات الثمان، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدّة، الطبعة الأولى، ١٤١٢/هـ، ١٩٩١م، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٣) المصدران السابقان أنفسهما، ص ٣٥١، ج ٢، ص ٣٨٤ (على الترتيب).

(٤) انظر: البناء، أحمد بن محمد بن أحمد: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، رواه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٣٥٩هـ، ص ٢٦٧.

-وفصل في ذلك- لكنه لم يذكر الاحتمال الثالث^(١) والمتأمل إعراب هذه الآية يلحظ أن الهاء في (إنه) هي ضمير الحديث والقصة، وأن (مَنْ) موصولة وما بعدها حتى تمام الآية ﴿يَتَّقُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ جملة الخبر^(٢) وفي هذه الحالة ينبغي أن يسأل: كيف عطف (يَصْبِرُ) مجزوماً على (يتقي) مرفوعاً؟ وللإجابة نستدعي ما قال أبو علي في ذلك: "يجوز أن يُقدر الضمة في قوله: ﴿وَيَصْبِرُ﴾، ويحذفها للاستخفاف، كما تحذف من نحو: عَضُدٍ، وَسَبْعٍ، وجاز هذا في حركة الإعراب كجوازه في حركة البناء... وما يقوي ذلك، ويسوغ حملة عليه أنه قرأ ﴿وَيَتَّقُهُ﴾ (النور: ٥٢)، ألا ترى أنه جعل (تَقَهُ) بمنزلة (كَثَّفَ وَعَلَّمَ) فاسكن، فذلك يُسكن على هذا ﴿وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ..﴾"^(٣). هذا في قراءة الإثبات كما روي عن ابن كثير، ويمكن أن يستأنس لتوجيه هذه القراءة بما جاء من عطف وما قبله منصوب في قوله عز وجل ﴿فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ﴾ [المنافقون: ١٠]، حيث جزم ﴿وَأَكُنْ﴾ حملاً على معنى ﴿فَأَصَدَّقَ﴾ الذي هو جواب التمني^(٤)، كما يمكن أن يحمل الفعل "يُنَادِ" الذي في (ق) على نظيره من الحذف الواقع في آية (هود) السابقة، وعليها يمكن حمل الحذف من الفعل (تُعْن) من قوله: ﴿لَا تُعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾^(٥)، حيث كان الحذف في الحشو لا في رؤوس الآي.

(١) الفارسي، أبو علي: الحجة للقراءات السبعة، ج ٤، ص ٤٤٧-٤٤٩.
(٢) انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل: إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور زهدي غازي زاهر، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ٢، ص ٣٤٤.
(٣) الفارسي، أبو علي: الحجة للقراءات السبعة، ج ٤، ص ٤٤٧-٤٤٩، قال البنا: "مذهب سيبويه أن الجزم بحذف الحركة المقدرة، وحذف حرف العلة، للفرقة بين المرفوع والمجزم"، البنا، إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٦٧.
(٤) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٩١.
(٥) سورة يس، الآية ٢٣.

أما في قراءة الحذف الذي عليه بقية القراءة، فقوله: (مَنْ) شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ وما بعده الخبر، والجملة خبر (إِنَّ) الأولى، والهاء للحديث والقصة، و(يَصْبِرُ) عطف على (يَتَّقُ)^(١).

أما قوله عز وجل ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ [الكهف: ٦٤] ففي قراءة غير ابن كثير في رواية ابن فليح، والكسائي، الحذف^(٢)؛ لأنه موضع الفاصلة وتمام الوقف.

والقسم الثاني من المضارع ما كانت الياء فيه ضمير المتكلم ومحلها النصب بالفعل، وقد جاء هذا القسم في رؤوس الآي كثيراً، كما جاء في درج الكلام وحشوه، فمن حذفها في رؤوس الآي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥]

وقوله: ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ [الدخان: ٢٠] وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتِرْزِلُون﴾ [الدخان:

٢١]، وقوله: ﴿إِنْ كِدْتَ لِثَرْدِينَ﴾ [الصفوات: ٥٦] وقوله: ﴿... شَيْئًا وَلَا

يُنْقِدُونَ﴾ [يس: ٢٣] وفي سورة الشعراء مجموعة من الأفعال ختمت بالياء المحذوفة

لمجيئها رؤوس أي نحو: (... سَيَهْدِينِ، يَهْدِينِ، يَسْقِينِ، يَشْفِينِ، يُخَيِّنِ، وَأَطِيعُونَ)، وكل ما في هذه السورة يثبت الياء فيه يعقوب في الحاليين (في الوصل والوقف) ومما

حذف منه الياء في رؤوس الآي أي (في الوصل والوقف)^(٣) وقوله سبحانه: ﴿أَنْ

تُقَدُّون﴾ [يوسف: ٩٤]، وقوله: ﴿وَلَا تُكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقد قرأها يعقوب

وحده بإثبات الياء في الوصل والوقف، وكذلك ما أشبهه في جميع القرآن وإن كانت محذوفة، رأس آية أو وسطها، وهذا مذهبه وسبيله فيه واحد لا يخلف، وأما

(١) القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٣٩١.

(٢) الأصبهاني: المبسوط في القراءات العشر، ص ٢٤١.

(٣) محمد محمد سالم محيسن: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م، ج ٢، ص ٢١٦.

أبوجعفر، وأبو عمرو، ونافع -برواية إسماعيل- فإنهم يثبتون منه ما كان وسط الآية، ولا يثبتون ما كان رأس الآية إلا شيئاً يسيراً^(١).

أما ما جاء منه في غير رؤوس الآي، فنحو قوله عز وجل: ﴿وَأَتَقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] فقد قرأها أبوجعفر ونافع- وبرواية إسماعيل وحده- وأبو عمرو ويعقوب بإثبات الياء فيه، وقرأ الباقيون بحذفه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَهْدِينَ رَبِّي﴾ [الكهف: ٢٤] والخلاف في هذه ولا خلاف بين القراء في الياء التي في [سورة القصص: ٢٢] في الوقف والوصل. وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ﴾ [الكهف: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتِينَ خَيْرًا﴾ [الكهف: ٤٠]، ولا خلاف بينهم في إثبات الياء في التي في [سورة المنافقون: ١٠] في الحالين^(٣).

والذي يمكن ملاحظته على أفعال هذا القسم أن نسبة طيبة منها جاءت بعد نهي سواء منها ما جاء في وسط الآي كالتي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي﴾ [هود: ٧٨]. وقوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] أو كان رأس أية كقوله سبحانه: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَفْضَحُونَ﴾ [الحجر: ٦٨]، وقوله: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقوله ﴿وَلَا تَقْرُبُونَ﴾ [يوسف: ٦٠]، وقوله ﴿وَلَا تُخْزُونَ﴾ [هود: ٧٨] وقوله: ﴿فَلَا تُنْظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

ب - أما القسم الثاني فهو فعل الأمر:

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

وقد حذف الياء مع هذا الفعل في جملة طيبة من الأفعال، وكانت موضوع خلاف بين القراء، فقد حذف في أربعة عشر موضعاً من غير المكرر، كما أنها جاءت في وسط الآي قليلاً، وفي رؤوسها كثيراً، فمما جاءت في وسط الآي قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ﴾

[آل عمران: ١٧٥] وقوله: ﴿وَآخِشُونَ الْيَوْمَ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ

وَآخِشُونَ وَلَا...﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿اتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ﴾ [غافر: ٣٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ

كِيدُونَ فَلَا﴾ [الأعراف: ١٩٥]. أما التي في [هود: ٥٥] فالياء فيها ثابتة عند جميع

القراء اتباعاً لرسم المصحف ثم إن التي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

فَكِيدُون﴾ [المرسلات: ٣٩] فالياء ثابتة ليعقوب وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١] وهذا لا يدخل فيه قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل

عمران: ٣١]، ولا التي في قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠] فلا خلاف

بين القراء في إثبات الياء فيهما اتباعاً للرسم. ومن المحذوف في وسط الآي قوله عز

وجل: ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

أما ما جاء في رؤوس الآي فقوله تعالى: ﴿وَأَيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١]

وقوله: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ﴾ [الزمر: ١٦]، وقوله: ﴿... لِي فَاعْتَزِلُون﴾ [الدخان: ٢١]

وقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ [

البقرة: ٤٠].

ولا مانع من الوقف عند بعض هذه الآي لنرى توجيه النحويين لهذا الحذف، فهم

يذهبون في إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَيَّيَ فَارْهُبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى أنّ ﴿وَأَيَّيَ﴾ منصوب بإضمار فعل، كما يجوز أن يكون على معنى: "وأنا فارهبون" على الابتداء والخبر، وهذا بمنزلة قولك: (زيدٌ فأضربهُ) لأن الياء المحذوفة من ﴿فَارْهُبُونَ﴾ كالياء في (أضربهُ)....^(١) قال النحاس: "وقع الفعل على النون والياء، وحذفت الياء لأنه رأس آية، وقرأ ابن إسحاق ﴿فَارْهُبُونِي﴾ بالياء، وكذلك (فاتقوني) منصوب بإضمار فعل، وكذا الاختيار في الأمر والنهي والنفي والاستفهام"^(٢). قال ابن أبي مريم: "الأصل في ﴿فَارْهُبُونَ﴾ وأمثاله، هو إثبات الياء، لأن الياء هو ضمير المنصوب في هذا الموضع، والنون دعامة أدخلت ليبقى آخر الكلمة التي لحقتها هذه الياء على حاله من حركة أو سكون أو واو أو ياء، ولا يتغير، إذ لولا هذه النون لانكسر ما كان قبل الياء من حرف صحيح، وانقلب ما كان من حرف علة، فأدخلت النون لتكسر لأجل الياء، ويسلم ما قبلها من التغيير، فإذا كان كذلك فالياء هي الأصل في الضمير، وإثبات الياء في هذه المواضع هو الأصل الذي عليه الوضع، وإنما حذفها من حذفها من رؤوس الآي، لأنها فواصل، وهي مثل القوافي في الشعر، تُطلب لها الموافقة والمشاكلة كما قال الأعشى:

وَمِنْ شَانِيٍّ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ انْكَرَنُ

ألا ترى أنه حذف الياء من (أنكرني)، وأسكن النون، لأنها قافية، وهي أيضاً موضع وقف، والوقف موضع تغيير"^(٣).

ج - وأما القسم الثالث من الأفعال فهو الفعل الماضي:
ويمكن تقسيم الأفعال الواردة في هذا القسم إلى طائفتين:

(١) القيسي: مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٩٠.
(٢) النحاس، أبوجعفر: إعراب القرآن، ج ١، ص ٢١٨، وانظر تعليل ذلك في الأخفش، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج ١، ص ٨٣.
(٣) ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد بن أبي عبدالله الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ١، ص ٢٧٢.

الأولى: ما كان آخر الفعل كسراً ليدل على الياء المحذوفة وهو شبيه ببعض الأفعال في القسمين السابقين وذلك نحو قوله تعالى: ﴿... دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ﴾

[البقرة: ١٨٦] وقوله عز وجل: ﴿... وَقَدْ هَدَان﴾ [الأنعام: ٨٠] ، أما التي في [الزمر: ٥٧] فإن الياء ثابتة لا تحذف عند جميع القراء؛ اتباعاً للمصحف.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿فَمَا

آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] والخلاف في الأخيرة هذه زيادة على

خلافهم في الحذف والإثبات، يتمثل في قراءة من يكسر النون من غير ياء وهم: ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي، وقراءة من يفتح الياء وهم: أبو عمرو، ونافع، وعاصم في رواية حفص^(١). زاد الأصبهاني: أبو جعفر، وابن كثير في رواية ابن فليح وحده^(٢). وقوله: ﴿وَمَنْ اتَّبَعَن﴾ [آل عمران: ٢٠] وقوله

سبحانه: ﴿لئن أحرّتن﴾ [الإسراء: ٦٢].

وكل هذه المواضع ليس الفعل على رأس آية فيها، والخلاف فيها بين القراء في الإثبات والحذف، فمن حذف كان متبعاً للرسم، والكسر دليل على المحذوف تخفيفاً، ومن أثبت فقد جاء به على الأصل، أما من حذف بعض هذه الياءات وأثبت بعضاً فلأنه أخذ باللغتين، ومن حذفها في الوقف دون الوصل فلأنه تغيير، والوقف موضع تغيير^(٣). أو بعبارة أخرى من كان يقف بحذف الياء فاتباعاً للمصحف، وأنه لا ينبغي أن يخالف رسمه، كما أنه اكتفى بالكسرة عن الياء، لأنها نائبة عنها، ومن أثبت الياء فعلى الأصل^(٤).

(١) انظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٤٨٢.

(٢) الأصبهاني: المبسوط، ص ١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٤) ابن أبي مريم: الموضح، ج ١، ص ٣٥٩.

وأما الفئة الثانية من الأفعال الماضية فتختص بما وقع على رؤوس الأي، وهو قليل جداً، إذ لم يقع منه غير فعلين هما في سورة الفجر، حيث قال الله تعالى: ﴿رَبِّي أَكْرَمَن^١.... رَبِّي أَهَانَنَ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

وقد قرأهما نفر بغير ياء في وصل ووقف. كما قرأهما آخرون بياء في الوصل والوقف، وقرأهما نفر بياء في الوصل دون الوقف.

وروى ابن مجاهد عن علي بن نصر قوله: "سمعت أبا عمرو يقرأ ﴿أَكْرَمَنَ﴾ و﴿أَهَانَنَ﴾ يقف عند النون. وقال اليزيدي: كان أبو عمرو يقول: "ما

أبالي كيف قرأت: بالياء أم بغير الياء في الوصل، فأما الوقف فعلى الكتاب"، كما نقل عن عباس: الجزم فيهما مع الحذف ووقفاً، ونقل عن أبي الربيع عن أبي زيد أن أبا عمرو قرأهما بإثبات الياء، وعن عبيد عن أبي عمرو بالجزم وحذف الياء والوقف عند النون^(١). وقد روى سيبويه عن أبي عمرو الوقف على النون ساكنة مع حذف الياء^(٢)، وشبه أبو علي قراءة الحذف وصلأ ووقفاً بقراءة من قرأ (يَسْرُ) في الوصل والوقف، لأنها ياء قبلها كسرة، في فاصلة، كما شبه قراءة من أثبت الياء فيهما بقراءة من أثبت الياء في (يَسْرِي) حين أثبتها في الوصل وحذفها في الوقف^(٣). وأكد القيسي أن المشهور عن أبي عمرو الحذف في الوصل والوقف فيهما، وأن الباقيين قرأوا بذلك^(٤).

ولما كانت الياء التي هي لام الفعل في نحو (يَسْرِي) تحذف في الفواصل وغيرها، فكذلك تحذف ياء الضمير وخصوصاً في الفواصل إلا أن ياء الضمير المفعول به قلماً تحذف في غير الفاصلة والقافية^(٥).

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٦٨٤ - ٦٨٥. وانظر: مزيداً من التفصيل في الأصبهاني: المبسوط، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج ٦، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٤) القيسي، مكي بن أبي طالب: التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، بمباي الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٧٢٦.

(٥) ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج ٣، ص ١٣٦٨.

وقد سوى سيبويه بين الفعل والحرف فما يحذف من هذه الياءات في الوقف، ووصف الحذف بأنه أقيس وأكثر، مشبهاً هذه الياءات بياء (قاضي)، من حيث وقوعها بعد كسرة ساكنة في اسم، وقد عني سيبويه بالاسم ضمير المتكلم، وقعت في فعل أو اسم أو حرف واستدل على ذلك بقراءة أبي عمرو السابقة في الوقف، مستشهداً بقول النابغة، وأنه سمعه ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم.

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْ
على أنه أراد: (مئي)، وقوله أيضاً:

وَهُمْ وَرَدُوا الْحِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظِ بْنِ

على إرادة: (إئي)، ثم علق على ذلك بأن ترك الحذف أقيس^(١).

إلا أن أبا سعيد قال عن هذا: إن القصيدة مطلقة، وإنما هذا إنشاد بعضهم^(٢).
وجميع المصادر تكاد تجمع على القراءة في مثل هذه المواضع بالحذف عند الوقف اتباعاً للمصحف، كما كان إثباتها في الوصل أو في الوقف إنما كان لإخراجها على الأصل^(٣)، وقد أشار ابن يعيش إلى أن تفسير مذهب الحذف يقع من جهتين، وأن أجودها إثبات الياء، لأنه لا تنوين معها يوجب حذفها [أي أنها ليست كالياء في (قاضي) ونحوها]، فهي ثابتة في الوصل، ولا تحذف في الوقف، وجرت مجرى ياء (القاضي)، لأنها ياء ساكنة بعد كسرة في اسم، فثبتت كسرتها، والوجه الآخر: أن تحذفها فيهما، فتقول: (ضربن، وهذا غلام، وأنت تريد: غلامي، وضربني، لأن (ني) اسم...، ووجه قراءة أبي عمرو آيتي (الفجر) بالحذف على رأي من يقول (هذا القاض)؛ فيحذف الياء، وحذف الياء في الفعل حسن؛ لأنها لا تكون إلا وقبلها نون، فالنون تدل عليها، فلا لبس فيها، بخلاف قولك: (هذا غلام) تقف عليه بالسكون، فلا يُعلم أنه يراد به الإضافة الياء أم الأفراد، ولذلك منعه بعضهم وأجازه سيبويه في الوصل؛ لأنه يبيّنه^(٤).

(١) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) السيرافي: ما يحتمل الشعر، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج ١، ص ٢٦٠. وانظر: ابن الشجري: أمالي بن الشجري، ج ٢، ص ٢٩١ (الطناحي).

(٤) ابن يعيش، موفق الدين، يعيش بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة، بلا تاريخ،

وبالرغم من وصف ابن يعيش حذف الياء التي قبلها نون بالكثرة في القرآن الكريم^(١). إلا أنني لم أجد القراء أشاروا إلى غير الموضعين الواردين في سورة الفجر، وهما في رؤوس الآي، ومعلوم أن الحذف في رؤوس الآي كثير في القرآن في الأفعال والأسماء، ويستدل على ذلك دائماً بما في القوافي من حذف، لأن ذلك موضع وقف.

لقد استدل سيبويه على هذا الحذف بقول الأعشى:

فَهَلْ يَمْتَعْنِي ارْتِيَادِي الْبَلَا دَمِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي
وَمِنْ شَانِي كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ انْكَرَنِي^(٢)

كما استدل غيره بهما أيضاً في هذا المقام^(٣)، وبالوقف على القصيدة في ديوان الشاعر تبين أن القصيدة نونية مقيدة مطلعها:

لَعَمْرُكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنِ عَلَى الْمَرءِ، إِلَّا عَنَاءٌ مُعَنُ

وهي قصيدة طويلة وقد حذف الأعشى ياء الإضافة هذه في أكثر من موقع ووقف بالسكون وذلك قوله: بالإضافة إلى ما سبق:

أَلَيْسَ أَخُو الْمَوْتِ مُسْتَوْتِقًا عَلِيٍّ، وَإِنْ قُلْتُ قَدْ أُنْسَانُ
وَلَكِنَّ رَبِّي كَفَى غُرْبَتِي بِحَمْدِ الْإِلَهِ، فَقَدْ بَلَّغَنِي
وَحَوْلِي بَكْرٌ وَأَشْيَاءُ عَهَا وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَتْنَتْنَنْ أَوْ عَدَنْ
فَجِئْتُكَ مُرْتَادًا مَا خَبَرُوا وَلَوْلَا الَّذِي خَبَرُوا لَمْ تَرَنْ^(٤)

ج ٩، ص ٨٥-٨٦. وانظر: سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٠.

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ج ٩، ص ٨٦.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣) انظر ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن: ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص ١٢٨. وانظر مصادر أخرى هناك بالهامش.

(٤) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٩٠-١٩١.

لقد خرج الحذف عند الشاعر سهلاً مستساعاً، لأنها لغته وسليقة قومه، ولذلك فليست هناك ضرورة شعرية أجاته إليه، ولكنه مذهبه، وهو مذهب العرب في الوقف، ولذلك أثبت نون الوقاية لأن الحذف للوقف عارض، فحكم للياء المحذوفة بحكمها لو كانت ملفوظاً بها^(١).

: :

وقبل الخوض فيه ينبغي أن نقدم ما شاع بين أهل العربية من أن الأصل سقوط الياء إذا سكنت ولقيها التنوين، لاستثقالهم الضمة في الياء، ولأن التنوين سكون، فتحذف الياء لالتقاء الساكنين نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ

مِنْهُمَا﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ

مُشْرِكٌ﴾ [النور: من الآية ٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: من

الآية ١٣٤] وأمثال ذلك كثيرة^(٢)، والأصل في الوقف على هذه الحروف وأمثالها بالياء أعني (ناجي، وزاني، وأتي)، إلا أنهم يستثقلون الضمة في الياء، فتسكن الياء، وعندئذ يستقبل السكون بسكون التنوين فيجتمع ساكنان فتحذف الياء لذلك^(٣) هذا إذا كانت الياء أصلية، لأنهم لا يثبتون الياء في شيء من (فَاعِلٍ)، نحو ما جاء في الآيات السابقة، وقولهم: "هَذَا قَاضٍ، وَرَامٍ، وَدَاعٍ"، فإذا أدخلوا فيه الألف واللام، قالوا بإثبات الياء وحذفها^(٤) ومن هنا جاء خلافهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [في

الكهف: ١٧، والاسراء: ٩٧] بغير ياء، والياء في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ

الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨].

(١) ابن عصفور: ضرائر الشعر، ص ١٢٨.
(٢) انظر: سورة الأعراف، الآية ٤١، والآية ١٩٥، سورة النحل، الآية ٩٦، سورة الحديد، الآية ٢٦، سورة طه، الآية ٧٢.
(٣) الأنباري: الوقف والابتداء، ج ١، ص ٢٣٣-٢٣٤.
(٤) الفراء: معاني القرآن، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠١.

فقد قرأ يعقوب ونافع وأبوجعفر بإثبات الياء في التي في الإسراء والكهف واتفق القراء على إثبات التي في الأعراف وصلاً ووقفًا، اتباعاً للرسم^(١)، وكان الفراء يحب إثبات الياء في مثل هذه الأسماء إذا دخل عليها الألف واللام، لأنه حينئذ لا تنوين معها، ولم يخطئ من يحذفها حتى مع الألف واللام، لأن حجته وجود الحرف بغير ياء قبل أن تدخل فيه الألف واللام، فيكره أن يزداد فيه ما لم يكن، قال: وكلّ صواب^(٢)، ونقل الأنباري عن الكسائي والفراء قولهما: "الكلام بني على وصله، فلا يحدث في الوقف ما لا يكون في الوصل"^(٣).

ويمكنك تقسيم الياء مع الأسماء قسمين:

الأول: ياء أصلية في الاسم ومن أنفس الكلم، وعليها يقع الإعراب مقدرًا أو ظاهرًا، ويعرف الاسم معها بالاسم المنقوص^(٤)، والأسماء المنقوصة التي اعترأها الحذف في القرآن الكريم جاءت في حشو الآي، ورؤوسها. والذي جاء في الحشو توزعته حركتا الرفع والجر، والنحاة مجمعون على جواز حذف هذه الياء في هاتين الحالتين وإن كان: "الأصل في ذلك إثبات الياء، لأن الياء لام الفعل، فإذا وقفت حذفت الياء اتباعًا للمصحف، وهذا حسن لأنهم اتبعوا الأصل في الوصل، وفي الوقف المصحف...". ولمن قرأ هذه الحروف بغير ياء في الوصل أن يحتج بأنها في المصحف بغير ياء^(٥)، فلا ينبغي أن يُخالف رسم المصحف، وحجة أخرى، وهي أنهم اكتفوا بالكسرة عن الياء"^(٦).

أما الآيات التي جاء فيها هذا النوع من الحذف فهي واحدة في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، واثنان في سورة القمر

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص ٢٣٢ - ٢٤١.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ج ١، ص ٢٠١.

(٣) الأنباري: الوقف والابتداء، ج ١، ص ٢٣٥.

(٤) الاسم المنقوص: اسم متمكن مختوم بياء قبلها كسرة، لا يدخلها خفض ولا رفع لثقل ذلك، نحو ياء القاضي، وتحذف الياء عند التنوين رفعًا وجرًا، ويدخله النصب، كما يظهر عليه تنوين الفتح، تقول: هذا قاض فاعلم في الرفع- ومررت بقاض فاعلم في الجر- وسميت قاضيًا في حال النصب، انظر: المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، ج ٣، ص ٣٥٤، ج ٤، ص ٢١، ٢٤٨.

(٥) انظر: السجستاني، أبو بكر عبدالله بن أبي داود: المصاحف، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة، بلا تاريخ، ص ١١٤.

(٦) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٨٦. ابن زنجلة: حجة القراءات، ص ١٢٧.

وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاع...﴾ [القمر: ٦]، وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى

الدَّاع...﴾ [القمر: ٨] لأن الياء محذوفة في الرسم^(١)، وفي ياءاتها خلاف بين القراء في إثبات الياءات في واحدة وحذفها من الأخرى، وبعضهم يحذف الياء فيها جميعاً في الوقف دون الوصل، في حين كان فريق يثبت الياء في الوصل ويحذفها في الوقف في جميع هذه الحروف^(٢).

ويرى النحاس أن المنقوص هنا إذا حذفت منه الياء فالقول فيه أنه بني على نكرته، وأما البين فأن يكون هذا كله مكتوباً بغير حذف^(٣)، وقد جاء هذا اللفظ في أحوال الإعراب هذه حشواً في وسط الآي، ومما يلحق به من الحروف في حال الرفع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧، والكهف: ١٧] فقد وصلها

نافع وتلاميذه من المدينة، وأبو عمرو بياء، ووقفوا عليها بغير ياء، ووصلها ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وتلاميذهم من الكوفيين، وابن عامر وتلاميذه من الشاميين بغير ياء، ووقفوا بغير ياء^(٤). والياء في الموضوعين لام الفعل كما هو معلوم

بالتصريف، قال أبو اسحاق الزجاج: "أكثر اللغة ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ بإثبات الياء، وفي

المصحف في هذا الموضوع كالذي في الأعراف^(٥)، فهذا وجه، وهو في الأعراف بالياء، وفي الكهف بغير ياء، وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة، ولا يجوز في الأفعال، لأن الياء في الفعل دليل الجزم، وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن مع الاسم الألف واللام نحو: "مُهْتَدٍ، وَمُقْتَدٍ"، فأدخلت الألف واللام وترك الحذف على ما كان عليه، ودلت الكسرة على الياء المحذوفة"^(٦).

(١) السجستاني: المصاحف، ص ١١٤.

(٢) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ١٩٧، ص ٦١٧، وانظر: الأصبهاني: المبسوط، ص ١٣٨، ص ٣٥٧، الداني: التيسير، ص ٨٦.

(٣) النحاس: إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٨٦.

(٤) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٣٨٦، ص ٤٠٣، وانظر أيضاً: الأصبهاني: المبسوط، ص ٢٣٢ - ٢٤١.

(٥) هي قوله عز وجل: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٨].

(٦) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٢٧٤.

ومن المرفوع المحذوف ياءه في الحشو قوله تعالى: ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾

[الحج: ٢٥]، فقد قرأها أبو جعفر ونافع -من سائر طرقه غير قالون- وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بإثبات الياء. ابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف، والآخرون في الوصل دون الوقف، وقرأها ابن عامر وقالون عن نافع، وعاصم وحمزة، والكسائي وخلف بحذف الياء في الوصل والوقف^(١)، وقد جاء حذف الياء في مكان لا يمكن معه التنوين، فالاسم محلى بالألف واللام وهو معطوف على مرفوع؛ يضاف إلى ذلك أنه موضع للوقف التام، فلو أثبت الياء لم يخرج على قوانين العربية، لكنه اكتفى بالكسرة دليلاً على المحذوف، واتباعاً لرسم المصحف، ثم إنه لو قدر فيه الجرّ عطفاً على ﴿الْعَاكِفُ﴾ الذي هو نعت لـ ﴿النَّاسِ﴾ المتقدم ذكره^(٢) لقليل في ذلك مثل ما قيل في حال الرفع.

ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ...﴾ [الشورى:

٣٢]، وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ...﴾ [الرحمن: ٢٤]، فقوله: ﴿الْجَوَارِ﴾ في الموضعين رفع، وقد جاء اللفظ في سورة التكويد [الآية: ١٦] مجروراً محذوفاً، ثم منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...﴾ [ق: ٤١]. وهذا من الأسماء المرفوعة ومثله:

قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وخلاف القراء في الحذف والإثبات في الوقف والوصل قائم في هذه الحروف كخلافهم في غيرها من الحروف السابقة^(٣) فقد قرئ فيها جميعاً الياء في الوصل

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص ٢٥٩.

(٢) النحاس: إعراب القرآن، ج ٣، ص ٩٤.

(٣) الأصبهاني: المبسوط، ص ٣٣٣.

والوقف، وبإثباتها وصلاً دون الوقف، وبحذفها في الوصل والوقف^(١).
أما ما جاء مجروراً محذوف الياء، فبالإضافة إلى التي في القمر والبقرة الأنف
ذكرها ورد الحذف في الحروف التالية:

قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]

قوله تعالى: ﴿ .. مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧]

قوله تعالى: ﴿ .. وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [غافر: ٢١]

قوله تعالى: ﴿ .. وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ [سبأ: ١٣]

قوله تعالى: ﴿ .. لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: ١٥]

قوله تعالى: ﴿ .. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢]

قوله تعالى: ﴿ .. فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٣]

قوله تعالى: ﴿ .. الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩]

قوله تعالى: ﴿ .. أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ [النمل: ١٨]

قوله تعالى: ﴿ .. إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ [طه: ١٢]

قوله تعالى: ﴿ .. مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ [القصص: ٣٠]

وقوله تعالى: ﴿ .. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ [النازعات: ١٦]

(١) المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢١٦، ٣٤٩، ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٣٦٠، ٦٠٧.

وفي هذه الحروف جميعاً اختلف القراء فمنهم من أثبت الياء وقفاً ووصلاً على أصل البنية، ومنهم من حذفها في الحاليين مراعاة للرسم، ومنهم من أثبتها في الوصل وحذفها في الوقف، إلا أن الأغلب عليها الحذف من جهتين:

الأولى: مراعاة السواد، والثانية أن بعضها في رؤوس الآي، وهي مواقع حذف، لأنهم يشبهونها بقوافي الشعر، والحذف في الفواصل هو الوجه، فإن لم تكن فاصلة فالإثبات أحسن^(١).

ولم يفرقوا بين ما جاء من هذه الأسماء منكرًا فيدخله التنوين والحذف، وبين ما جاء معرفًا بالألف واللام ممتنعًا من التنوين، ولحاق الياء به أقوى، فقد روى الفارسي ما حكاه سيبويه بأن من العرب من يحذف الياء مع الألف واللام كما يحذفها مع غير الألف واللام، نحو: قاض، إذا وقف قال: هذا قاض، وهو أجود من الإثبات^(٢).

أما الثاني من هذا القسم، فيخص الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم، سواء ما وقع منها في حشو الآي، أو رؤوسها، وسواء ما كان للحذف علة من جهة النحو كالمنادى، أم لم تكن فيه علة.

فمما كان للنحو توجيه في حذفه ما جاء منادى مضافاً، وذلك قوله تعالى عز وجل: ﴿يَا عِبَادِ فَأَتَقُونَ﴾ [الزمر: ١٦]، فقد أثبت الياء فيها رويس وقفاً ووصلاً

بخلف عنه^(٣). قال أبو إسحاق الزجاج: "القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يا عبادي ويا عبادي، والحذف أجود، وعليه القراءة^(٤)، وقد شبه أبو علي المضمرة المجرور هنا بالتنوين، لعدم انفصال كل منهما من الاسم الظاهر، وذلك بمعاقبته التنوين، فهو يحذف في النداء، ولو كان مكان المضمرة في النداء اسم مظهر لم يجز حذفه^(٥)، وقد جاء حذف المضمرة من المضاف؛ لأن النداء موضع حذف، إلا أنه يجوز إثباته على الأصل، كما يجوز في المثبت الفتح^(٦).

(١) أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج ٦، ص ٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) ابن الجزري: النشر، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٣٤٩.

(٥) أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار: المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣، ص ٥٦١.

(٦) النحاس: إعراب القرآن، ج ٤، ص ٨، يقول ابن مالك:

ومثل آية الزمر السابقة قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨]، فهي في المصحف من غير ياء، وقد قرأها أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمر ويعقوب بالياء في الوصل والوقف إلا أن أبا عمرو فإنه يقف بغير ياء، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي وخلف ﴿يَا عِبَادِ﴾ بغير ياء في الوصف والوقف^(١) أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الزمر: ١٠] ففي السواد من غير ياء في مصاحفنا المعاصرة، وكل القراء يثبتون الياء وقفاً، ولكنهم يختلفون في حركتها بين الفتح والسكون ثم الحذف، والإثبات في الوقف على ما في السواد كما قال الأصبهاني^(٢)، إلا أن مما ينبغي ملاحظته في هذه الآية وفي سورة [العنكبوت: ٥٦] استقبال الياء حرفاً ساكناً^(٣)، فكان تحريكها أسهل، فضلاً عن أنها ليست رأس آية ولا فاصلة، ولم يختلف القراء في إثبات الياء، وانحصر خلافهم بين تسكينها وفتحها فهي مثبتة في جميع المصاحف^(٤). ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

وموقف النحاة من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم معلوم، فقد جوزوا حذف هذه، الأمر الذي يجعل الحذف أحسن من الإثبات في حين لا يمكن الوقف بتسكين الياء، وإلا اجتمع ساكنان، كما أن إثبات الياء مع الفتح مرجوح بالتخفيف المتولد من الحذف. أما ما جاء من الحروف المضافة إلى ياء المتكلم وكانت رأس آية فهو الكثير في هذا الباب، ومنها:

وَأَجْعَلْ مُنَادَى صَحٍّ إِنْ يُضَفَّ لِيَا كَعَبْدٍ، عَبْدٌ، عَبْدًا، عَبْدِيَا

ففيه خمس وجوه - كما ترى - وهي حذف الياء والاستغناء بالكسرة، أو إثبات الياء ساكنة، أو قلب الياء أيضاً وحذفها والاستغناء بالفتحة، أو قلبها ألفاً وقلب الكسرة فتحة، أو إثبات الياء محركة بالفتح: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(١) الأصبهاني: المبسوط، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(٣) هذه الآية بالياء في سورة العنكبوت، وبدون الياء في سورة الزمر.

(٤) الأصبهاني: المبسوط، ص ٢٩٢ ٢٤١.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ كَذَّبٍ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

فقد قرأ ورش عن نافع، ويعقوب بإثبات الياء حيث كان من هذا الحرف، وقرأ الباقر بحذف الياء^(١)، ولما كانت هذه الكلمة في جميع الآي رأس آية، فقد حسن الحذف للوقف، وهي في المصحف من غير ياء^(٢).

ومما جاء محذوقاً قوله عز وجل: ﴿وَقَبَّلَ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠] فقد قرأها ابن

كثير برواية البزي، وأبو عمرو، وحمزة ﴿دُعَائِي﴾ بالياء إذا وصلوا، وابن كثير يقف بالياء أيضاً، والباقر بغير ياء، وصلوا أو وقفوا واختلف عن نافع برواية ورش بالياء^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] قرأها ابن كثير

وأهل مكة بالياء وقرأها أبو عمرو ﴿عِبَادِي﴾ بنصب الياء، وعنه قال عبيد: إن كانت رأس آية وقفت، وإن لم تكن رأس آية قلت: فقراءته القطع، وعن ابن كثير أيضاً بكسر الدال من غير ياء، وقرأها الباقر بغير ياء^(٤) وقد حسن أبو علي التسكين والتحريك في يائها^(٥) وصحح الأصبهاني قراءة الحذف، ووصفها بأنها أثبت عنده^(٦).

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤٩.

(٢) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج ١، ص ٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٧.

(٤) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٥٦١.

(٥) أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج ٦، ص ٩٤.

(٦) الأصبهاني: المبسوط، ص ٢١٨.

أما قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [إبراهيم: من الآية ٣١] فلم ترد فيها القراءة بالحذف، لأن موقعها هذا ليس رأس آية، ولا موضع وقف، وإنما ورد فيه فتح الياء وإسكانها^(١).

وأما بقية الحروف التي ورد فيها الخلاف بين الحذف والإثبات فهي قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٌ﴾ [القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠] وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٌ﴾ [القمر: ٣٧، ٣٩].

وقد أثبت الياء فيهن جميعاً ورش عن نافع، وذلك مراعاة للأصل، والباقون يحذفونها لأنها رؤوس الآي^(٢) قال الأصبهاني: "قرأ يعقوب ذلك كله... بإثبات الياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بحذف الياء فيها وصلًا ووقفًا^(٣)".

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ [الحج: ٤٤، ٤٥، فاطر: ٢٦، الملك: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ١٧].

وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ﴾ [الرعد: ٣٢، غافر: ٥]

وقوله سبحانه: ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ [ص: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكافرون: ٦]

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾ [الرعد: ٣٦]

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٢) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٣) الأصبهاني: المبسوط، ص ٣٥٧.

وقوله سبحانه: ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوْفُوا عَدَابَ﴾ [ص: ٨]

فكل هذه الآيات جاءت في رؤوس الآي وهي مواطن الوقف، والحذف بذلك ألصق للوقف والتخفيف، فضلاً عن اتباع الرسم الذي يحافظ على اتباعه كثير من القراء، أما الذين يثبتون هذه الياءات، فهم قليل، وينظرون إلى أن الأصل إثباتها، ففي آيتي الملك مثلاً [١٧، ١٨] أثبتهما نافع وحده في رواية ورش، على الأصل، وحذفها الباقيون، اتباعاً للرسم^(١)، والتي في [الكافرون: ٦] أثبتها يعقوب في الوصل والوقف، لأنه مذهبه في كل ياء إضافة رأس آية كانت أو وسطها، مثبتة كانت أو محذوفة إلا ما كان مسبوقةً بالنداء كالتي في [الزمر: ١٦] ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ وما أشبه ذلك^(٢).

لقد اختلف القراء في إثبات هذه الياءات وحذفها، لكنهم مجمعون على تسميتها بالزوائد، لأن القراء أنفسهم هم الذين زادوها بحسب الرواية الصحيحة على ما رسم في المصاحف العثمانية، لذلك فهي زائدة عند من أثبتها منهم^(٣)، قال ابن الجزري عن هذه الياءات:

وَهِيَ الَّتِي زَادُوا عَلَى مَا رُسِمَا ...^(٤)

وقال الرعيني: ودَوْنِكَ يَاءَاتٍ تُسَمَّى زَوَائِدًا لِأَنَّ كُنَّ عَن خَطِّ الْمَصَاحِفِ مَعَزَلًا^(٥)

وصلى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) الأصبهاني: المبسوط، ص ٤١٩.

(٣) محيسن: الهادي، ج ١، ص ٤٠٩.

(٤) ابن الجزري: النشر، ج ٢، ص ٥٩.

(٥) الرعيني: حرز الأمان، ص ٣٤.

- ١ - الأخفش، سعيد بن مسعدة:
معاني القرآن، تحقيق: الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- ٢ - الأصبهاني، أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران:
المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٣ - الأعشى، ميمون بن قيس:
ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٤ - الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد:
الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، بلا تاريخ.
- ٥ - الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار:
إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.
- ٦ - الأنصاري، أحمد مكي:
نظرية النحو القرآني، دار القبلة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٧ - ابن الباذش، أبوجعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري:
الإقناع في القراءات السبع، حققه وقدم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٨ - الباقلائي، أبوبكر محمد الطيب:

إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٩ - البناء، أحمد بن محمد بن أحمد:

إتحاف فضلاء البشر، رواه وعلق عليه: علي محمد الصباغ، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٣٥٩هـ.

١٠- الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف:

١ - طيبة النشر في القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزغبى، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

٢- تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١١- الجندي، علم الدين:

اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس بلبيبا، طبعة جديدة، ١٩٨٣م.

١٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان:

١- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت بلبنان، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٢- سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣- اللمع في العربية، تقديين وتحقيق وتعليق: الدكتور حسين محمد شرف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.

٤- المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٣- ابن خالدية، أبو عبدالله الحسين بن أحمد:

إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن، منشورات دار الحكمة بدمشق، بلا تاريخ.

١٤- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم:

بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد

خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٥- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد:
المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، دراسة وتحقيق: الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٦- الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن سعيد بن سنان:
سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٧- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر:
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ودراسة: الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت بلبنان، ١٩٨٥م.

١٨- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى:
النكت في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٩- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري:
معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.

٢٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله:
البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م.

٢١- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:
الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٢٢- ابن زنجلة، أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد:

حجة القراءات، حققه وعلق على حواشيه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٣- أبوزيد، أحمد:

التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

٢٤- السجستاني، أبوبكر عبدالله بن أبي داود:

المصاحف، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة، بلا تاريخ.

٢٥- السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي:

مفتاح العلوم، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦- سيوييه، أبوبشر عمرو:

الكتاب، الطبعة الأميرية ببولاق بمصر، ١٣١٧هـ.

٢٧- السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله:

١- شرح كتاب سيوييه، مخطوط (١٣٧ نحو) مصوره.

٢- ما يحتمل الشعر (من الضرورة)، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٨- الشاطبي، الرعيني الأندلسي، القاسم بن خيرة بن خلف بن أحمد:

متن الشاطبية، المسمى: حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٩- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة:

أمالى بن الشجري، تحقيق ودراسة: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٠- ابن عصفور، أبوالحسن علي بن مؤمن:

ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

- ٣١- العلوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم:
الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، طبع بمطبعة المقتطف
بمصر، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.
- ٣٢- ابن غلبون الحلبي، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم:
التذكرة في القراءات، دراسة وتحقيق: أيمن رشدي سويد، منشورات الجماعة
الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٣٣- الفارسي، أبو علي الحسن بن عبدالغفار:
١- التكملة، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، منشورات جامعة الرياض (جامعة
الملك سعود)، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٢- الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث،
دمشق بسوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٣- المسائل الحلبيات، تقديم وتحقيق: الدكتور حسن هندراوي، دار القلم بدمشق، ودار
المنار ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٤- المسائل العسكرية، تحقيق: إسماعيل أحمد عمارة، مراجعة الدكتور نهاد
الموسى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م.
- ٣٤- الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد:
معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٣٥- قطب، سيد:
في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
- ٣٦- القيسي، مكي بن أبي طالب:
١- التبصرة في القراءات السبع، تحقيق: الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي، نشر
وتوزيع الدار السلفية، بمباي الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: الدكتور محيي الدين
رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٣- مشكل إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت،
الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- ٣٧- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد:

المقتضب: تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

٣٨- ابن مجاهد:

السبعة في القراءات، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٩- محيسن، محمد سالم:

١- الكشف عن أحكام الوقف والوصف في العربية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

٤٠- ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد بن أبي عبدالله الشيرازي:

الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة بلا تاريخ.

٤٢- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد اسماعيل:

إعراب القرآن، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهر، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٣- الهاشمي، التهامي الراجي:

١- تقرير عن مدى الفائدة عن الإباحة بالياء الزائدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥م.

٢- مذاهب القراء في ياء الإضافة، سلسلة الدراسات والعلوم اللغوية رقم (٦)، الرباط بالمغرب، ١٩٨٨م.

٤٤- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري:

مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، يعيش، موفق الدين، علي:

شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبى بالقاهرة، بلا تاريخ.

ضمير النصب والجر المتصل للغائبة المونثة

في شمالي نجد

د. محمد الباتل الحربي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الملك سعود - الرياض

الضمير لغة: تدور مادة (ضمير) في المعاجم اللغوية حول الأسرار والخفاء والضالة والهزال^(١).
وفي الاصطلاح: ما وضع لتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى أو حكماً^(٢)،
وبعضهم توقف عن تعريفه لكونه محصوراً، وحصره يعني عن تعريفه^(٣)، ويعرفه بعض المحدثين بأنه:
كنايات أو إشارات يشار بها إلى المتكلمين والمخاطبين والغائبين^(٤)، وهي بهذا التعريف تشمل الضمير
الموصول وأسماء الإشارة. وجُلُّ النحاة اعتدَّ الضمائر أسماء، وبعض جعلها علامات^(٥). كما أن
الكوفيين يسمونها (كنايات)^(٦). وسواء أسمىها ضمائر أو كنايات فإن علاقة المصطلح بالمعنى اللغوي
واضحة.

(١) ابن منظور، لسان العرب. والزيدي، تاج العروس: مادة (ضمير).

(٢) الأشموني، الأشموني على الألفية ١/١٠٩.

(٣) السيوطي، الهمع ١/٥٦.

(٤) المخزومي، في النحو العربي ٤٧.

(٥) جبر، الضمائر في اللغة العربية ١٥.

(٦) الأشموني، الأشموني على الألفية ١/١٠٩. ابن يعيش، شرح المفصل ٨٤/٢ المضمرة والمكنية مترادفان عند الكوفيين، أما البصريون فيقولون: المضمرة نوع من المكنيات، فكل مضمرة مكنية وليس كل مكنية مضمرة.

ويرى النحويون أن ضمائر النصب المتصلة تتوافق في اللفظ والصورة مع ضمائر الجر المتصلة بسبب كونهما فضلة في الكلام^(١)، عدا ضمير المتكلم^(٢).

الضمير (ها): يرى بعض الباحثين أن ضمير الغائبة (ها) متحول عن ضمير الرفع (هي)^(٣)، كما يرى بعضهم: أن كل صوت لين قصير في آخر الإشارة أو الضمير كان طويلاً في القديم^(٤). أو أصل الكلام في اللغات السامية طويلة ثم أصبحت جائزة الطول والقصير^(٥)، وهذا معناه تغيير حركة الهاء من الكسرة إلى الفتحة وهي تناسبها لكونها من حروف الحلق^(٦)، ثم حذفت الياء مع حركتها، وأطيلت فتحة الهاء.

ولا شك أن حذف الياء هنا تضعيف لرأي الكوفيين الذين يقولون: إن الهاء ليست من الضمير، على حين يرى البصريون أن الهاء والياء أو الواو يكونان معاً الضمير^(٧)، ويميل بعض الباحثين إلى أن الهاء وحدها هي العنصر الإشاري^(٨)، وهو قول الكسائي^(٩).

وعلى أي حال فإن الضمير (ها) قد استقرّ في اللغة (المشتركة - الفصحى - الأدبية) على وضعه المشهور (الفتاة أكرمتهما، ومررت بها) وهذا الضمير بهذه الصيغة ليس مجال بحث هنا، وإنما البحث سوف ينصب على لغة (لهجة) واردة فيه لم تنل العناية الكافية حتى في الكتب المتخصصة، بل إن

(١) سيبويه، الكتاب ٣٨٦/١. ابن عيش، شرح المفصل ٨٩/٣.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣٨٣/١.

(٣) الجرح، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٦٧م، ج ٢٢، ص ٦٦. والمخزومي، في النحو العربي ٥٠ تقسيمها إلى متصل ومنفصل غير سليم، والمنفصل متصل في حقيقته.

(٤) فليش، العربية الفصحى ١٣١.

(٥) بروكلمان، فقه اللغات السامية ١٠٠.

(٦) الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب ٤٠/١ حروف الحلق تفتح نفسها أو ما قبلها.

(٧) الطعان، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ٢٧.

(٨) حجازي، علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارنة ٢٠٣. الجرح، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ص ٦١، ج ٢٢ عام ١٩٦٧م.

(٩) ابن منظور، اللسان: (ها) ٤٧٦/٥ "فإن الاسم إنما هو الهاء". الألوسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١ نسب لابن جني في سر الصناعة أن الألف في (ها) زائدة للتفريق بين المؤنث والمذكر.

كثيراً منها تهملها^(١)، وهذه اللغة هي نطق (هاء) الغائبة ساكنة بعد فتح ما قبلها، أو على الأصح إجراء تغييرات سوف يشار إليها في مكانها من هذا البحث.

:

أكثر الإشارات إليها، في كتب اللغة القديمة، نجدتها مرتبطة بالمثل المشهور: (أبخل من مادر). وفي قصة هذا المثل أن ثلاثة رجال: فزاري وتغليبي وكلابي اشتركوا في سفر، ثم إن التغليبي والكلابي خدعا الفزاري، بأن قدما له أير حمار مطبوخ ليأكله، ففطن الفزاري لذلك، ووجد سيفه، وأرغمهما على الأكل أو القتل، فقتل أحدهما وأخذ الآخر يتلصقاً في الأكل، فقال الفزاري: وأنت إن لم تلقمه، أراد تلقمها، فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء، كما قالوا: ويلمّ الحيرة، وأي رجال به، أي: بها^(٢).

ونسب الميداني تخريج (تلقمه بمعنى تلقمها) إلى محمد بن حبيب، وفسر عود الضمير مؤنثاً إلى المضغة، أو البضعة، وإلا فليس في الكلام السابق عليها تأنيث ترجع الهاء المؤنثة إليه^(٣).

(١) ممن لم يذكرها مثلاً: الألويسي، الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١. جبر، الضمائر في اللغة العربية ٤٠ و٨٧. شاهين، الضرائر اللغوية في الشعر الجاهلي ٢٠١ - ٣٤٤.

(٢) يوجد المثل وقصته في كل كتب الأمثال تقريباً، ولكنها تختلف فيما بينها في البسط والاقتضاب من ذلك: الميداني: الأمثال ١٩٦/١ - ١٩٧، العسكري: الأوائل ١٨٠، الأصبهاني: الدرّة الفاخرة ٨٧/١، البكري: اللآلئ في شرح أمالي الغالي ٨٦٠. ومن كتب اللغة والنحو: سيبويه: الكتاب: حاشية ٣٠٧/١، ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٧/٢ - ٥٦٨ وذكر تخريجات عدة: تلقمها، فالضمير يعود على المضغة، أو أن الأصل تلقمته، أي الأير، ثم حذف نون التوكيد، السيرافي: شرح أبيات سيبويه ٢٢٢/١ نسب تقدير (تلقمته) وحذف نون التوكيد إلى البصريين، ابن منظور: اللسان (مادة: مدر) ١٦٣/٥ ذكر المثل وقصته باختصار عن ابن بري، الزبيدي: تاج العروس (مادة: مدر) ٥٣٦/٣.

أما سبب القول (به، أكرمته) في بها وأكرمته فأرجعه أنيس: من أسرار اللغة ٢٣١ إلى أن الهاء مهموسة فتسقط في الوقف. ولعله سبب صحيح ولكنه غير كاف وحده هنا إذ يساعده أن النبر في هذه اللهجة واقع على ما قبل الهاء (أي) على ما قبل الآخر.

(٣) الأمثال: ١٩٦/١ - ١٩٧.

أما ابن عصفور فيقول: "وأما الألف الواقعة صلة لهاء ضمير المؤنث، فإن حذفها والاجتزاء بالفتحة عنها من قبيل الضرائر.. تبعه.. وكذلك أيضاً حذفها في الوقف، وإلقاء حركة الضمير على ما قبلها من قبيل الضرائر، ومن ذلك قوله:

فإني قد سئمت بدار قومي أموراً كنت في لحم أخافه

يريد أخافها.

وقول الآخر:

ليس لواحد على نعمه إلا ولا اثنين ولا أهمة

يريد ولا أهمها؛ إلا أن الألف من (أخافها) و (أهمها) حذفت وسكنت الهاء، ونقلت حركتها إلى الحرف الذي قبلها، وربما فعلوا ذلك في سعة الكلام، حكى الفراء: (بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله به) "يريد بها، فحذفت الألف، ونقلت حركة الهاء إلى الباء"^(١). فهو قد انتبه إلى ورودها في سعة الكلام، ولكنه استخدم كلمة (ربما) مما يجعله يميل إلى كونها ضرورة شعرية.

وتورد كتب النحو حكاية الفراء: "بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله به"^(٢) بحذف ألف (بها) كما رواها ابن عصفور، لا كما رواها ابن منظور، ثم إنها تورد هذه الحكاية في مقام الاستشهاد على (ذو وذات) الإشاريتين عند قبيلة طيء، وهذا يعطينا شيئين: الأول: أن قبيلة طيء، أو بعضها، ممن يستعمل هذه الظاهرة، لا سيما وأن هذه القبيلة قد اشتهرت بالقطعة (لغة من لا

(١) ضرائر الشعر ١٢٥، ابن منظور لسان العرب (ها): لم يورد حذف الألف وفي ٤٦٠/١٥ قال: "قال شمر قال الفراء: سمعت أعرابياً يقول: بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بها" فأورد (بها) بالإتمام، الألويسي: الضرائر وما يسوغ للشاعر ٨٢/١ اكتفى بذكر "... أو تبعه" ولم يذكر حذف الألف، وتسكين الهاء. تيمور: معجم تيمور الكبير ١٣٥ (ضربُه) لغة لحم، أنيس: من أسرار اللغة ٢٣٠ نسبها لطيء، وفي ص ٢٢٦ نسبها للحم.

(٢) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: (هامش) ٥٦٧/٢، الأشموني: حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٨/١، النجار: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١٤٨/١ علق على حكاية الفراء هذه بقوله: "قول منشور لأعرابي من طيء يطلب عطاء".

ينتظر) يا أبا الحكا^(١)، وهي تماثل حذف الألف من (ها). الثاني: أن هذا الاستعمال وقع في نثر لا في شعر، وهذا يدل على أنها تستعملها في سعة الكلام.

وهناك شاهد شعري آخر ينسب إلى طيء، أيضاً، في قصة مجاورة امرئ القيس بن حجر لعامر بن جوين الطائي، وكان للأول مال كثير وخدم، فهمم به الثاني، فتنبه له امرؤ القيس، فقال في عامر: فلم أر مثلها خباسة^(٢) واجد ونهنت نفسي بعد ما كدت أفعله^(٣)

ذكر ابن الأنباري أن الضمير في (أفعله) يعود على مذكر، ولكنه ذكر تخريجاً آخر حكاه أبو عثمان عن أبي محمد التوزي عن الفراء (أفعله) فحذف الألف وألقى فتحة الهاء على ما قبلها.

كما ذكر البيت السابق الذي ذكره ابن عصفور:

فإني قد رأيت بدار قومي نوائب كنت في لحم أخافه

وقال: "يريد أخافها، فحذف الألف، وألقى حركة الهاء على الفاء وهي لغة لحم، وحكى أصحابكم: نحن جئنا به (أي) جئناك بها، فحذف الألف، وألقى حركة الهاء على الباء، فكذلك ههنا"^(٤). فهو هنا نسب الظاهرة صراحة إلى لحم^(٥) وهي لغة لحم".

(١) الراجعي: تاريخ آداب العرب ١/٤٣١ "القطعة في لغة طيء وهي قطع اللفظ قبل تمامه في مثل يا أبا الحكم: يا أبا الحكا، وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو؛ لأن هذا مقصور على حذف آخر الاسم المنادى أما القطعة فتتناول سائر أبنية الكلام"، الجنباني: ملامح من تاريخ اللغة العربية ٣٨ القطعة من طيء كالنعنة في تميم وهي نوع من الترخيم.

(٢) الخباسة: الغنيمة.

(٣) سيبويه: الكتاب ١/٣٠٦-٣٠٧ ولم يذكر التأنيث، السيرافي، شرح أبيات سيبويه ١/٢٢٢ ذكر القصة ومراجع الضمير في (أفعله)، الأصبهاني: الأغاني ٨/٦٩، العيني: هامش خزائن الأدب للبلخادي ٤/٤٠١، ابن الأنباري: الإنصاف ٢/٥٦٧ ونسب البيت إلى عامر بن الطفيل، وهو خلاف ما ذكرته المراجع الأخرى، ابن منظور: اللسان: (مادة: خبس).

(٤) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٦٨.

(٥) نالينو: تاريخ آداب العربية ٧٢، ٢٦٦ للخميين في العراق تحضروا قبل القرن السابع للهجرة، ومملكتهم الحيرة وما يليها.

ويؤيد هذه النسبة، أيضاً، ربط هذه اللغة (اللهجة) بالحيرة "ويلمّ الحيرة وأي رجال به" (١) وقد سبقت الإشارة إلى هذه العبارة، وغني عن البيان أن الحيرة عاصمة (المناذرة) اللخمين. فالنصوص التاريخية التي بين أيدينا نسبتها إلى ثلاث قبائل عربية هي: فزارة، وطيء، ولخم. والقبيلتان طيء ولخم من قبائل اليمن، ولكن فزارة ذيبانية مضرية (٢)، وهذا يعني أن الباحث لا يستطيع أن يقول باطمئنان: إن الظاهرة يمانية، قد يقول قائل إنها يمانية الأصل ووجودها في قبائل مضرية لا ينقض ذلك؛ حيث انتقلت إليها عن طريق الاختلاط والمجاورة (٣)، وعلى أي حال فليس هناك برهان قاطع (٤)، ثم إنه قد يكون الأمر بالعكس، حيث تكون طيء ولخم اليمانيتان قد تأثرتا بهذه اللغة (اللهجة) بعد هجرتهما من اليمن إلى الشمال، وقد يعزز ذلك وجود الظاهرة في اللغات السامية الشمالية (٥).

: () :

١ - في منطقة القصيم: تشتهر هذه اللهجة أكثر ما تشتهر في بلاد القصيم وما صاقبها شمالاً؛ ولذلك نرى الفرج في تعليقه على بعض الأبيات يقول: "وهو هنا يستعمل لغة أهل القصيم في ضمير المؤنث،

(١) الأصبهاني: الدرر الفاخرة ١/٨٧.

(٢) حميدة: مجموعة الوثائق ٥٥٧ "خارطة الأنساب العدنانية".

(٣) هذه القبائل متقاربة الأماكن، فطيء تمتد بلادها بين الحين والآخر إلى ما يقارب الحيرة، وفزارة قريبة من ديار طيء من الجنوب الغربي عن فزارة: الجاسر: مجلة العرب ج ٧، س ٧، محرم ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م شباط، فبراير "تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها - ٣ - حمى ضرية" وبالإجمال فبلاد فزارة في الحمى تقع في جهته الغربية الشمالية غرب ماء لعيس فيه، وشمال بلاد محارب" ص ٥٢٢.

(٤) شرف الدين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ٨٥ قال في ضمير الغائبة المؤنثة: أورد الدكتور خليل نامي مثال (مقامه) = (مقامها) ولم يضبط الهاء بسكون أو حركة قصيرة ليزول أحد الاحتمالين، الطعان: الأدب الجاهلي ٣١ الضمير المتصل في البنية (هو، ها)، ولعله يخص الأخيرة بالتأنيث.

(٥) العبودي: بلاد القصيم ١/٨٤ نقل عن تقي الدين الهلالي أنها موجودة في اللغة العبرية (بعلاه، ابناه: بعلاها وابنها)، الطعان: الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ٢٨ الضمير المتصل الغائب في العبرية (و -). بروكلمان: فقه اللغات السامية ٨٧ ضمير النصب والجر للغائبة في العربية (hā) وفي العبرية (hā;h) وفي الآرامية (h).

فهم يفتحون ما قبل الضمير للمؤنث"^(١)، وهو كلام ناقص كما نرى لأنهم أيضاً يحذفون الألف بعد هذه العملية أي نقل حركتها إلى الحرف قبلها كما ذكر. وإذا كان ما قبلها ساكن مثل: وَيَّاهُ (أي وَيَّاهَا) فيكتفى بتسكين الهاء لا غير، وللتفريق يقولون للمذكر: وَيَّأُوهُ. ويقول ابن خميس: "وضمير المؤنث من هذا النوع - يقصد حذف الألف من (ها) ونقل حركتها إلى ما قبلها - يجعلنا نحكم أنه - أي الكلام - من شمال الجزيرة القصيم"^(٢). ويقول العبودي: "وتوجد في أجزاء من القصيم لتأثير قبيلة طيء فيهم"^(٣). والحقيقة أنها توجد في معظم بلاد القصيم وبخاصة الحاضرة، كما تشمل بعض مناطق حائل وبخاصة في قبيلة طيء (شمر)؛ ولهذا نرى الأستاذ العبودي يقول بأن اللهجة في منطقة القصيم من تأثير قبيلة طيء (شمر) لأنها حينما هاجرت من اليمن حلت القصيم في بادئ الأمر، ثم طردتها قبيلة أسد إلى الجبل (حائل)^(٤). وهذا ترجيح سائغ لكنه غير يقين؛ لأن الظاهرة موجودة في قبائل أخرى مثل لخم وفزارة وغيرهما.

:

سوف أقصر على مقتطفات صغيرة من مقالة الدكتور الصويان: "انكسرت جرة الأحلام وأفختنا من الفلة"^(٥)؛ لأن الظاهرة أشهر من أن يمثل لها، ولكن ذلك من أجل من لم يعرف المنطقة من العرب البعيدين عنها، يقول الصويان:

"ترى ما هناك فرق كبير بين هالشقق اللي حنايَه وبين الفلل اللي هم يعمرون" (بَهْ): بها، والضمير يعود على الشقق (بهن) في الفصحى. ويقول: "اللي صبركم كل هالمده يصبركم باق الأيام

(١) ديوان النبط ٥٠/١.

(٢) الأدب الشعبي في جزيرة العرب ٢٣٧.

(٣) معجم بلاد القصيم ٨٢/١.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) نشرت في (رسالة الجامعة) - جامعة الملك سعود بالرياض - الصفحة (٨)، صفحة الرأي، بتاريخ ١٤٠٤/٦/١ هـ.

كَلَّهُ كم شهر ومنتقل للفلل الجديدة "كَلَّهُ": كلها، والضمير يعود على المدة. ويقول: "إيه تخلص، وراه ما تخلص، مدير الجامعة براسه، سمعي باذني يقول إنه تبي تخلص" (وراه): وراها (وراءها)، والضمير يعود على الفلل (... هن) في الفصحى. (انه): إنها أيضاً، والضمير يعود على المرجع نفسه (الفلل). ويقول: "لا والخفي عليك أعظم، شف الحمامات كَلَّهُ افرنجي.." (كَلَّهُ): كلها، والضمير يعود على الحمامات (كلهن) في الفصحى. ويقول: "إلى جت امي يمنا وشلون تبي تعرف لهن، أنا: سهله نخط لَه بزبور بالحوش" (لَه): لها يعود على الأم. ويقول: ".. نبي نتحرجم بهالهدامه اللي ما تفرك يَه الذرّه" (بَه): بها، فالضمير يعود على الهدامة.

: :

ذكر الأستاذ محمد العبودي أن هذه الظاهرة مطردة في مدينة الموصل، وعزا ذلك أيضاً إلى تأثير قبيلة طيء فيهم؛ لهجرة هذه القبيلة إلى هناك^(١)، وهذا يعني أنه يرى الظاهرة طائية في أكثر الحالات، وقد سبق أن رأينا في تاريخ الظاهرة أن هناك قبائل أخرى تشارك طيئاً فيها، وأن الظاهرة أيضاً لحمية "ويلم الحيرة وأي رجال به" ثم إن الطريق الذي يمر بالموصل في الشمال الشرقي قديماً، ينتظم القصيم وحائل في نجد، وهي أماكن تسيطر فيهما الظاهرة، وهذا لا ينفي تأثير قبيلة طيء في الموصل، ولكن على الأقل يوحى بروافد تأثير بجانب قبيلة طيء.

ومن أمثلتها في نشر الموصليين ما ذكره الأستاذ الديوه في مقالة له بعنوان: "من العيد في الموصل"^(٢). يقول: "ربح نصيباً": اربحي نصيبها، ويقول: "كن مصه التنور": كأن قد مصها التنور، ويقول: "ماكو غيغه" لا يكون غيرها، فهم أيضاً يقلبون الراء غينا.

(١) معجم بلاد القصيم ٨٢/١.

(٢) مجلة التراث الشعبي (العراقية)، العدد ٩ - ١٠، السنة (١) مارس وحزيران ١٩٦٤م، والفقرات المتقطعة في الصفحات على الترتيب ٢٠،

ومن الملاحظ أنهم - إذا كانت الكتابة تمثل نطقهم - ينقلون حركة الهاء إلى ما قبلها ويشبعون هذه الحركة فتكون مدّة. ويحذفون الهاء. أو أن ما نحسبه مدة هو الهاء قلبت إلى مدة لما بين الألف (المدة) والهاء من علاقة قوية.

: () :

من الملاحظ أن كثيراً من اللبنانيين يقولون حتى في النثر (إلت له) قلت لها، ولكن يبدو أنها غير مطردة في كل نثرهم، إلا أن رفائيل نخله اليسوعي فيما يظهر من كلامه يجعلها مطردة في لهجة سوريا ولبنان حيث يقول: "الهاء تسقط من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الأفراد والجمع (ضربو: ضربه، ضربا: ضربها، ضربن: ضربهم)"^(١). فهو يقول: ضربا: ضربها. أي أنهم مثل أهل الموصل بعد عملية ما يسميه نحائنا نقل الحركة، يقلبون الهاء ألفا.

أما الأستاذ محمد العبودي فيرى اطرادها في بعض قرى لبنان المسيحية^(٢). وهذا كما ترى لا يتمشى مع إطلاق رفائيل السابق الموحى باطرادها ليس فقط في لبنان وحدها، ولكن في سوريا أيضاً، ويمكن التوسط بين الحالتين أنها مطردة في بعض التعبيرات في أكثر أنحاء سوريا ولبنان، مطردة في كل التعبيرات في بعض القرى المسيحية في لبنان، وهذا هو الأقرب للصواب.

: :

ذكر الأستاذ العبودي أنها تطرد في لسان أهل مدينة تطوان في المغرب العربي^(٣)، ومن غير المستبعد أن توجد في أماكن أخرى في شمال إفريقيا العربي؛ حيث يغلب على الظن أن المهاجرين إلى تطوان - مثلاً - قد مروا بأماكن في شمال إفريقيا قبل أن يصلوها، كما هي عادة القبائل العربية المهاجرة التي تأخذ في هجراتها وقتاً غير قصير، وتترك تأثيراتها بل ويتخلف بعض جماعاتها في الأماكن التي مروا بها، وهذا يرجح أن الظاهرة لها وجود في أماكن أخرى هناك.

(١) غرائب اللهجة اللبنانية السورية ٨.

(٢) معجم بلاد القصيم ٨٢/١.

(٣) معجم بلاد القصيم ٨٢/١.

الظاهرة في الشعر:

يتميز الشعر عن النثر، بأن الشاعر قد يرتفع عن لغته (لهجته) إلى لغة مشتركة، وهذا كما يصح في الشعر (الفصيح)، فهو ينطبق أيضاً على الشعر (الشعبي)، ولكن من المسلم به، غالباً، أن الشاعر يمارس الظواهر اللهجية في لسانه الخاص أكثر من ممارسته لظواهر ليست من لهجته الخاصة، وإنما يمارسها لأسباب أخرى، كتمارس اللغة المشتركة بين الشعراء الشعبيين في بيئته، أو بسبب الضرورة الشعرية.

ولهذا فسوف أتناول الظاهرة في الشعر (الشعبي) من زاويتين: الأولى: تمثلها في أشعار شعبية لشعراء بيئتهم تستعمل هذه الظاهرة باطراد تام، أو تستعملها ولكن بشكل جزئي في بعض الأماكن، وبشكل مطرد في أماكن أخرى منها. على أنني لم أحصل على أشعار شعبية لشمال إفريقيا العربي أو من الموصل، ومن ثم فلن تدخل في الأمثال الشعرية. الثانية: استخدام الظاهرة لشعراء من مناطق أخرى لا تستعمل الظاهرة في بيئاتها، وإنما استخدمها الشاعر للضرورة الشعرية في الغالب، ولعل من ذلك ما روي من قديم الشعر (النبطي) لعزیز بن خالد صاحب أبي زيد الهلالي مخاطباً محبوباً أبي زيد علياً بقوله:

ومدي الجديدة يا عزيزة (نقطعه) لا ينكشف من سرنا كل جانب^(١)

(نقطعه): نقطعها.

: () :

١ - القصيم، وقبيلة شمر في (حائل):

أ - القصيم:

لعل من المناسب مسح ديوان شاعر من شعراء المنطقة المعاصرين وقد اخترت (ديوان المظلوم) شاعر (نبطي) من شعراء مدينة عنيزة بالقصيم، وهذا الديوان - في الحقيقة - يشتمل على أشعار لغيره؛ لكون

(١) الجهيمان: أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب ١٨٧/١.

هذه الأشعار لها علاقة بالأشعار الواردة له، لكونها إما مساجلة له (ردية)، أو تجاوباً معه لأي سبب من الأسباب، على أنني سوف أشير لهذه الأشعار في الديوان. وبما أن الشعراء (النبطيين) قد يستعملون الالتفات، فيخاطبون المؤنث بضمير المذكر للتمويه في عدم اكتشاف (المحبوب) فقد كنت حذراً، فلم ألتقط إلا ما كان تأنيثاً راجحاً عندي، ولسائل أن يسأل: وهل هناك شبهة بين المذكر والمؤنث في مثل هذا المقام؟ والجواب: قد يحدث هذا بسبب أنني أتعامل مع الخط لا مع المشافهة، فالمشافهة ليس فيها لبس لأننا ندرك حركة ما قبل الهاء نطقاً، أما في الكتابة - وهي غير مشكولة - فإننا لا ندرك ذلك، وحينئذ يعتمد الأمر على القارئ وفهمه.

لقد ورد استعمال (...ها = هـ) في الديوان المذكور ٣٢ مرة، كلها في شعر أبي ماجد، وله غالبية الديوان، أو في شعر (القري) وهو من شعراء عنيزة وليس له إلا النزر اليسير، ووردت مرة واحدة في شعر أحمد الناصر من أهالي الزلفي، وهم ممن لا يستعمل (اللهجة) وله في الديوان المشار إليه شعر يأتي في الكثرة بعد أبي ماجد. كما وردت مرة واحدة أيضاً في شعر عوض من شعراء السيل (قرب الطائف) وهو خارج دائرة اللهجة أيضاً، ووردت مرة واحدة في شعر (ابن ثعلي) وهو - فيما يبدو - من بادية القصيم - وهم لا يستعملون، أيضاً، اللهجة إلا على سبيل مجازة وتقليد حاضرتهم. مختارات من الظاهرة عند أبي ماجد:

يقول:

وإلى متى ذكرت عنيزة الفيحا استشنت بشأن

بلاد (فضله) ربّ السما بافضاله واراها^(١)

فالضمير في (فضله): فضلها يعود على البلاد (بلاد فضلها رب السماء)، ولكنه مع ذلك استعمل (ها) كما هي في الفصحى (ارهاها). ويستخدم الاستعمالين، أيضاً، في بيت واحد حيث يقول:

ولكن الفخر في جملة الشبان والشبان

ارجال يوصلون الرجله (حدّه) ومعناها^(١)

فهذا البيت من القصيدة نفسها، فالضمير في كل من (حدّه): حدّها أي منتهاها، ومن معناها يعود على الرجله (الرجولة). ويكرر ذلك في بيت آخر يقول فيه:

لي قصة مضمونها يببس الريق (شواهدّه) منها وعنّها تنوبي^(٢)

فالضمائر تعود على القصة، وهي جارية كما في الفصحى ما عدا (شواهدّه) شواهدّها.

ويقول: (طلبتّه) هدنة لا سامح الله شهر وتقول لي يا همّلالي^(٣)

فطلبتّه: طلبتها بدليل مخاطبته لأنثى (وتقول). ويقول:

غريب ما أدري وين اسير بالاقدام معي الفراش وشنطتي (به) اهدومي^(٤)

فالضمير في (به) يعود على الشنطة. وفي موضع آخر يقول:

والنفس هنا دام (توه) عسيفه تصير عند الربع مثل العسيفه^(٥)

(فتوه): توها (أي) النفس، ويقول:

ماجد ترى امك (ماخذيتّه) عشاقه أختها من شأن تربة خوالي^(٦)

(ماخذيتّه) ما أخذتها، والضمير هنا يعود على الأم.

ويعود لاستخدام الاستعمالين في بيت واحد:

(١) ديوان المظلوم ١٤.

(٢) المرجع نفسه ٧٣.

(٣) المرجع نفسه ٥٦.

(٤) المرجع نفسه ٧٦.

(٥) المرجع نفسه ٩٢.

(٦) المرجع نفسه ٩٣.

حلا يا مهرة ما هيب تستمرح لكل احصان

تعدي (صقلته) عند المزاعم عن قطاياها^(١)

فالضمير في (صقلته) جاء على (لهجته) وفي (قطاياها) جاء على اللغة المشتركة، وهو يعود على مؤنث (مهرة). وعلى النمط نفسه جاء قوله:

أحبها بالحيل من حبها لي لو أن مالي (به) ولا جرم كافور^(٢)

فمعاد الضمير في (به: بها) هو معاد الضمير في (أحبها.. من حبها).

وقوله:

ستين مافك (كبوتة) ولا مره ولا بعد ناشت البيدا توايرها^(٣)

(فكبوتة: كبوتها، وهو غطاء ماكينة السيارة) فأعاد الضمير على السيارة، ولذلك نراه يقول: ناشت البيدا توايرها (أي دوالياها). وقوله:

ولكن لا تسوي مثل هالنوبة ونا ماجود اسوي بك سواة ما يموت (اسمه) وطايرها^(٤)

ف(اسمه: اسمها) وهو يعود على معاد الضمير في (طايرها) وهو اسواة.

وقوله:

يهذري (به) كبير السن ويوحش (به) الملود ويستادب بها اللي ما درى وش ذنب راعياها^(٥)

فالضمير في (به.. به) أي بها، يعود على المرجع نفسه الذي يعود عليه الضمير في (بها.. بها).

وقوله:

خايف من تبة فيها تروح اقلاعه يوم تسمي (به) وتصبح كالمليك المالي^(٦)

(١) المرجع نفسه ٩٨.

(٢) ديوان المظلوم ١٠٠.

(٣) المرجع نفسه ١٠٩.

(٤) المرجع نفسه ١٢٢ (هالنوبة: هذه المرة، ونا ماجود: وأنا موجود).

(٥) المرجع نفسه ١٢٢ من قصيدة البيت قبله (يهذري: يهذي، الملود: المولود).

(٦) المرجع نفسه ١٥٤.

فالضمير في (فيها) و(بَه) يعود على مؤنث (تَبَّة : حادثة).

وفي بعض الأبيات يورد لهجته وحدها كما في قوله :

واليوم هزت بنا الدنيا وحرّك (قرنَه) ثور

واقفيت واقفى وكلُّ راح في كمّ وبنيقه^(١)

فالضمير في (قرنَه) يعود على الدنيا ، وهو بهذا يشير إلى الأسطورة السامية الشائعة حيث الأرض

تحمل على قرن ثور.

وفي قوله :

فسرّ لكم وبُل المعاني معاني^(٢)

ارعود مزن هلّ (وبلّه) علاني

فالضمير في (وبلّه : وبلها) يعود على المزن.

وفي قوله :

يذبجونك يا غضيب الوالدينا^(٣)

ديرتي (دونَه) رجاجيل الحميه

فدونَه : دونها ، يعود الضمير على الديرة.

وفي قوله :

هالا يا مرحبا ترحبية ما (بَه) ردى وقصور

ولو مالي ذلول اتشكيل بالطاروق غرضاني^(٤)

فالضمير (بَه) : بها ، يعود على الترحبية.

ويقول :

(١) المرجع نفسه ١٣٢ والكم والبنيقة للثوب فصيحتان.

(٢) ديوان المظلوم ١١٦ علاني : علانية.

(٣) المرجع نفسه ١٧١ رجاجيل : رجال.

(٤) المرجع نفسه ١٧٦ (تشيل : تحمل ، الطاروق : الطريق ، غرضاني : أغراضني).

ردة من هاجس اللي مثل راع الطاره قاضبه بيده ويديره بكل شعوره^(١)

فالضمير في (قاضبه ويديره) يعود على الطاره وهي مؤنث.

والضمير في كل ما قدمناه من أمثلة، قبله حرف صحيح متحرك، وهو لا يناقض تفسير أسلافنا (نقل حركة الهاء إلى ما قبلها، وتسكينها بعد حذف ألفها)^(٢) ولكن لننظر إلى الظاهرة في أبيات أبي ماجد الآتية؛ حيث استخدم اللهجة نفسها مع (..ها) وما قبلها (ألف مد: أي ساكن) وهو بالطبع استخدام المتكلمين بها، ولكنه استعمال لا يسري عليه تفسير (النقل) الذي أطلقه أسلافنا، ولكن يجوز أن هذا لم يصل إليهم، أو أنهم عدّوه تابعا للقاعدة الأصلية من باب السير على "وتيرة واحدة" لا سيما أن قاعدتهم تسري على حرفي المد الآخرين (ـي، ـو) فهم يقولون (البت وبوة، والبلده وقاضيه): البنت وأبوها، والبلده وقاضيه، مما يرجح أن ألف المد استثناء خاص من القاعدة؛ لتعذر ظهور الحركة عليها.

وهذا يقودنا إلى سؤال هام، وهو: كيف تفرق هذه اللهجة بين المذكر والمؤنث حينئذ؟ والجواب من شقين: الأول: أن يكون ضمير الغائبة (...ها)، أو ضمير الغائب المذكر (..ه) مسبوقين بغير ألف المد، ففي هذه الحالة تفرق بينهما حركة ما قبل الضمير، فهي فتحة دائماً قبل ضمير الغائبة المنصوب والمجرور، وضممة دائماً قبل ضمير الغائب المذكر المنصوب والمجرور (أكرمّه، أكرّمه، / له، له). الشق الثاني: أن يكون ما قبلهما ألف مد بحيث تتعذر الفتحة أو الضمة عليها، وهنا تسلك اللهجة تفريقاً آخر، فتبقى هاء الغائبة ساكنة بعد ألف المد (قفاه: قفاها، عصاه: عصاها). أما مع هاء الغائب المذكر فيأتي بعد ألف المد واو وبعدها - فيما يبدو - هاء غير واضحة دائماً، ولعلها نتيجة الوقف (السكت) فيقولون (قفاو، عصاو - أو - قفاوه - عصاوه: قفاه وعصاه) ولعل هذه الواو بقية الضمير (هو) من:

(١) المرجع نفسه ١٥٥ وقاضبه: ماسكها، (قلب مكاني عن قابضها).

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في بحث الظاهرة تاريخياً.

(قفاهو ، عصاهو) فحذفت الهاء ، ويجوز - وهو في اعتقادي مرجوح - أن يكون في الضمير تقديم وتأخير (فعصاوه) عصاهو : قدمت واو (هو) على هائه.

بعد هذا الإيضاح نعود إلى اللهجة بعد ألف المد ، يقول أبو ماجد :

لا نور لا بنور لا حور لا عين لا نور لا بنور لا حور لا عين^(١)

فالضمير في (لولاه) يعود على محبوبته (لولاها) وهو نفس مرجع الضمير على اللغة المشتركة (عينها).
ويقول :

واردع النفس إن (تمطّاه) الزّرم لا تقول القذف أخير من السكات^(٢)
(تمطّاه) تمطّاه (أي) النفس.

ويقول :

الليلة الملعبة بيني وبينك عدلها ما يميل

الشان بالشان والملهم إلى سمع النتيجة (غذاه)^(٣)

(غذاه) : غذاها ، يعود الضمير على النتيجة.

وممن وردت له أشعار في هذا الديوان ، واستعمل هذه اللهجة الشاعر (القرني) وهو من عنيزة
بالقصيم ، حيث يقول :

نهضت بواجب ما قام به قبلك ولا رجال

لما جبت الذهيبه يوم عجز حمود عن (جيبه)^(٤)

ف(جيبه) جيبها ، من جاء بها ، والضمير يعود على الذهيبه (المفقودة).

(١) ديوان المظلوم ٦٨ .

(٢) ديوان المظلوم ٧٩ .

(٣) المرجع نفسه ١٦٣ .

(٤) المرجع نفسه ١٦٧ .

ويقول أيضاً:

سلام رديه (دمه) و(فرثه) حلال كل إلى أوحى بها يشفق على ذوقها
لا شك ما ظن (تحصيله) على كل حال أخاف سوق الغلا يثر على سوقها^(١)
فاستخدم اللغتين المشتركة (بها، ذوقها، سوقها) ولهجته الخاصة، (دمه: دمها، فرثه: فرثها،
تحصيله: تحصيلها) وهذه الضمائر كلها تعود على مؤنث واحد (الرديه).

وممن وردت له أشعار في الديوان المشار إليه الشاعر: أحمد الناصر من أهالي الزلفي وهي بيئة
لا تستعمل هذه اللهجة، وهنا تحسن المقارنة بينه وبين الشاعر القري - نستبعد صاحب الديوان أبا
ماجد؛ لأن له النصيب الأوفر من الأشعار الواردة فيه - فأحمد الناصر قد ورد له بالديوان أشعار
تفوق في كثرتها أشعار (القري) أضعافاً مضاعفة، ومع ذلك فأحمد الناصر لم يستخدم هذه اللهجة
إلا مرة واحدة في قوله:

عن طويلات العلوم الفايده (باقصاره) والذهين اللي يشاور ما يسده شوره^(٢)

فقوله (باقصاره): قصارها (قصارهن) أي: طويلات العلوم، على حين استخدمها القري وهو من
الناطقين بها أربع مرات في ثلاثة أبيات، وهذا يدل على أن أحمد الناصر قد استعملها للضرورة
الشعرية، وهو الأرجح، أو لمجازاة من يخاطب من الناطقين بها، وما يقال عن أحمد الناصر يصدق
إلى حد ما على الشاعر: عوض (مع قلة شعره في الديوان) حيث استخدمها مرة واحدة:

النار حذرى (لا تطبه) حيه (تراه) تحرق من يوقع فيها^(٣)

فاستخدم اللغتين: المشتركة (فيها) واللهجة (لا تطبه: تطبها، تراه: تراها) والضمير في كل ذلك يعود
على النار، مع أن أهل السيل قرب الطائف لا يستعملون هذه اللهجة. كما وردت في أشعار قليلة في
الديوان للشاعر (ابن ثعلي) ولعله من بادية القصيم، والبادية هناك - كما قلت آنفاً - لا تستخدم هذه

(١) المرجع نفسه ١٦٨.

(٢) ديوان المظلوم ١٥٥. والذهين: المنتبه الذهن، صيغة مبالغة.

(٣) المرجع نفسه ١٧٣ حذرى: حذار، تطبها: تسقط فيها.

اللهجة بصفة مطردة كما يصنع حاضرة القصيم، إلا أن ورودها في شعره أمر وارد، وقد استخدمها مرة واحدة في قوله:

أنا وياك (هاته) دام كل الربع يوحون واخل الحبل لين لا يعود قطعتين^(١)

فقوله (هاته) يعود على مؤنث سابق في شعر أبي ماجد في مساجلته (رديه) معه.

والظاهرة في شعر النبط القصيمي أكثر من أن تحصى؛ لأنها هي المطردة في كلامهم، ولو نظرت

على سبيل المثال إلى قصيدة (الخلوج) لمحمد بن عبد الله العوني لوجدته يستعملها كثيراً، من ذلك:

كم قلت (له) يا ناق بسك من البكا	وُلِّي خَلُوجَ خَبَثَ البين فـالها
ولا حُدْ جَزَعٍ من (صيحته) يوم صبحت	ولا حد نشد من عقبنا وش جرى لها
قتل كل بلدان القصيم وغيرها	عن الخوف زاموا (دونه) رجالها ^(٢)

فقوله (له = لها) و (صيحته = صيحته) و (دونه = دونها). مع أنه استخدم (غيرها) من غير حذف.

ويقول القاضي من أهل المنطقة (من عنيزة) أيضاً:

الحمره تدرك معوشة (عياله) وإلا الرجل يبغى منه بعض الأحوال

(عياله = عيالها). وعلى كل فهي مستفيضة في أشعارهم.

ب. منطقة حائل:

وكما فعلت مع الظاهرة في الشعر بمنطقة القصيم، حيث تتبعت الظاهرة في ديوان شعر، كذلك أفعل

معها بمنطقة حائل.

(١) المرجع نفسه ١٧٨.

(٢) السعيد، الشعر النبطي ٥٤ و ٨٣.

وقد وقعت يدي على ديوان: شاعر الجبلين لعبد العزيز بن عبد الله الجريفاني من أهالي مدينة حائل، وهو يعني بالجبلين (أجا وسلمى). وهذا الديوان على غرار الديوان السابق يشترك مع صاحبه شعراء آخرون يذكرون فيه؛ لمناسبة تتعلق بأشعار صاحب الديوان، ولكن هؤلاء الشعراء أقل نسبة في ديوان شاعر الجبلين منها في ديوان مظلوم.

الجريفاني في ديوان شاعر الجبلين، استخدم (..ه: ها) في شعره خمساً وأربعين مرة، واستخدمها بعض الشعراء المشاركين مرتين.

يقول الجريفاني:

والمنطقة (كله) يجونك وفودي^(١)

أهل الجبل يستقبلونك بتأييد

(كله): كلها، يعود الضمير على المنطقة.

ويقول:

ابنودها مرصوصة تبي الانجاز
أنته فهدنا وأنت نسل الفهودي^(٢)

حاييل لشيء من المشاريع تعزاز
(خله) تضاهي المدن في نجد وحجاز

(فخله) يعود على حائل التي أنثها ب (تعزاز، ابنودها) وهذا يعني أنه استعمل اللغتين.

ويقول:

جاله مجال وقلتها لجل الاسماع^(٣)

قضية أبناء العروبة بالإجماع

(حاله): جاء لها) أي القضية.

ويقول:

في طلعة (ظله) كبير تشره^(٤)

قبلة جبل سبا ورا نايف الجال

(١) ديوان شاعر الجبلين ١٣.

(٢) ديوان شاعر الجبلين ١٣.

(٣) المرجع نفسه ١٤ و لجل: لأجل.

(٤) المرجع نفسه ٢٢ وتشره: تنشره.

أي في (طلعة ظلها).

ويقول:

وبرقية مستنظرين (جوابه)^(١)

يا بو منيفة جاك مني مكاتيب

أي جوابها يعود على البرقية.

ويقول:

يفزع بماله فزعة ماهقا (به)^(٢)

كم مرة حلت علينا مطالب

فالضمير في (به) يعود على فزعة.

ويقول:

علة ما (له) سوى رب البرية^(٣)

تشتكي من شيء ماهو بالأأيادي

(ما له) أي مالها، يعود على العلة.

حمرا ليا طال المدى ما تبدي

ما (عليه) إلا الخرج والدل والكور

والضمير في (عليه) عليها يعود على الناقة المركوبة في قوله قبله:

(امضربه) عسافها للغديري^(٤)

يا راكب اللي كوعها ما يجي الزور

ثم إنه في هذا البيت قد استخدم اللغتين (امضربه): مضربها عسافها، يعود الضمير أيضاً على الناقة المركوبة.

ويقول:

وحنا (هله) نستري في كل عاني^(٥)

حايل ترحب بالذي (جاه) زوار

(١) المرجع نفسه ٢٥.

(٢) المرجع نفسه ٢٥ والبهوة: الظن فصيحة.

(٣) المرجع نفسه ٣٨.

(٤) ديوان شاعر الجليلين ٤١ ومضربها: قد دربها.

(٥) المرجع نفسه ٤٤ جاه: جاءها، نستري في كل عاني: يسرنا كل قاصد لنا.

(فجاه) الضمير يعود على مؤنث (حائل) وقد أنثها بقوله (ترحب)، وقد وقع الضمير كما نرى بعد ألف مد الذي سبق أن أشرنا إليه، واستعمله مرة أخرى (هله) أهلها.
ويقول:

وشفنا الحبارى تدرج وسط ريزان في سهلة ما حال (دونه) خريبي^(١)
فالضمير في (دونه: دونها) يعود على السهلة.
ويقول:

لي بلاد بين سلمى والجبل فيها عذب الميّ والجو اللطيف
ريحة (اسواقه) مثل ريح النفل يا عساها السيل من وسم وصيف^(٢)
فالضمائر (فيها، اسواقه: أسواقها، عساها) كلها تعود على البلاد، ولكنه جمع بين اللغتين في استعماله.
ويقول:

قلت الزبيديّة بخطو القراره تسوى خياش وسط دارك (تحطه)
يا حلو (تنيشّه) براس قاره هذي نبرح (له) وهذه نبطه^(٣)

فالضمير في (تحطه: تحطها) يعود على الخياش، أما الضمائر في (تنيشّه: تنيشها، له: لها، نبطه: نبطها) فتعود على الزبيدية وهو نوع من الكمأة.
ويقول:

والعيون ادموعها قامت (تهله) مثل سحب (حدره) رب سماوي^(١)

(١) المرجع نفسه ٤٨ الحبارى: نوع من الطيور، تدرج: تتدرج (تمشي)، ريزان: روضة، سهلة: أرض دمتة، خريبي: خراب (أبنية وعمران).

(٢) المرجع نفسه ٤٩ الميّ: الماء.

(٣) المرجع نفسه ٥٤ خطو القراره: بعض منابت الكمأة، تنيش: تفتيش، قاره: مرتفع من الأرض: نبطه: نخزه.

فأتي بالضمير (دموعها) على اللغة المشتركة، ولكنه في (تهله: تهله) ويعود الضمير على الدموع،
وفي (حدره: حدرها) ويعود الضمير على السحب نراه عاد إلى لهجته.
ويقول:

علة بالصدر ما كل (يحلّه) كود من حطه ربنا يرحم وياوي^(٢)
فمرجع الضمير في (يحلّه: يحلها) هو العلة.
ويقول:

ونيت أنا ونة ولا حد فطن (له) تجذب معاليق الضماير من اقصاه
الكبد (كنه) تنصهر فوق مله والعين عيت تقبل النوم لا جاه
يا بو عزيز شوفتك ما (نمله) هي الذي تجلى عن القلب ما جاه^(٣)

فالضمير في (له: لها) يعود على الونة، والضمير في (كنه: كأنها) يعود على الكبد، والضمير في (نمله)
يعود على الشوفة.
ويقول:

قلبي غدت به هواويه يا ليتني من بني (عمّه)
والعنق يا عنق ريميه لا سمعت الرمي من (يمّه)^(٤)

ف(عمّه): عمها يعود الضمير على هواويه وهي الميالة للهوى، والضمير في (يمّه: يمه) يعود على
الريمية لأنه أيضاً أنث (سمعت).
ويقول:

(١) ديوان شاعر الجبلين ٥٩ حدرها: أنزلها.

(٢) المرجع نفسه ٥٩ كود: إلا.

(٣) المرجع نفسه ٦١ ويلاحظ أنه استعمل الذي بدل التي؛ لأنهم لا يستعملون الأخيرة.

(٤) المرجع نفسه ٦٦ وقد لاحظت كثرة وجود الظاهرة في القصيدة، ولكن بعضها فيه التفتات.

لا بغيت الوساطة ما لقيت اللي يفيد
ما لقيت إلا عجوز تكز (ابنيته)
خايف تلقى الذي (ينشده) وش هي تريد
ثم تخبر كل من (نشده) عن (نيته)^(١)

فأعاد الضمير في (ابنيته: بنيتها) إلى العجوز، وكذلك هي المرجع له في (ينشده: ينشدها). (نشده: نشدها)، (نيته: نيتها).

ويقول:

تهز (كتفه) طرب والمشي بفنوني
والفن يزهي الذي يستاهل فنونه^(٢)
و (كتفه: كتفها) يعود الضمير على المتغزل بها والتي قال عنها (تهز).

ويقول:

والعجز من روي لهن ماهوب ماجور
الاجر باللي تبتسم لي (بسنه)^(٣)
ف(سنه: سنها)، فالضمير يعود على التي تبتسم.
وفي الرياضة يقول:

الرياضة (له) ميادين اكار
بالقدم ما نكتفي يا سامعين^(٤)
فالضمير (له: لها) يعود على الرياضة.

ويقول:

قلب الخطا وثيرك سبة عذابي
العين لولا القلب (شوفه) سراي^(٥)

(١) المرجع نفسه ٧٧ وتكز: تبعث.

(٢) ديوان شاعر الجليلين ٨١.

(٣) المرجع نفسه ٨٨ ماهوب: ما هوب، العجز: العجائز.

(٤) المرجع نفسه ١٠٩.

(٥) المرجع نفسه ١١٦.

(شوفَهْ : شوفها) أي العين.

ويقول :

ودنياك هذي (تاليَهْ) شبر خاما^(١)

ما دبر المولى على العبد كاين

فالضمير في (تاليَهْ : تاليها) يعود على الدنيا.

ويقول :

والثانية جرح الغضي مايطيب^(٢)

بي علتين علة (بَهْ) امراجاة

فالهاء في (بَهْ : بها) تعود على العلة.

وفي فلسطين السلبية يقول :

خذوا بني صهيون كل اديارها

هذي فلسطين الجريحة (لَهْ) ونين

نسوانها وصغارها واكبارها^(٣)

خلو (هَلَهْ) وسط الخيام مشردين

فقد أعاد الضمير على فلسطين مرتين بلهجته الخاصة (لَهْ : لها ، هَلَهْ : أهلها) وأعاده أربع مرات باللغة

الفصحى (المشتركة - الأدبية) ديارها ، نسوانها ، صغارها كبارها. وفي (ملكة الجمال) لا يرى فيها

جمالاً ، فيصفها حسبما يرى هو ، ويكثر من استعمال الضمير على نط لهجته ، ونكتفي ببيت فيها :

وسنونها كنهن ظلفين (وخشمَهْ) مثل ثعبه الدله^(١)

(١) المرجع نفسه ١١٧ .

(٢) المرجع نفسه ١٢٦ المراجاة : الرجاء ، والغضي : المحبوب ، ويستحسن منهن الإغضاء حياءً .

(٣) ديوان شاعر الجبلين ١٣٠ .

فالضمير في (خشمه : خشمها) يعود على ملكة الجمال.

أما الشعراء الذين اشتركوا معه في الديوان لسبب من الأسباب، فقد طرق الظاهرة - موضوع الحديث - اثنان فهما، ولا أعرف عن بيئتهما شيئاً، الأول ناصر القحطاني :

مدة شهر ساهر فوق الوسادي كن رجلي (بنهشَه) داب وحيه^(٢)

ف(بنهشَه : ينهشها) يعود الضمير على الرجل. والثاني الفريسي :

أنا من اللي يفتخر فيك باقرار مودتك بالقلب (حابه) لساني^(٣)

فالضمير في (حابه : جاء بها) يعود على المودة.

انتهيت الآن من ديوانين : ديوان مظلوم لأبي ماجد من عنيزة بالقصيم ، وديوان شاعر الجبلين للجريفاني من مدينة حائل ، وهذان الإقليمان القصيم وحائل تطرد فيهما الظاهرة - مدار البحث - في لغة الحديث اليومية.

ج - في سوريا ولبنان :

لقد تقدّم الكلام على أن الظاهرة في سوريا ولبنان تتأرجح بين الكثرة في بعض الأجزاء والاطراد في أجزاء أخرى ، فقد مر بنا أن رفائيل نخله اليسوعي يوحى كلامه باطرادها ، ولكن ما نسمعه من غالبيتهم لا يؤيده ، إذ هم يتمون في أحاديثهم العادية إلا نادراً في بعض الجمل : (إلت له) قلت لها ، ولكن هذا لا ينفي اطراها في بعض القرى كما أشرت إلى ذلك سابقاً. أما لماذا لم أقل في بلاد (الشام) وخصت سوريا ولبنان ؟ فذلك لأمر مقصود فعلا ، وهو إخراج فلسطين والأردن ، فقد تبعت الأشعار الواردة في كتاب (الأغاني العربية في فلسطين والأردن) للدكتور عبد اللطيف

(١) المرجع نفسه ١٣٩ .

(٢) المرجع نفسه ٣٨ والمعروف أن قحطان لا تستعمل اللهجة ، ولكن الأفراد يتقلون ، وقد رادف فالداب عندهم هي الحية.

(٣) المرجع نفسه ٤٤ . وعلى أي حال فهي مستفيضة في أشعار قبيلة شمر وأهالي حائل من ذلك - مثلاً - في غير هذا الديوان ، قول عبيد العلي

الرشيد : عن السعيد : الشعر النبطي ٥٠ ، ٨٠

نفسى تميني لرقى السنودي مع لابة توزي (نفوسه) على الكود

البرغوثي فلم أحصل على شيء من هذه الظاهرة إلا على عدد قليل سأشير إليه فيما بعد، وأحسبه ضرورة شعرية، ومما يؤيد هذا الترجيح أن المؤلف البرغوثي حينما مرت عليه في قول أحدهم: اتنادم (وليفاً بكلام اللطف والإحسان) علق على ذلك: "وليفاً: وليفاً، وكثيراً ما تحذف الهاء في مثل هذا الموضع في اللهجة اللبنانية"^(١) ومرت معه في قصيدة للشاعر اللبناني محمد مصطفى الصميلي من البقاع (خصرًا مضمراً)^(٢) ومرت أيضاً (ويلوح خصرًا)^(٣) وأيضاً (مثلاً)^(٤) أي خصرها، ومثلها في شعر لبناني، وقد اكتفى بالتعليق المشار إليه على واحدة منها.

وعلى الرغم من قوله إن الظاهرة خاصة لبنانية فقد وردت في أشعار أوردها ونسبها للضفة الشرقية وربما لم ينتبه لها، أو هو قد انتبه لها وعدها ضرورة شعرية، فقد جاءت في قول الشاعر:

واطلب فيها الحبه قالت غيرك ما (نالَه)^(٥)

وأيضاً في قوله:

والثانيا بنت عيونها جميلات لن اقبلت تضحك (بعينا وسنه)

فقد استعمل الفصحى في (عيونها) ولكن استخدم الظاهرة (ها: ه) بقوله (بعينا: عينها، وسنه: سنها) وقد نص على أنه من الضفة الشرقية.

ولما كنت أفتقر إلى دواوين شعر شعبي من سوريا ولبنان فقد لجأت إلى الأغاني الشعبية من هذين البلدين، من الإذاعات العربية المختلفة. فهذا وديع الصافي يقول في مطلع أغنيته:

قالت لي بالبيت قلت (لَه) يا ريت

(١) ص ١٩٣، والتعليق ٣٣١ لأنه يجعل التعليقات في الآخر.

(٢) ص ١٩٢.

(٣) ص ١٩٣.

(٤) ص ١٩٤.

(٥) ص ٢٣٣.

ف (لَه) لها ، وهو واضح. ونصري شمس الدين هو الآخر في أغنيته (يا زريف الطول) يقول في آخرها (... زعروره... ازوره) أي أزورها ، لأن الضمير يعود على (الزعروره). ومن (الزعرورة) إلى (الغندورة) حيث تغنى رندة قاتلة: عبود حابب غندوره (غيره) ما بدو. فالضمير يعود في (غيره) على الغندوره (غيرها). وفي أغنية لبنانية لا أعرف مغنيها ، ولكن مطلعها:

يا فراشه طيري عن (ثمّه) حلوه وصغيره شو (همّه)

ثم تستمر القافية فيها (... خصره... عطره... شعره). ويغني نصري شمس الدين أيضاً أغنية مطلعها: ها لقلب المشتاق ، يتردد في هذه الأغنية قوله (عينه: عينها) (حبه: حباها) وتغني صباح: لبنان الدني (الدنيا) كله أي كلها.

ومن لبنان إلى سوريا حيث يقول محمد جمال في أغنية له مطلعها:

عندي ها لقلب وما دري ما بفكر انه يرضيك

يقول:

وها الآهات (كله) مليانه

أي كلها.

وفي أغنية لطروب من سوريا مطلعها: (يا حلاق اعمل لي غره) تردد الفرقة المصاحبة لها:

ياحلاق اعمل (له) غره

أي لها وفي أغنية ثانية للمطربة نفسها مطلعها:

صف اسلاحك يا بوزيد.

يرد مقطع فيها يقول:

وعيونك عن دربي (رده)

أي ردها حيث الضمير يعود على العيون.

وفي أغنية ثالثة للمطربة ذاتها اسمها (علكورنيش) يرد المقطع الآتي:

(وتقولُه) دخلك يا شمس

فالضمير يعود على المحبوبة الموصوفة بأنها شمس.

وفي الحقيقة أن هذه الظاهرة في الأغاني الشعبية السورية اللبنانية لا يكاد المتبع يجد أغنية واحدة خالية منها، بل أحيانا ترد في المنثور الشعبي في تمثيلية دريد لحام (تخليصك يا وطن) يرد في الحوار:
- فتحوا (لُه) بطنُه. (لها بطنها).

ثم يرد: - نعم

- كلُه (كلها)؟

- كلُه كلُه : أي كلها كلها.

وفي أغنية من سوريا أيضاً، تردد الفرقة مع المغنية : دلال شمالي :

عاسروج الخيل يا غاوي

يا للي عا (شيلُه) ناوي

(برموشُه) تجرح وتداوي

ما (عندُه) سلاح تنزل لك

ومن الواضح أن (شيلُه، عندُه، برموشُه) تعني: شيلها، عندها، برموشها.

ويغني فهد بلان من سوريا قائلاً: سمرا سمرا مزبونه (وقدُه) ميال، أي قدها.

رأينا الظاهرة في الشعر الشعبي في كل من القصيم وحائل وسوريا ولبنان وهي وإن كانت غير مطردة في الأخيرتين إلا أنها مألوفة بسبب اطرادها في جهات منهما، وبسبب اطرادها في جمل معينة في اللغة الدارجة اليومية فيهما (إلت له) مثلاً، كل هذا يجعل الظاهرة كثيرة في هذه الأشعار الشعبية كثرة تخرجها من دائرة الضرورة الشعرية، وتجدر الإشارة أنهم في سوريا ولبنان يتراءى لك أنهم ينطقونها كأهل الموصل بنقل حركتها إلى ما قبلها (فتحة) ثم يمدون الفتحة من غير هاء. ويحتمل أن

تكون المدة هي الهاء ساكنة وقد تلاشت الهاء. ولكن هل يعني هذا أن الاستعمال الفصيح (ها) في الأشعار الشعبية بهذه البلدان هو الضرورة الشعرية فيهما؟

والحق أن الاستعمال الفصيح (ها) في هذه الأشعار يوازي أو يفوق استعمال اللهجة (ها: هـ) حتى في المناطق التي تغطيها مثل القصيم وحائل في لغة الحديث اليومي، وهذا يعني أن لغة الشعر غير لغة المنشور عموماً، وكما ينطبق هذا على الشعر الفصيح فهو ينطبق ولا شك على (الشعر الشعبي)، ولعل من أسبابه العديدة كون الشاعر راوية أيضاً، يتمثل أشعار الآخرين، ويتأثر بهم، وبعضهم من خارج منطقته، ولكن اللهجة الخاصة لها تأثيرها على الفرد، فمهما تأثر بلغة الشعر المشتركة، تبقى الهيمنة لسليقته اللغوية ومن هنا كثرت هذه الظاهرة اللغوية في أشعار هؤلاء كثرة لا يمكن تسميتها بأنها ضرورة شعرية، ولكي يتضح لنا ذلك جلياً يحسن أن نتبع الظاهرة في دواوين شعراء شعبيين من مناطق لا تستعمل هذه الظاهرة، وهم من سدير في نجد ومن الكويت.

: :

وهو ديوان جمعه عبد العزيز محمد الأحيدب. وردت (ها: هـ) في هذا الديوان ست مرات لابن جعيثن بصورة واضحة لا تحتمل الالتفات من المؤنث إلى المذكر والعكس - وهي عادة في الشعر النبطي - أشرت إليها أنفأ، ووردت للشاعر نفسه أيضاً مرتين آخرين ولكن بصورة يرد عليها احتمال الالتفات.

كما وردت في هذا الديوان مرتين لشاعر آخر هو (خلف الجويعان) ولا أعلم في الحقيقة من أي منطقة هو؟.

يقول ابن جعيثن :

ضحكت وخذقت الهموم بوصلها (توه) تبين هرجها وعجوبها^(١)

ف(توه) توها وهو واضح (ضحكت، خذقت، وصلها، هرجها، عجوبها) كلها مؤنثة.

ويقول:

قمت اطوح ونة اللي به أفروج من غزال عنقها عنق الإبريق
ريح عطر الشام من (فاهه) يفوح وطيبها العنبر إيجاب لها عتيق^(١)
فالضمير في (فاهه) يعود على الغزال المؤنث عنده (عنقها، طيبها، لها).

ويقول:

سقى الله دارهم من كل رايح تشوف نخيلهم (حمله) اركومي^(٢)
ف (حمله : حملها) يعود الضمير على النخل.

ويقول:

ويلا (إلى) حرقت فوق الشعلة ما يلقط (شينه واعدوفه)^(٣)
ف(شينه واعدوفه : شينها واعدوقها) بدليل قوله (حرقت) يعني القهوه.

ويقول:

نبي مكان يحفظنا سيله مسلود معباره
دونه جدران مبنيه والظبه يا قوى (اوساره)^(٤)

(أو ساره : أو سارها) يعود الضمير على (الظبة) في الباب.

ويقول:

(١) ص ١٨٦ ، به أفروج : مريض الصدر.

(٢) ص ١٨٤ .

(٣) ص ٢٠١ .

(٤) ص ١٩٩ .

خف الله ودع عنك ما مضى ولا تامن الدنيا (مداه) قصير^(١)

فالضمير في (مداه) أي (مداها) يعود على الدنيا.

أما الحالتان اللتان تحتملان تغيير الشاعر أسلوبه من المؤنث إلي المذكر أو العكس ، فذلك في قوله :

لها عنق وعرنين وعينا وخذ (له) كما برق المخايل

(نخبه) دايم وابها بلينا حبيبي قال لي وش انت قايل^(٢)

فقد أنث في قوله (لها عنق ، وابها بلينا) ولكنه قال (له ، نخبه) فهل هي (لها ونخبها). يجوز ذلك لتتماشى مع التأنيث ، ولكن الالتفات إلى التذكير وارد لأنه ذكر (حبيبي قال...).

وقوله : صفا ماها واحبيباته واحطيه خوص السفافه^(٣)

ف (صفا ماها) يعود الضمير على القهوة وهو واضح ، ولكن (حبيباته) هل حبيبات القهوة. فتكون (حبيباته) : حبيباتها ؟ أم حبيبات صاحبها ، وحينئذ يكون الضمير لمذكر وربما يرجح الأخير قوله (واحطيه) فالضمير راجع لصاحب القهوة لا غير. أما خلف الجوبعان في الديوان نفسه ، فقد استعمل اللهجة (ها : ...ه) مرتين ، مرة بصورة لا تحتمل غيرها وذلك بقوله :

وما سقيت أعداك من حوض الإدراك سدت الجزيرة وأخضعت لك (جميعه)^(٤)

ف(جميعه) : جميعها ، يعود على الجزيرة ، وقدم قبلها (خضعت) ، وأما المرة الثانية فمرجحة ولكن الاحتمال وارد ، وذلك بقوله :

المملكة لبست ثياب جديدة وأضفت على شعبك فاخر (ثيابه)^(٥)

(١) ص ٢٠٣ .

(٢) ص ١٢٦ .

(٣) ص ٢٠٠ .

(٤) ص ٧ .

(٥) ص ١٥ .

ف(ثيابه : ثيابها) والضمير يعود على مؤنث هو المملكة، ويرجحه (أضفت)، ويحتمل أن الضمير (ثيابه) يعود على الشعب.

: : ()

جمع هذا الديوان عبد الله ناصر الصانع، ويشترك معه غيره من الشعراء للمناسبة، شأنه في ذلك شأن دواوين شعراء النبط.

والشيء اللافت للانتباه أن صاحب الديوان (البدال) لم يستعملها قط في هذا الديوان، ولكن استعملها اثنان من المشاركين في الديوان، وهما محمد السديري من أهالي منطقة سدير في نجد، وعيد سيف الدوسري، والدواسر - عادة - ينتشرون في واد خاص بهم (وادي الدواسر) في جنوبي نجد، وفي المنطقة الشرقية (الدمام والبحرين) وما جاورهما، إلا أن الأفراد لا يمكن الحكم ببلدانهم إلا بمعرفة خاصة بالفرد، ولا أعرف (عيدا) من أي بلد هو.

يقول محمد السديري :

من حب خولان الخضر (حطه) اجزاف أحمس ونظفها عن الجمر تنظيف^(١)
و(دقه) بنجر تالي الليل رجّاف ويا حسين لقمها بيض مهاديف

فقوله : (حطه) و(دقه) الراجح أنهما (حطها) و(دقها) والضمير يعود على القهوة، بدليل تأنيثه لها (نظفها ولقمها)، وبعيد في اعتقادي أن الضمير في (حطه ودقه) يعود على مذكر هو (حب خولان).
أما استعمال عيد الدوسري فهو :

(١) ص ٥٤، وخولان مكان باليمن يحمل اسم قبيلة، يبدو أنه مشهور عندهم بإنتاج البن الجيد، والنجر: الهاون الذي تسحق به القهوة.

سقوى ليا من قام ثم جابها لي جاب الذي (عينه) هديها مرايش^(١)

فالضمير في (عينه: عينها) يعود على مؤنث (هدبها مرايش).

ولا شك أن سؤالاً يبقى معلقاً، وهو عدم ورودها في شعر مرشد البذال العازمي، وللتأمل في

الإجابة على هذا أورد الملاحظات الآتية:

١- لن يدخل في المقارنة شعراء المناطق التي تطرد فيها الظاهرة، على أساس أن استعمالهم لها سليقة لغوية، أما الشعراء الذين استعملوها من مناطق لا تستعملها، فبعضهم لا نعرف أماكنهم، ومن نعرف منهم مثل: ابن جعيش، ومحمد السديري، وأحمد الناصر، وهم جميعاً من إقليم سدير وهذا الإقليم وإن كان لا يستخدم اللهجة، فإنه مجاور للقصيم الذي يستعملها من جهة الجنوب، ثم يضاف للمجاورة الضرورية الشعرية وهذه الضرورة هي التي أملت على شاعر مثل عوض من أهل السيل (قرب الطائف)، ثم إن عوضاً ربما سمعها من محاوره (أبي ماجد) القصيمي فقلده.

٢- الشعراء بطبيعتهم رواة يحفظون ويرددون ويحاكون أشعار الآخرين، وهذه الأشعار المروية تحمل لهجات مختلفة تخالف لهجاتهم الخاصة، مما يجعلهم يتأثرون بلغتهم الخاصة لكن ليس بمعزل عن مروياتهم، وما تحمله من لهجات، مما ولد لغة مشتركة - أو تكاد - بين هؤلاء الشعراء يكون من حقهم الخروج على لغاتهم الخاصة دون حرج أو غضاضة، وهو شيء غير متسامح فيه معهم من قبل مجتمعهم لو راموه في لغة الحديث اليومي، والدليل على أن هذه الظاهرة معروفة لدى هؤلاء - على الأقل - ضرورة شعرية، الدليل وجودها في أشعار نبطية قديمة وحديثة، لشعراء مناطق ليست مطردة فيها، فمن الشعر النبطي القديم يقول (مجهول) يمدح بركات الشريف:

ياما تحمل خصرها من ردفها ضيم إلي قامت تقوم وتقعدا

(١) ص ٢٦، ومرايش: رموش ظاهرة الحركة لطولها، وقد استعمل: الذي بمعنى التي وهو شيء مألوف عندهم وقد استعمله الجريفاني فيما مضى وأشارت إليه.

(لَه) مثل غصن الموز ساق ناعم بحل به الخلخال جصّ وغردا^(١)
فالضمير في (لَه) يعود على مؤنث (لها) لأنه أنث (خصرها، ردفها، قامت، تقوم، تقعد).
ويقول جري الجنوبي وهو فيما ذكروا من أهالي سدير:

يا سيف دورّ لي مع الورد بكره لعل البكا عن ناظري يهون
تراها الذي ضيعت في وادي الغضا غزال هنالك دون (قتلَه) دون^(٢)

فالضمير في (قتلَه) قتلها) يعود على البكرة، وقد استخدم الاستعمالين (تراها، قتلَه).
وفي الحقيقة أنني لم أجد في ديوان (خيار ما يلتقط) لهذه الظاهرة غير هذين المثليين، علما بأن هذا
الديوان يختص بأشعار النبط القديمة نسبياً حيث مضى على بعضها أكثر من أربعة قرون.
ويقول حميدان الشويعر وهو من أهالي سدير، ومن أهل القرن الثاني عشر تقريباً:
لا قالت عجل جا يركض دايماً ما يظهر من (شورَه)
والزبده تجرعها عدله تبي (بَه) صنوق وحروره^(٣)

(١) الحاتم: خيار ما يلتقط من شعر النبط ١٠/١، بجلّ: متورط، وجصّ: ضج (قلب مكاني)، ومثله قول فهد بن عويد:

يا بكرتي اللي غدت ما (لَه) اسناع حمرا فتاة و(راعيَه) ما وسم (لَه).

وقول الآخر: عضنتي الداب (وانيابَه) مشاويك والله وقاني عن أسباب المنيه

(٢) الحاتم: خيار ما يلتقط من شعر النبط ٣٥/١، من عادة شعراء النبط الكناية عن المحبوبة بالبكرة، ونراه استعمل (الذي) بمعنى التي مما يدل على قدم الاستعمال بينهم.

(٣) الفرج: ديوان النبط ٥٠/١، وقد ذكر الفرج في ٣٣/١ بيتاً آخر لحميدان الشويعر هكذا:

يا عاشق كل خود مليحه هتوف غنوج (بخدها) رقايم.

والحقيقة أن البيت ينكسر إذا روى ب(خدها)، ومن هنا أعتقد أنه (بخده)، وربما أن الرواة في الخليج والفرج منهم يروونه (خدّها) الدال غير مضعفة، وهي كذلك في لهجتهم، وعلى هذه الرواية لا ينكسر. وعند الفوزان، صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر، رئيس التحرير: حميدان الشويعر ١٤٣ (بخده) أي بخدها.

فالضمير في (شورَه) وفي (بَه) يعود على زوجة ابنه (شورها، بها) وقد انتبه الفرج إلى الضمير في (شورَه) فعلق عليه قائلاً: "وهو هنا يستعمل لغة أهل القصيم في ضمير المؤنث، فهم يفتحون ما قبل الضمير للمؤنث"، ولو وقفنا بعض الشيء مع شعر هذا الشاعر (حميدان) لوجدناه يستعمل هذه الظاهرة بشكل يلفت النظر، مع أنه ليس من أهلها، ربما يكون ذلك من باب الضرورة الشعرية، من ذلك قوله:

لا تضم التي ما تخلي الرفيق حيثما غاب (رَجَلَه) فهو يحضر^(١)

أي: رجلها.

وقوله:

مزيت (ريقَه) عسى ما يفيد واغضبت ربك بهتك المحارم^(٢)

أي: ريقها.

وقوله:

غنين (ظليلَه) يطرب (مقيلَه) وسمعكم تمتع بصوت الحمائم^(٣)

أي: ظليلها، مقيلها.

وقوله:

ونومه مع خود ناعم زم (ابصدرَه) مثل الحقه^(٤)

أي: بصدرها.

وقوله:

لا حل القارص (بشفورَه) تريده يّرد ما فيها

(١) الفوزان، صحافة نجد المثيرة ١٢١.

(٢) المرجع نفسه ١٤٣.

(٣) المرجع نفسه ١٤٤.

(٤) المرجع نفسه ١٥٠.

تعبا المثلوثه من جهمه
من ليل يرعد (تنوره)
وتبج الكحله من بكره
تبي (به) حل (بختوره)^(١)

أي : بشفورها، تنورها، بها، بختورها.

وتخصيص الظاهرة بالقصيم ورد أيضاً عند ابن خميس ؛ حيث قال في الكلام على الظاهرة:
" وضمير المؤنث من هذا النوع يجعلنا نحكم أنه من شمال الجزيرة القصيم"^(٢). وقد رأينا أنها ليست
خاصة بالقصيم.

ويقول ابن السبيل وهو من أهل القرن الثالث عشر تقريبا من بلدة (نفي) جنوب غرب
القصيم، ويركب لغة البادية عادة:

أزوال واجد مير ماهيب مشهاه النفس ياقف (له) عياف (يدوده)^(٣)

فأعاد الضمير على النفس في (له : لها، يدوده : يدودها).

أما أهالي القرن الرابع عشر فكثيرون وحسبنا التمثيل فقط لمناطق لا تستعملها، من هؤلاء عبد
الرحمن البواردي من أهالي الوشم في نجد:

يا علي ليتك (تشوفه) عنقها عنق المهاة^(٤)

فقله (تشوفه : تشوفها) يعود الضمير على محبوبته التي عنقها عنق المهاة.

(١) المرجع نفسه ١٥٦. وتجدد الإشارة إلى أن هذه الأبيات من قصيدة واحدة، سبق أن أوردنا منها بيتين:

(لا قالت عجل جاء يركض

دايم ما يظهر من شوره)

وعندها رجل ثور جيّد

أجم يرعى في هوره

وفيها بيت ذكره الفوزان هكذا:

ولعله (عنده : عندها) لأن الوزن يستقيم أكثر.

(٢) ابن خميس: الأدب الشعبي في جزيرة العرب ٢٣٧.

(٣) الجهيمان: الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ٤٢/٢.

(٤) السعيد: الشعر النبطي ٦١، وفي ٨٢ لحمود بن سويط:

البارحة كل أول الليل أقول آه من علة باقي الملا ما درا (له)

وآل السويط شيوخ قبيلة الظفير، عدنانية الغالبية مالت إلى العراق مؤخرا.

ويقول عبد الله الثميري من المنطقة نفسها ، وهو معاصر :

فيا سامعني خذها مني نصيحة ما ابغى (بداله)^(١)

(بداله : بدالها) أي النصية.

ويقول شاعر من قبيلة عتيبة وهي لا تستعمل الظاهرة :

هذي طمية عن (مكانه) ما تغور (مغيبينه) في حفيظات الصدور^(٢)

فالشاعر يبدو أنه يرد على لغز و(مكانه: مكانها، ومغيبينه: مغيبينها) يعود الضمير على طمية.

٣- عدم استخدام مرشد البذال العازمي لها في ديوانه لا ينفي استعماله لها في أشعاره الأخرى ، هذا من ناحية ، ومن أخرى فهو من الكويت وربما تكون الظاهرة في الخليج العربي قليلة في أشعارهم المروية ، فهم لم يألفوها ، أضف إلى ذلك أن الشاعر (عازمي) من العوازم^(٣) ، وهم لا يستخدمونها في لهجتهم أيضاً ، ثم إن الذين يستعملونها من غير الناطقين بها ، يستعملونها على أنها ضرورة شعرية ، ومن الجائز أن البذال لم يضطر إليها في أشعار هذا الديوان أو في أشعاره كلها ، على الرغم من أنه يعرفها ، وقد وردت في ديوانه مرتين - كما ذكرت - لشاعرين سواه بشعر موجه إليه ، وهذا الأخير في رأبي هو الاحتمال الأقوى ؛ لأن الكويت أقرب إلى مناطق اطرادها من مناطق أخرى كالسيل مثلا (قرب الطائف) ، على أن القرب والبعد ليس دائماً هو المقياس الساري في الظواهر اللغوية.

٤- العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين ، لابن عقيل : يكاد يكون هذا المؤلف ديوانا لشاعر العجمان راكان ابن حثلين ، ولم أجد الظاهرة في شعر هذا الشاعر ، لأن قبيلته تشبه العوازم فهي

(١) جريدة الجزيرة (السعودية) عدد ٣٥٩٩ الاثنين ٢١ رمضان ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م (فوانيس).

(٢) مجلة العرب (السعودية) ج ٥ و ٦ ، س ١٥ ، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ، ص ٤٣٤.

(٣) العوازم: واحداهم عازمي قبيلة عربية كريمة الشمائل ، هاجرت في القرون المتأخرة من نواحي مكة المكرمة إلى الكويت ، ومالت للتحضر بعد نعمة (البتروك) ولها محلاتها المعروفة بها هناك (فريق العوازم) ، يلف الغموض تحديد انتمائها ، وقد خصها العبيد بمؤلف خاص : قبيلة العوازم ، كما خص لهجتها كثير من الدارسين لهجة الكويتية والخليج منهم : جونستون : دراسات في لهجات الخليج.

تسكن المنطقة الشرقية، وجزء منها في الكويت^(١)، ولكن المؤلف اشتمل على أشعار لغيره بسبب المناسبة، مثل حمود بن عبيد الرشيد من منطقة حائل وتغطيها الظاهرة حيث يقول:

أذهبت يام في قصيدك بحمراك (وبعته) برخص عقب ما انتب غلاوي^(٢)

أي: بعثها يعود على قبيلة يام.

ويقول:

يا ليل سلم لي على راكان سلم على زيزوم يام (واميرَه)^(٣)

أي أميرها يعود على قبيلة يام.

٥ - لو تأملنا الكثير من الأشعار السابقة لوجدنا الشاعر الواحد يستعمل الظاهرتين معاً (...ها، ...ه) ربما في بيت واحد أحياناً، وهذا يدخلنا في قضية قديمة حديثة، ألا وهي هل يستطيع الشاعر أن يستخدم لغتين؟^(٤).

(١) وللهجتها أيضاً خصائصها مثل العوازم، وقد هاجرت هذه القبيلة من نجران.

(٢) العجمان وزعيمهم ١٣١.

(٣) المرجع نفسه ١٥٤.

(٤) الحربي، الشاهد الشعري في النحو العربي (على الآلة الكاتبة) ٥٨٨/٢ وفيه بعض البسط ولا داعي لإعادته، فليرجع إليه من شاء. وقد استفدت منه.

الكتب:

الألوسي، محمود:

الضرائر وما يسوغ للشاعر. تح. محمد بهجت الأثري، بغداد ١٩٩٢م

الأحيدب، عبد العزيز محمد:

ديوان من الشعر الشعبي لشاعر سدير: إبراهيم بن جعيثن. مطابع الإشعاع بالدمام ط (١)

١٤٠٢هـ

الأستراباذي، رضي الدين:

شرح شافية ابن الحاجب. تح. محمد نور الحسن وزميليه، مطبعة حجازي - القاهرة ١٣٥٦هـ.

الأشموني، محمد بن علي:

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة (د. ت).

الأصبهاني، حمزة بن الحسن:

الدرر الفاخرة في الأمثال السائرة. تح. عبد المجيد قطاش. دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

د. أنيس، إبراهيم:

من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، ط (٤) ١٩٧٢م.

البذال، مرشد:

ديوان الشاعر: مرشد البذال (مج ٣) جمع: عبد الله ناصر الصانع، مطبعة حكومة الكويت

١٩٧٣م.

البرغوثي، عبد اللطيف:

الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن، المطبعة الشرقية العربية - القدس، ط (١)
١٩٧٩ م.

أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن سعيد:

الإنصاف في مسائل الخلاف. تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر،
ط (٣) ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

بروكلمان، كارل:

فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطابع جامعة الملك سعود - الرياض
١٣٩٧ هـ

البكري، أبو عبيد:

اللائى في شرح أمالي القالي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٤ هـ -
١٩٣٦ م.

تيمور، أحمد:

معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مطبعة الثقافة
بمصر ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

جبر، محمد عبد الله:

الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م

الجريفاني، عبد العزيز بن عبد الله:

ديوان شاعر الجبلين، مطابع الزايدى - الرياض ١٩٧٤ م

الجنابي، أحمد نصيف:

ملاح من تاريخ اللغة العربية. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١ م.

الجهيمان، عبد الكريم:

أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب. الرياض، ط. (٣) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

جونستون، ت. م.

دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد الضبيب. مطابع جامعة الملك سعود

- الرياض. ط (١) ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

الحاتم، عبد الله:

خيار ما يلتقط من أشعار النبط، مطبعة دمشق العمومية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

حجازي، محمود فهمي:

علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن. وكالة المطبوعات. الكويت ١٩٧٣م.

الحري، محمد بن باتل،

الشاهد الشعري في النحو العربي (رسالة دكتوراه - مطبوعة على الآلة الكاتبة) ١٤٠٧هـ -

١٩٨٧م.

حميد الله، محمد:

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر -

القاهرة ١٩٥٦م.

ابن خمس، عبد الله:

الأدب الشعبي في جزيرة العرب، مطبعة الترقى - دمشق، ط (٢) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

الرافعي، مصطفى صادق:

تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي بمصر، ط (٤) ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الزبيدي (الحسيني) محمد مرتضى:

تاج العروس من جواهر القاموس مطبعة صادر وبيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

السعيد، طلال:

الشعر النبطي، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨١م.

سيبويه، أبوبشر عمرو:

الكتاب. مطبعة بولاق.

ابن السيرافي، يوسف بن أبي سعيد:

شرح أبيات سيبويه، تح. د. محمد على الريح. دار الفكر - بيروت والقاهرة ١٣٩٤هـ - ١٨٧٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن

همع الهوامع. تح. د. عبد العال مكرم، وعبد السلام هارون ١٣٩٤هـ - ١٩٧٠.

شاهين، عبد العال:

الضرائر الشعرية في الشعر الجاهلي، دار الرياض ١٩٨٣م.

شرف الدين، أحمد حسين:

اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام ١٩٧٥م.

الطعان، هاشم:

الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة. مطبعة دار الحرية - بغداد ١٣٩٨هـ.

عبد التواب، رمضان:

فصول في فقه العربية. دار الحمامي للطباعة، بالقاهرة ط (١) ١٩٧٣م.

العبودي، محمد بن ناصر:

معجم بلاد القصيم. مطبعة نهضة مصر، ط (١) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل:

الأوائل. تح. محمد السيد الوكيل، مطبعة أسعد طربزونني الحسيني ١٣٨٥هـ

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد:

ضرائر الشعر. تح. السيد محمد إبراهيم محمد، بيروت ١٩٨٠م.

الشاذليات: أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود

ابن عقيل، أبو عبد الرحمن محمد:

العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين. مطبعة دار اليمامة - الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

الفرج، خالد:

ديوان النبط. مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

فليش، هنري:

العربية الفصحى. ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، ط (١) ١٩٩٦ م.

الفوزان، عبد الله بن ناصر:

صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر، رئيس التحرير: حميدان الشويعر. مطابع نجد -

الرياض ط (٢) ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

الماجد، علي عبد الرحمن:

ديوان مظلوم، مطبعة دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م.

المخزومي، مهدي:

في النحو العربي. مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

ابن منظور، محمد بن مكرم

لسان العرب. مطبعة بولاق بمصر.

الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد:

الأمثال (مجمع الأمثال). المطبعة البهية بمصر ١٣٤٢ هـ.

ناليو، كارلو:

تاريخ الآداب العربية. دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م.

النجار، محمد بن عبد العزيز:

ضياء السالك إلى ألفية ابن مالك. مطبعة السعادة بمصر ١٩٧٣ م.

نخلة، رفائيل :

غرائب اللهجة اللبنانية السورية. المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٢م.

ابن يعيش ، يعيش بن علي :

شرح المفصل ، المطبعة المنيرية بمصر (د.ت).

ب - المجالات والجرائد :

المجلات :

- مجلة التراث الشعبي (العراقية)، ع ٩ - ١٠ ، س (١)، مايس وحزيران ١٩٦٤م.

- مجلة العرب (السعودية) مج ٧ ، س ٧ محرم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. ومج (٥ ، ٦) س ١٥ عام ١٤٠٠هـ -

١٩٨٠م.

- مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، مج ٢٢ ، عام ١٩٦٧م.

الجرائد :

- جريدة الجزيرة (السعودية)، ع ٣٥٩٩ في ٢١ رمضان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- رسالة الجامعة (جامعة الملك سعود) بتاريخ ١/٦/١٤٠٤هـ.

مجيء النافي قبل القسم، وحذفه بعده

د. محمد بن باتل الحربي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية
كلية الآداب-جامعة الملك سعود

للقسم (الحلف) في اللغة العربية خصائص في ألفاظه وأسلوبه والزيادة فيه والحذف منه، ولهذا خصّه كثير من النحويين بعنوان مستقل يدرج تحته تلك المميزات، ولعل من أهم ما يلفت النظر فيه، مجيء أداة النفي قبل القسم من غير أن تنفيه على بعض الأقوال، أو العكس حيث تحذف أداة النفي قبل جواب القسم ولكن يبقى عملها، وهذا البحث سوف يتناول هاتين القضيتين، مع أن العربية يشاركها لغات أخرى في كلتا الحالتين.

* * *

القسم حلف يؤكد به صاحبه تأكيد شيء نفيًا أو إثباتًا وله ثلاثة أركان:

(١) جملة مؤكدة هي أقسم ونحوها.

(٢) مقسم به مما له منزلة كبيرة عند الحالف.

(٣) جملة مؤكدة: وهي المقسم عليها.

والحلف في اللغة العربية كثير الدوران على الألسنة، كبير الوظيفة في الكلام عند كل من السامع والمتكلم، لذلك نراهم خصّوه بمميزات عدة^(١)، منها ما نحن بصدد من ذكر حرف النفي قبل القسم المثبت، أو حذف حرف النفي من جوابه المنفي، وهاتان قضيتان مختلفتان من خصائص القسم:

:

هذه الظاهرة وردت في القرآن الكريم ثماني مرات، سبع منها^(٢)، كانت أداة النفي فيها جميعًا (لا)، وفعل القسم بعدها (أقسم)، وهذه هي الآيات: قال تعالى **فَلَا أُقْسِمُ**

(١) انظر على سبيل المثال: أبا علي الفارسي، المسائل العسكرية ص ٢٣١، والجرجاني، المقتصد مج ٢، ص ٨٦٢-٨٦٩، والزمخشري، المفصل، ص ٣٤٤، وابن يعيش، شرح المفصل مج ٩، ص ٩٠، ٩٣، وأباحيان، ارتشاف الضرب مج ٢، ص ٤٧٥-٥٠٠.

(٢) نصار، معجم آيات القرآن الكريم ص ص ١٠٠-١٠١، و ١٤٠.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

بمَوَاقِعِ النَّجُومِ [٧٥-الواقعة] فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ [٣٨-الحاقة] فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ [٤٠-المعارج] لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [١،٢-القيامة]، فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ [١٥-التكوير]، فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ [١٦-الانشقاق]، لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ [١-البلد]. وآية ثامنة سبقت (لا) فسما ليس بفعل وهي قوله تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ [٦٥-النساء]، ويلاحظ على سور هذه الآيات أنها كلها مكية، ماعدا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ فمدنية.

كما يلاحظ أنه حينما يتعدد المقسم به، ويختلف نوعه فإنه يكتفى بواو العطف من غير تكرار لفعل القسم المسبوق بلا النافية ويتمثل ذلك في الآيات: فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَّارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لِتَرْكَبِنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ، لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ولكنه في سورة القيامة وحدها حينما تعدد المقسم به كرر فعل القسم مسبقاً بلا النافية لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ .

وقد ذكر العلماء في هذا عدة أقوال منها :

أولاً: للحسن البصري قراءة شاذة فيها وهي (لأقسم ..) "على أن اللام للابتداء، وأقسم خبر مبتدأ محذوف معناه: لأننا أقسم، ويعضده أنه في مصحف عثمان بغير ألف [يقصد بعد اللام] ... وطعن أبو عبيدة في هذه القراءة، وقال: لو كان المراد هذا قال لأقسم [يعنى بلام قبل القسم ونون توكيد بعده]، لأن العرب لا تقول: لأفعل كذا [أي بلام قبل الفعل مع تجريد الفعل من نون التوكيد] وإنما يقولون لأفعلن كذا^(١). وقول أبي عبيدة "لو كان المراد هذا" أي الإثبات وهو ما تقتضيه قراءة الحسن هذه بحيث تكون اللام

(١) الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠ ص ٢١٥، وانظر هذه القراءة منسوبة للحسن عند الفراء، معاني القرآن مج ٣، ص ٢٠٧، والهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦، من غير عزو، وعزاها المرادي، الجني الداني ص ١٢٦ لابن كثير. وردها ابن الجزري، النشر في القراءات العشر مج ٢، ص ٢٨٢، إلى رواية قنبل.

جواباً للقسم دخلت على الفعل أقسم. وبمثل هذا قال الزمخشري على آية أخرى "لأنه لو كان إثباتاً [أي القسم] لم يكن بدّ من اللام والنون"^(١). وعلق ابن هشام على مذهب الزمخشري بقوله: هي لام الابتداء عنده، وهي لا تدخل على الجملة الفعلية، لذلك يقدر بعدها مبتدئاً محذوفاً، أي لأننا أقسم، ولم يقدرها لام القسم لأنها عنده ملازمة للنون. وذكر بعض الاعتراضات على هذا الرأي، مثل التكلف في تقدير المبتدأ المحذوف لغير ضرورة، بل لمجرد أن تكون الجملة اسمية يقصد بها الحال على مذهب البصريين^(٢). وقد صرح أبو علي الفارسي أن "لام الابتداء تختص بالدخول على فعل الحال عند النحويين، ولا تدخل على الآتي .. وإن كان متعلقاً بيوم القيامة"^(٣). ولكنه رأى مختلف فيه، وممن قال بدخولها على المستقبل ابن مالك^(٤). وما قال به أبو عبيدة والزمخشري هو الأكثر، وليس بل لازم إذ "إن الواحدى حكى جواز ذلك عن سيبويه والفراء"^(٥). وفي الحقيقة أن رأي سيبويه ليس صريحاً في هذا قال: "والأكثر كما خبرتك في اليمين، فمن ثم ألزموا النون في اليمين لئلا يلتبس بما هو واقع"^(٦). وقال أبو علي: "ذلك في أكثر الأمر"^(٧). وقال الجرجاني: "ألا ترى أنه لو كان إيجاباً لم يخل من اللام، أو من النون، أو منهما جميعاً"^(٨)، ثم مثل بقوله: تالله لبيقى، كما تقول تالله ليخرج زيد^(٩). وقال المرادي: "لأقسم ... لا يخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، فبقى أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ أو الخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر"، ثم يزيد "فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ليس على إطلاقه، بل هو مشروط عند القائلين به وهم البصريون بأن لا يفصل بين الفعل واللام بحرف تنفيس أو قد أو بمعموله فيمتنع حينئذ دخول النون ... وأما الكوفيون فإنهم أجازوا تعاقب اللام والنون، وأما في لأقسم بيوم القيامة فقد أوله بعض البصريين على

(١) الزمخشري، الكشاف مج ٢، ص ٣٣٩.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١، ص ٢٣٩-٢٣٠.

(٣) أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية ص ٢٥٣.

(٤) انظر، ابن هشام، مغني اللبيب مج ١، ص ٢٢٨ و ٢٤٤.

(٥) الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠، ص ٢١٥.

(٦) سيبويه، الكتاب مج ١، ص ٤٥٦.

(٧) أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية ص ٣٥٣، بل ذهب في ص ١٣١-١٣٣ إلى تأييد الأخفش بأن يتلقى القسم

بمضارع خال من النون، مسبق بلام كي، لا لام الابتداء، وانظر له المسائل البصريات مج ١، ص ٣٥٧.

(٨) الجرجاني، المقتصد مج ٢، ص ٨٦٦.

(٩) المصدر نفسه مج ٢ ص ٨٦٧، والمرتضى، أماليه مج ١، ص ١٦١ (حاشية).

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

إرادة الحال، وفعل الحال إذا أقسم عليه دخلت عليه اللام وحدها^(١). وهذا يعني أن اللام وحدها كافية إما على التعاقب عند الكوفيين أو على الحالية عند البصريين. وذكر العكبري هذه القراءة لأقسامٍ وخرّجها على وجهين:

"أحدهما: هي لام توكيد دخلت على الفعل المضارع كقوله تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** وليست لام القسم، والثاني: هي لام القسم ولم تصحبها النون اعتماداً على المعنى، ولأن خبر الله صدق فجاز أن يأتي من غير توكيد، وقيل شبهت الجملة الفعلية بالجملة الاسمية كقوله تعالى: **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**^(٢) وواضح أن تعليقات العكبري للوجه الثاني لا داعي لها مادامت اللام والنون راجحة لا لازمة كما أسلفت. ويظهر أن قراءة الحسن لأقسامٍ تشمل كل هذه الآيات إلا أن الرازي ذكرها في تفسير آية **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** أيضاً، قائلاً: "فيه وجوه منقولة ومعقولة غير مخالفة للنقل. أما المنقولة فأحدها أن (لا) ... أصلها (لأقسم) بلام التأكيد أشبعت فتحتها فصارت (لا) كما في الوقف"^(٣). وهذا يعني أن هذه القراءة (لأقسم) ردّ إلى الأصل ولكن ابن كثير ذكر ما يوحى بخلاف الاستنتاج حيث نسب قراءة **لأقسمُ بيوم القيامة** ولا أقسمُ بالنفس اللوامة إلى الحسن والأعرج، قال الحسن أقسم بيوم القيامة، ونفي القسم بالنفس اللوامة^(٤).

وإجمالاً يكون عندنا ثلاثة آراء: أولها: أنها لام الابتداء دخلت على جملة اسمية. وثانيها: أنها دخلت على الفعل مباشرة، وهي واقعة في جواب القسم. والثالث: أنها لمجرد التأكيد. وقد اقتصر ابن الجزري على كونها للتأكيد^(٥). وقد ضعف الرازي هذه القراءة بقوله: "وأعلم أن هذا الوجه، ضعيف، لأن هذه القراءة شاذة ... وإلا لكان ذلك قدحاً فيما ثبت بالتواتر، وأيضاً فلا بد من إضمار قسم آخر لتكون هذه اللام جواباً عنه فيصير التقدير: والله لأقسم بيوم القيامة"^(٦).

(١) المرادي، الجني الداني (النص الأول ص ١٢٦ و(النص الثاني ص ١٢٧) . بقي شرطان من شروط وجوب التأكيد عند البصريين لم يذكرهما اكتفاء بالمثل، وهما الاستقبال والإثبات، فإن خالف فشاذ أو ضرورة عندهم.

(٢) العكبري، إملاء ما من به الرحمن مج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) الرازي، التفسير الكبير مج ٢٩ ص ١٨٧.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم مج ٤ ص ٤٤٨.

(٥) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر مج ٢ ص ٤٤٨.

(٦) الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠، ص ٢١٥.

وتضعيف الرازي هذا ضعيف من وجهين: الأول: وصفه لقبول هذه القراءة الشاذة بأنه قدح بالقراءة المتواترة، وهذا شيء غير مسلم به، لأنه يفتح علينا باب الرفض لكل قراءة تكون أضعف من أختها حتى يصل بنا الأمر لقبول قراءة واحدة، ورفض ما سواها، بحجة أن قبول القراءة الضعيفة – والضعف متفاوت – قدح في القراءات التي تكون أقوى منها، وهذا مخالف لما عليه الأمة من قبول عدد من القراءات وبخاصة غير الشاذ منها. الثاني: قوله "لا بد من إضمار قسم آخر، لتكون هذه اللام جواباً عنه، فيكون التقدير: والله لأقسم بيوم القيامة" فهو في هذا الاعتراض جعل اللام في قراءة الحسن لأقسم... جواباً للقسم لا غير ثم قدره (والله)، ونسي الوجه الآخر الذي ساقه – ونقلته عنه قبل أسطر – من أن اللام هنا للابتداء لا لجواب القسم، ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الجملة الفعلية كما سبق ذكره عند الزمخشري فإن هذه اللام عند الرازي والزمخشري داخلة على اسم مبتدأ محذوف تقديره (لأننا)^(١)، وجملة أقسم خبر ، فيكون من قبيل الإخبار لا الإنشاء، ثم لو جعلنا اللام في لأقسم جواباً لقسم محذوف، وهو ما ذهب إليه في تضعيفه لقراءة الحسن وهو ظاهر ما ذهب إليه الهروي أيضاً حيث قال: فجعلها لاما دخلت على أقسم مثل: لأحلف بالله ليكون كذا وكذا^(٢)، فما وجه الضعف في تقدير قسم آخر؟ أليس تقدير القسم الآخر بمنزلة تقدير المبتدأ المحذوف الذي قدره؟

ثانياً: رأي الأكثرية من أن (لا) في لا أقسم في كل الآيات السابقات (صلة: زائدة ونسب هذا القول للبصريين، والكسائي، وعامة المفسرين^(٣))؛ ولكن: اختلف هؤلاء في فائدتها على قولين:

أحدهما: أنها زيدة توطئة وتمهيداً لنفي الجواب، والتقدير لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سدى، ومثله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقوله:

فلا وأبيك ابنة العامريّ
لا يدعي القوم أني أفر^(٤)

(١) أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية ص ١٣٠ المبتدأ لا الخبر هو الذي يلزم أن يلحقه ما يربط المقسم عليه بالقسم من اللام أو إن ونحوهما.

(٢) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦.

(٣) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٢، وقال الفراء، معاني القرآن مج ٣ ص ٢٠٧ " لا القسم: كان كثير من النحويين يقولون (لا) صلة "

(٤) لامرئ القيس كما عند الزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩ وعد (لا) فيه ناقياً كما سيأتي.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

وردّ بقوله تعالى: لا أُقسِمُ بهذا البلدِ فإن جوابه مثبت وهو: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ومثله: فَلَا أُقسِمُ بمَوَاقِعِ النُّجُومِ ^(١)، فإن جوابه ... إِنَّهُ لُقُرْآنٌ كَرِيمٌ وكل الآيات التي سقتها في مطلع البحث جوابها مثبت ما عدا لا أُقسِمُ بيَوْمِ الْقِيَامَةِ على أن بعضهم قدر جواب القسم هنا مثبتاً وهو قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ^(٢). وما عدا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ التي نفي فيها الجواب صراحة من غير احتمال لتقدير مثبت. وذكر محمد بن المنير نحواً مما ذكره ابن هشام قائلاً: "قال أحمد إن (لا) التي قبل (أقسم) زيدت توطئة للنفي بعده ... وأجاب بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساع، ولكنه ليس بقاصر عليه، ألا ترى لا أُقسِمُ بهذا البلدِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ^(٣). والحق أنه قد تكرر (لا) هذه قبل القسم توطئة للجواب كقوله: لا والله لا يقوم زيد، قال الشاعر :

فخالف فلا والله تهبط تلعةً من الأرض إلا أنت للذل عارفُ
(ولا) محذوفة من الجواب، أي لا تهبط، لا على التقديم والتأخير كما زعم بعضهم،
لأن التي للتوطئة مع التي للجواب، ألا ترى قول الشاعر :
فلا والله لا يلفى لما بي ^(٤) [ولا للما بنا أبداً دواء]

ومثله قوله :

فلا والله لا يلقى أناس فتى حتاك يا ابن أبي يزيد ^(٥)
وقول الحطيئة :
فلا وأبيك ما ظلمت قريعُ بأن بينوا المكارم حيث شاعوا
فلا وأبيك ما ظلمت قريعُ ولا برموا لـذاك ولا أساءوا ^(٦)

(١) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٩، وانظر أيضاً مج ١ ص ٢٣٠.

(٢) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٦.

(٣) ابن المنير، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال مج ٤ ص ١٨٩.

(٤) المالقي، رصف المباني ص ٣٣١ والبيت الأول لمجهول، والأخير لمسلم بن معبد الوالبي، وهو له عند ابن يعيش،

شرح المفصل مج ٧ ص ١٧ ومج ٨ ص ٤٣ ومج ٩ ص ١٥.

(٥) المالقي، رصف المباني ص ٢٦١، وهو لمجهول.

(٦) الحطيئة، ديوانه ص ٥٥.

وقول حاتم الطائي:

فلا وأبيك ما يظل ابن جارتني يطوف حوالي قدرنا ما يطورها^(١)
ويمائل ذلك ما يُستأنس به من غير شواهد النحاة كقوله أبي تمام:
فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء^(٢)
وقول أبي الحسن علي بن جودي الأندلسي:
خليلي لا والله ما أحمل الهوى وإن كنت في غير الهوى رجلا جلدا^(٣)
وقول أبي تمام:

لا والذي هو عالم النوى صبر، وأن أبا الحسين كريم
ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم^(٤)

وقول أبي تمام أيضاً:

لا والطلول الدارسات ألية من معرق في العاشقين صميم
ما حاولت عيني تأخر ساعة بالدمع مذ صار الفراق غريمي^(٥)

ويلاحظ فيها أن النفي تكرر غير مقيد بـ(لا) بل اشتركت (ما) النافية مع (لا).
وثانيهما: "أنها زيدت لمجرد التوكيد، وتقوية الكلام"^(٦). وينظرون لذلك بزيادة (لا)
في غير القسم، كما في الآيات:

ما مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ [١٢-الأعراف] معناه: أن تسجد و(لا) صلة زائدة، وقال:
ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ [٣٤- فصلت]^(٧)، وقال: لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ
الْكِتَابِ [٢٩- الحديد]. معناه: لأن يعلم أهل الكتاب، ولا زائدة، وقال: وَحَرَامٌ عَلَيَّ

(١) حاتم الطائي، ديوانه ص ٤٧.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد مج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) المقرئ، نفع الطيب مج ٩ ص ٢٦٨.

(٤) الصولي، شرحه لديوان أبي تمام مج ٢ ص ٤١٩.

(٥) المصدر نفسه مج ٢ ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٦) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٩.

(٧) لم يعين الزائدة هنا، والقياس أنها في (ولا السيئة) فيكون المعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة.

قُرْيَةٌ أَهْلَكْنَاهَا أَتُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ [٩٥- الأعراف] معناه: أنهم يرجعون، ولا صلة ...^(١)

تلك نماذج من الآيات التي نظر بها أصحاب الرأي، أما تنظيراتهم الشعرية في هذا، فقد أورد الهروي عددًا منها :
قول العجاج :

في بئر لا حور سرى وما شعر
... و(لا) صلة. وقال آخر: [وهو أبو النجم العجلي]
وما ألوم البيض أن لا تسخرا وقد رأين الشمط القفندرا
... و(لا) زائدة ... وقال آخر: وهو الأحوص:
مخافة أن لا يجمع الله بيننا ولا بينها أخرى الليالي الغواير
معناه: أن يجمع الله بيننا وبينها، و(لا) زائدة ملغاة. وقال الأحوص:
ويلحيني في اللهو أن لا أحبه وللهو داع دائب غير غافل
معناه: أن أحبه، و(لا) زائدة ... وقال الشماخ في مثله:
أعائش ما لأهلك لا أراهم يضيعون الهجان مع المضيع
أراد ما لأهلك أراهم يضيعون، ولا زائدة ... وقد جاءت (لا) زائدة في الشعر
كثيراً^(٢).

ومن تنظير الزمخشري قول غوية بن سلمى:

ألا نادت أمامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما أبالي^(٣)

وأورد آخر :

(١) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ص ١٦٠-١٦١، والمرادي، الجني الداني ص ٣٠٣، عدا آية لا تستوي الحسنة ولا السيئة وفضل تأويلها على القول بزيادتها، المبرد، المقتضب مج ١ ص ٤٧ ومج ٢ ص ٣٢ ومثل بآية لنلا يعلم أهل الكتاب وكذلك ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٨، والعكبري إملاء ما من به الرحمن مج ٢ ص ٢٧٤، ومثل السيوطي، الإتيان مج ١، ص ص ١٧١-١٧٣ ب ما منعك ألا تسجد و أن لا تتبعن و لنلا يعلم أهل الكتاب و أن لا تشركوا و أنهم إلينا لا يرجعون وذكر خلافاً فيها.

(٢) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ص ١٦٤-١٦٦، والمرادي، الجني الداني ص ص ٣٠٣-٣٠٤ حيث ذكر ثلاثة أبيات منها، وزاد رابعاً تركته للخلاف فيه. وقول العجاج: في بئر لا حور: أي في بئر هلاك، وعند الجوهري، الصحاح (هامش) مج ٦ ص ٢٥٥٣ قال الفراء: (لا) جدد محض في هذا البيت وقدره في بئر ماء لا يُحيرُ عليه شيئاً، أي لا يردُّ عليه شيئاً. والقفندر في بيت أبي النجم: القبيح.

(٣) الزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩ ولكنه عد (لا) نافية؛ لأنه لا يراها زائدة كما سيأتي، وابن يعيش، شرح المفصل مج ٩ ص ١٠١.

رأى برقاً فأوضع فوق بكرٍ فلا بك ما أسأل وما أغاماً^(١)
وقد اعترض بعض العلماء على ذلك كالفراء قائلاً إنه: "لا يبتدأ بجحد ثم يجعل صلة يراد به الطرح، لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه"^(٢)، ووافقه الزمخشري بقوله: "وفائدتها [أي لا] تؤكد القسم، وقالوا إنها صلة ... واعترضوا عليه بأنها إنما تزداد في وسط الكلام لا في أوله ... والاعتراض صحيح"^(٣)، وكذلك المالقي حيث قال: "وهو [أي كونها نافية] أولى من أن تجعل (لا) زائدة في أول الكلام، إذ الزيادة مع التقديم متناقضان، إذ لا يقدم لفظ بابه التأخير إلا اعتناء به، واعتماداً عليه، ولا خفاء بتناقض هذا مع أرادة زواله"^(٤)، ويذكر ذلك ابن هشام، ولكن بتفصيل أكثر فيقول: "ورد بأنها لا تزداد لذلك صدرًا، بل حشواً، كما أن زيادة (ما) (وكان) كذلك ... وذلك لأن زيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به قالوا ولهذا تقول بزيادتها في نحو فلا أقسم برب المشارق والمغرب ، فلا أقسم بمواقع النجوم ، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها، بخلاف هذه، وأجاب أبو علي ... من أن القرآن كالسورة الواحدة"^(٥). وهذا يعني أن أبا علي يقول بزيادتها في نحو: لا أقسم بيوم القيامة ، لا أقسم بهذا البلد ، لأنها ليست في بداية الكلام حيث سُبقت بآيات أخرى من القرآن، وإن كانت من سور أخرى. أما الرازي فيروي مطلع بيت امرئ القيس السابق من غير فاء العطف أي (لا وأبيك ابنة العامري ...) وعلى ذلك يرى أنه زاد (لا) في أول الكلام، وفيه رد على من قال إنها لا تزداد في أول الكلام، ثم إن (لا) في بيت امرئ القيس قبل قسم جوابه منفي، و(لا) في القرآن وردت في آيات عدة قبل قسم جوابه مثبت، (فتشبيه أحدهما بالآخر غير جائز ... فظهر أن البيت المذكور ليس من هذا الباب) . ويضيف أيضاً أن سور القرآن كلها كلام واحد فليست (لا) في بداية الكلام في الآيات، ولكنه يضعف القول بزيادتها من جهة أخرى غير ذلك وهي "أن تجويز هذا يفضي إلى ... جعل النفي إثباتاً، والإثبات

(١) ابن يعيش، شرح المفصل مج ٩ ص ١٠١.

(٢) الفراء، معاني القرآن مج ٣ ص ٢٠٧، وقد أشار إلى رأيه هذا الهروي ، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩.

(٤) المالقي، رصف المباني ص ٣٣٢.

(٥) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٩، وانظر: السيوطي، الإقتان مج ١ ص ١٧١.

نفياً"، ويرد بـ"أن المراد من قولنا (لا) صلة أنه لغو باطل ... ومعلوم أن وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز"^(١). وكلام الرازي فيه نظر من وجوه عدة:

١- قوله إن امرأ القيس أتى بـ(لا) في بيته السابق في أول الكلام. وكلامه هذا مبني على روايته البيت (لا وأبيك ...) وهي رواية لبعض العلماء غيره أيضاً^(٢)، ولكن هناك رواية أخرى بلفظ (فلا وأبيك ..)^(٣). وعلى أساس هذه الرواية الأخيرة لا تكون (لا) في أول الكلام؛ لأنها سبقت بالفاء، وحينئذ لا دليل فيه على زيادة (لا) في أول الكلام، على أن رواية (فلا وأبيك ...) تفضل رواية (لا وأبيك ...)؛ لأن رواية (فلا ...) هي الأصل، وروايته من غير فاء يكون البيت مخروماً، وعدم الخرم أولى .

٢- قوله: إن بيت امرئ القيس في مقام الجواب المنفي، وفي القرآن في عدة آيات الجواب فيها مثبت فلا مشابهة. وهذا صحيح إلى حد ما، ولكن البيت يشبه قوله تعالى

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ... وقوله تعالى لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴿

إذا كان تقدير الجواب (لا يتركون سدى) وعليه الأكثرون، أما إذا كان الجواب قوله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ كما سبق فالجواب مثبت.

٣- قوله: إن القول بزيادة (لا) في الآيات لا يجوز في القرآن، لأن معنى الزيادة لغو باطل، ثم إنه يلبس النفي بالإثبات، والإثبات بالنفي. فأما القول إن الزيادة تعني اللغو الباطل فيظهر أنه محمول على تجريد الزيادة من أي معنى تؤديه والعلماء قالوا إن زيادتها للتمهيد لنفي جواب القسم للشبه بين (لا) الزائدة، و(لا) النافية، أو لمجرد التوكيد وتقوية الكلام كما سبق.

وأما القول بالبأس المنفي بالموجب، والموجب بالمنفي، لأن (لا) الزائدة قد تشبه بالنافية، فجوابه أن القرآن جاء بلسان العرب، وقد مرَّ عدد من الشواهد زيدت فيها، ولم يرد النفي؛ لأن المقام لا يناسبه، ثم إن القسم له خصوصيته، وسوف يأتي في القسم حذف (لا) وما أشبهها، مع أن الكلام موجب وقياس الضدية عندهم مقبول^(٤)، وعدا

(١) الرازي، التفسير الكبير مج ٣٠ ص ٢١٤ بتصرف.

(٢) انظر، التنوخي، القوافي ص ٩٤ وفيها أن بعض النسخ (وأبيك) من غير (لا). والزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩ (لا وأبيك).

(٣) انظر: التنوخي، القوافي ص ١٣٧ (وفي الحاشية بعده له رواية أخرى)، والسندوبي، شرح ديوان امرئ القيس ص ٩٤ (فلا ...).

(٤) ابن مالك الابن، شرحه على ألفية أبيه ص ٧٠ (والشيء قد يحمل على ضده كما يحمل على نظيره؛ لأن الوهم ينزل الضدين مثزلة النظيرين، ولذلك تجد الضد أقرب حضوراً في البال مع الضد).

هذا وذلك فالأكثر يقولون بوقوع (لا) زائدة في القرآن كما سبق، وقليلون كرهوا ذلك كالرازي هنا، والمرادي الذي فضل تأويلها على القول بزيادتها. وللأكثرية الترجيح من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تكرار حرف النفي لصغره، وأهمية وظيفته يكرر في كثير من اللغات كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإغريقية قديمها وحديثها، وفي اللغات الإفريقية البدائية، وورد تكرارها زائدة في الكتاب المقدس (قبل ألا يئزل بكم غضب الرب) أي قبل أن يئزل فر(لا) زائدة، والكلام العربي الذي نزل به القرآن (شاعت فيه ظاهرة نفي النفي لمجرد تأكيد النفي، وأن العربي القديم لم يعمد إلى هذا إلا لحرصه على إظهار معنى النفي، وتوضيحه، لاستصغار أداة النفي التي كانت مجرد (لا، أو ما، أو إن)^(١).

ثالثاً: رأي الفراء ومن تابعه، وهو أن (لا) في الآيات السابقة للنفي يقول الفراء: "القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث ... فجاء الإقسام بالرد عليهم ... ألا ترى أنك تقول مبتدئاً: والله إن الرسول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرسول لحق، فكأنك كذبت قوماً أنكروا، فهذه جهة (لا) مع الإقسام، وجميع الأيمان في كل موضوع ترى فيه (لا) مبتدأ بها، وهو كثير في الكلام"^(٢). وقال الهروي بعد أن نقل رأي الفراء "قال أبو بكر الأنباري: فعلى مذهبه [أي الفراء] يحسن الوقوف على لا"^(٣)، كما نقل ابن هشام رأي الفراء من غير عزو، وقال: إن المنفي "شيء تقدم، وهو ما حكي عنهم كثيراً من إنكار البعث، فقل لهم ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم، قالوا: وإنما صح ذلك؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة"^(٤)، وقال العكبري: "لا رد لكلام مقدر، لأنهم قالوا أنت مفتر على الله في قولك نبعث، فقال: لا، ثم ابتدأ فقال: أقسم وهذا كثير في الشعر"^(٥)، أما الزمخشري فذكر رأي الفراء مؤخراً عن رأيه، ومن غير عزو أيضاً، وقدم رأيه الذي يقول فيه: "والوجه أن يقال هي للنفي، والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له بذلك، عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم .. فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك"^(٦)، ونقل ابن هشام رأي الزمخشري هذا بعد رأي الفراء، وقال ابن هشام إن

(١) أنيس، من أسرار اللغة (بتصرف) ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩.

(٢) الفراء، معاني القرآن مج ٣ ص ٢٠٧.

(٣) الهروي، الأزهية في حروف المعاني ص ١٦٤.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٩.

(٥) العكبري، إملأ ما من به الرحمن مج ٢ ص ٢٧٤.

(٦) الزمخشري، الكشاف مج ٤ ص ١٨٩.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

هذا يعني "أن منفيها أقسم، وذلك على أن يكون إخباراً لا إنشأً اختاره الزمخشري"^(١)، وهذا الرأي منسوب للزمخشري نقله الرازي ورجحه بقوله: "وقيل: إن (لا) ههنا لنفي القسم، كأنه قال: لا أقسم عليكم بذلك اليوم... وهذا القول اختيار أبي مسلم، وهو الأصح"^(٢)، كما أشار إليه العكبري من غير عزو، فقال: "هي نفي للقسم بها كما نفي القسم بالنفس"^(٣). ويوافق المالقي على كون (لا) نافية، ويختار ذلك، لكنه لا يوافق الفراء كل الموافقة فيقول: "وربما نابت (لا) النافية مناب كلام متقدم عليها تقتضي نفيه مقدراً لدلالة ما بعده عليه... ومن ذلك قوله تعالى: لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بهذا البلد كأنها رد، لمن قال: لا تجتمع عظام الإنسان، ولا تخلق مرة ثانية، ولمن قال: (لا يخلق الإنسان في كبد) وكان المعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم أقسم بعد ذلك"^(٤). فزاد دلالة ما بعد القسم على المنفي المقدر من كلام متقدم. وعلى الرغم من أن الرازي سبق وصفه للقول بأن (لا) لنفي القسم (هو الأصح) إلا أنه انتقد كونها لنفي غير القسم فقال: "فيه إشكال، لأن إعادة حرف النفي مرة أخرى في قوله: ولا أقسم بالنفس اللوامة، مع أن المراد ما ذكره، تقدح في فصاحة الكلام"^(٥). وهو انتقاد غير واضح إذ ما الفرق في الفصاحة بين تكرر (لا) النافية للقسم نفسه، وتكررها لنفي كلام سابق مع تكرر القسم، واختلاف المقسم به، والمعقول أن تكررهما لنفي كلام سابق في القرآن الذي هو كالسورة الواحدة، وإثبات القسم على ذلك مكرراً أكد، وأقرب مأخذاً من كونها نافية للقسم.

:

وردت هذه الظاهرة بصورة صريحة في آية تالله تفتاً تذكر يوسف [٨٥- يوسف]، أي: (لا تفتاً) كما وردت بصورة محتملة في آية أخرى يبين الله لكم أن تضلوا قال بعضهم: (لئلا تضلوا)^(٦). وهو حذف لم يتقدمه قسم أو مناشدة.

(١) ابن هشام، مغني اللبيب مج ١ ص ٢٤٩، وانظر السيوطي، الإتقان مج ١ ص ١٧١.

(٢) الرازي، التفسير الكبير مج ٢٠ ص ٢١٥، وأبو مسلم لعله صاحب التفسير، أبو مسلم بن بحر.

(٣) العكبري، إملاء ما من به الرحمن، مج ٢ ص ٢٧٤.

(٤) المالقي، رصف المباني، ص ٣٣٢.

(٥) الرازي، التفسير الكبير، مج ٣٠، ص ٢١٥.

(٦) ابن هشام، مغني اللبيب مج ٢، ص ٦٣٨. أما الآية (٥٩) من سورة الأحزاب (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) فحذف (لا) على تقدير: أن لا يعرفن، فاحتمال ضعيف.

يقول الفراء: "قالوا: تالله تفتأ معناه لا تزال تذكر يوسف، و(لا) قد تضرر مع الأيمان؛ لأنها إذا كانت خبراً لا يضر فيها (لا) لم تكن إلا بلام ألا ترى أنك تقول: والله لأتيتك، ولا يجوز: والله أتيتك، إلا أن تكون تريد (لا) فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر أضمرت. قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
وأنشدني بعضهم:

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة
على قومها ما فتل الزند قادح
يريد: لازالت^(١). وكلام الفراء مفهوم المعنى، على الرغم من قلق عبارة "لأنها إذا كانت خبراً لا يضر فيها (لا) لم تكن إلا بلام"، وكنت أظن فيها سقطاً حتى رأيت البغدادي نقل النص السابق كما هو^(٢). وهذا مبني على أن (تفتأ وأبرح وتزال وتنفك) لا تكون إلا بجحد ظاهر أو مضمرة وقيل إنما اشترط فيها ذلك، لأنها للنفي، وإذا دخل عليها نفي انقلبت إثباتاً^(٣). وهذا البيت: فلا وأبي الدهماء ... الذي رواه الفراء، ذكر فيه البغدادي آراءً أخرى فقال: "فصل بالجار والمجرور -أعنى الجملة القسمية وهو وأبي دهماء- بين لا النافية، وبين زالت، وهذا الفصل شاذ، وإليه ذهب ابن هشام في المغني، إلا أنه لم يقيده بالشذوذ، ولا بالقلّة، وكأنه مطرد عنده قال ... ويفصل بين حرف النفي ومنفيه كقوله:

ولا أراها تزال ظالمة
[تحدث لي قرحة وتتكؤها]
وقوله: فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة. قال شارحه ابن الملا الحلبي: ويجوز أن تكون (لا) ردأ، أو حرف النفي محذوفاً، ولا: اعتراض ... [ثم قال] وقد جعله ابن عصفور من باب حذف النافي وهو ما ... وهو قليل جداً^(٤). وبعضهم جعل البيت (فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة) من باب الحذف لكنه حكم عليه بالشذوذ لكون (لا) المحذوفة هنا داخلة على ماض لا مضارع^(٥). "قال أبو القاسم ... والعرب تضرر (لا) في القسم مع

(١) الفراء، معاني القرآن مج ٢، ص ٥٤.

(٢) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٦.

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير، مج ١٨ ص ١٩٦، والبغدادي، خزنة الأدب، مج ٤ ص ٤٦، والجرجاني، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٤.

(٤) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٥-٤٦، وانظر: السيوطي، همع الهوامع مج ٢ ص ٦٦ وذكر المحقق البيت الأول هكذا:

لعمري أبي دهماء زالت عزيزة
عليّ وإن قد قل منها نصيبيا

كما نسب فيه البيت الثاني (ولا أراها ... تنكؤها) لابن هرمة.

(٥) انظر، البغدادي خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٨.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

المنفي، لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون، كقولك: والله لأخرجنّ وقال الله عز وجل **تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ** أي لا تفتأ تذكر يوسف^(١).

وقال الرازي: "قال النحويون: وحرف النفي هنا يشير إلى آية (تفتأ تذكر) مضمرة على معنى قالوا: ما تفتأوا، وجاز حذفه لأنه لو أريد الإثبات لكان باللام والنون، نحو: والله لنفعلنّ، فلما كان بغير اللام والنون عرف أن كلمة (لا) مضمرة، وأنشدوا قول امرئ القيس: فقلت يمين الله أبرح ... والمعني لا أبرح قاعدًا، ومثله كثير"^(٢). وأنشد أبو علي الفارسي قول المتلمس:

آبِيت حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ وَالْحَبَّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ
فَقَالَ: كَانَ الْمُتَلَمَّسُ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَطْعَمَ حَبَّ الْعِرَاقِ فَحَذَفَ (لَا) كَمَا حَذَفْتَ مِنْ قَوْلِ أُمِّيَةِ
بْنِ أَبِي عَائِذٍ الْهَذَلِيِّ أَوْ غَيْرِهِ:

تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو حَيْدٍ بِمَشْمَخَرٍّ بِهِ الظِّيَانُ وَالْأَسُ^(٣)
وَيَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ: "وَقَدْ تَحَذَفَ (لَا) فِي النَّفْيِ مِنَ اللَّفْظِ، وَهُوَ مُقَدَّرٌ فِي الْمَعْنَى وَذَلِكَ
قَوْلُهُمْ: وَاللهِ أَفْعَلُ، يَرِيدُونَ بِهِ لَا أَفْعَلُ:

تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ مَبْتَقِلٌ جَوْنَ السَّرَاةِ رِبَاعِ سَنِهِ غَرْدٌ
وَجَازَ حَذْفُهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ إِجْبَابًا لَمْ يَخْلُ مِنَ اللَّامِ، أَوْ مِنَ النَّونِ،
أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا"، وَيَقُولُ أَيْضًا: "وَيَحذفُ (لَا) لِذَلِيلِ الْحَالِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: تَاللهِ
تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ الْمَعْنَى: لَا تَفْتَأُ، وَكَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

التقدير: لا يبقى ...

ولو كان يصلح الموضع للإيجاب لوجب أن يكون فيه اللام نحو: تالله ليبقى كما تقول:
تالله ليخرج زيد، ولا تقول: تالله يخرج زيد غدًا"^(٤).

(١) الزجاجي، أماليه ص ٧٨.

(٢) الرازي، التفسير الكبير مج ١٨، ص ص ١٩٦-٤٩٧.

(٣) أبو علي الفارسي، المسائل البصريات (بتصرف) مج ٢ ص ٩١٤، ومج ٢ ص ٩١٦، والحيّد: عقد في قرون الوعل، والظيان، ياسمين البر، والأس: الريحان. وابن هشام، مغني اللبيب، البيت الأول مج ١ ص ٢٤٥، والبيت الثاني مج ٢ ص ٢١٤ برواية (الله) وجعله لذلك للقسم والتعجب.

(٤) الجرجاني، المقتصد (النص الأول مج ٢ ص ٨٦٦) والنص الثاني مج ٢ ص ٨٦٧، والبيت الذي ذكره لأبي نؤيب الهذلي، والبيت عند ابن يعيش، شرح المفصل مج ٩ ص ٨٩.

ويستعمل المالقي في حذف (لا) هنا كلمة (ربما) حيث يقول: "وتلزم [أي لا] القسم جواباً له، وربما حذف للدلالة في القسم، إذ جواب القسم في الإيجاب: باللام والنون، فيقال: تالله لا يقوم زيد، قال الله تعالى: تفتأ تذكر يوسف أي: لا تفتأ، لأنه الأصل"^(١). وعند الزمخشري: "تفتأ: أراد لا تفتأ فحذف حرف النفي، لأنه لا يلتبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون، ونحوه. فقلت يمين الله أبرح قاعدا"^(٢).

وينقل أبو حيان قائلاً: "وفي النهاية يجوز والله قام زيد، يريد: والله لا قام زيد، لأنه لو كان إيجاباً لم يخل من اللام أو قد أو كليهما"، ثم يردف "وإن كان مستقبلاً نفي بلا، ثم إنه إن كان جواب قسم ملفوظ به أو مقدر جاز حذف لا، كقوله تعالى: تالله تفتأ تذكر يوسف أي لا تفتأ، وكقول الشاعر:

وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم تلاقونه حتى يؤوب المنخل
أي: لا تلاقونه. فإن كان النفي بلا دخلت عليه نون التوكيد كقوله:
تالله لا يحمدن المرء مجتنباً فعل الكرام، وإن فاق الورى حسبا
فلا يجوز حذف لا"^(٣).

فظاهر كلام أبي حيان أن جملة (تلاقونه) أي لا تلاقونه جواب قسم تقديره مثلاً (والله لا تلاقونه)، وهو ما صرح به من أنه لا تحذف (لا) إلا في جواب القسم، وهو احتمال مقبول، حيث العرب لما كثر القسم عندهم أكثروا التصرف فيه، وتوخوا ضرراً من التخفيف منها الحذف، لعلم المخاطب بالمراد"^(٤). ولكنه في اعتقادي لا يلزم أن يكون جواب قسم، والأبيات السابقة ذكر فيها القسم صريحاً عدا هذا البيت المشار إليه. وبيت ابن هرمة (ولا أراها تزال ظالمة) فإن عدم وجود القسم وارد. وسيأتي من أن (لا) حذف في كلامهم في غير القسم، كما ربط أبو حيان بين وجود (لا) في جواب القسم قبل الفعل المضارع ووجود نون التوكيد فيه، بحيث إذا لحقته نون التوكيد لا يجوز حذف (لا) كما هو سائغ في جواب القسم المضارع المجرد من نون التوكيد. وقد مر معنا في القضية الأولى أن لام القسم وهي غير لا النافية هنا

(١) المالقي، رصف المباني ص ٣٣٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف مج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) أبو حيان، ارتشاف الضرب مج ٢ ص ٤٨٨، والبيت الأول في النص للنمر بن تولب، والبيت الثاني لمجهول.

(٤) انظر، ابن يعيش، شرح المفصل مج ٩، ص ص ٩٣-٩٤.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

ولكن من باب التنظير- قد تدخل على المضارع من غير نون التوكيد (تالله ليبقى) وأنها يجوز أن يتعاقبا عند الكوفيين (تالله يبقين)، وعند البصريين يتلازمان (تالله ليبقين) بشرط مباشرة اللام الفعل. ومن شواهد النحاة في حذف (لا) إذا وقعت نافية للفعل المضارع الواقع جواباً للقسم قول عبد بني الحسحاس:

وقد أقسمت بالله يجمع بيننا هوى أبدا حتى تحول أمردا
أي: لا يجمع بيننا^(١). وقد حذفنا (لا) مع الفعل الماضي، وهو قليل. لمجهول:

م والركن والحجر الأسود
أمدّ به أمد السرمد

فإن شئت آليت بين المقام
نسيتك ما دام عقلي معي

أي لا نسيتك^(٢).

وقول عمر بن أبي ربيعة:

حياتنا أو أقبرا

تالله أنسى حبها

يريد: لا أنسى^(٣).

وقول ليلي الأخيلية:

وأحفل من دارت عليه الدوائرُ

أقسمت أبكى بعد توبة هالكا

أي لا أبكى بعد توبة هالكا^(٤).

وقول هاني بن قبيصة في يوم ذي قار:

ولا حريقا وأخته حرقه

أقسم بالله نسلم الحلقة

أي لا نسلم حريقا وحرقة ابني النعمان^(٥).

وقول ليلي زوج سالم بن قحطان:

تكفل بالأرزاق في السهل والجبل

حلفت يميئاً يابن قحطان بالذي

لها ما مشى يوماً على خقه الجمل

تزال حبال مبرمات أعدها

(١) الزجاجي، أماليه ص ٧٦.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب مج ٢، ص ٦٣٧.

(٣) انظر: عبد الحميد، منحة الجليل مج ١، ص ٢٦٥.

(٤) المبرد، الكامل مج ٢، ص ٣٦٧، والزجاجي، أماليه ص ٧٨، والحصري، زهر الآداب مج ٤، ص ٨٥.

(٥) البغدادي، خزنة الأدب مج ٣، ص ١٨١.

أي لا تزال^(١).

ومثله ما أنشده القالي عن ابن الأعرابي :

يمينا أرى من آل زبّان وابراً
"والفعل منفي في جواب القسم، أي لا أرى"^(٢).
وقال نُصيب:

تالله أنسى مصيبتني أبداً ما أسمعني حنينها الإبلُ

يريد لا أنسى^(٣).

وإذا تقدمت (لا) على القسم سهل حذف (لا) من جواب القسم قال (مجهول):

فلا والله نادي الحي قومي طوال الدهر ما دُعي الهديلُ

أي لا نادي^(٤).

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَاللَّهِ أَبْرَحُ فِي مُقَدِّمَةٍ
أهدي الجيوشَ عَلَيَّ شِكْنِيهِ

يريد: لا أبرح^(٥).

وهذان البيتان، وبيت عمر بن أبي ربيعة لم أرها فيما رجعت إليه من كتب النحو عند غير صاحب منحة الجليل، مما يرجح أنها جديدة من مطالعته، على أنه في كتابه (الانتصاف) ذكر عدداً من الأبيات المتداولة في كتب النحو، ولم يذكر من هذه سوى بيت ابن قيس الرقيات^(٦).

:

ومن الشواهد غير المتداولة في كتب النحو على حذف (لا) قبل الفعل المضارع الواقع جواب قسم ما يأتي:

(١) المصدر نفسه مج ٤، ص ٤٨-٤٩ وميرمات: محكمات، وأعدّها: أهيتها. وضمير (لها) يعود إلى الإبل في بيت قبله.

(٢) المصدر نفسه مج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ١، ص ١٣٩، وعبد الحميد منحة الجليل مج ١ ص ٦٥.

(٤) ابن هشام، مغني اللبيب مج ٢، ص ٦٣٧.

(٥) انظر، عبد الحميد، منحة الجليل مج ١، ص ٢٦٥.

(٦) عبد الحميد، الانتصاف من الإنصاف، مج ٢، ص ٨٢٥.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

أ- شواهد نثرية: منها ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مخاطبة الحطيئة بشأن الزبرقان ورهطه: "أقسمت عليك أن تقول إلا خيراً. قال أفعل"^(١). أي أن لا تقول وهذا في القسم .

أما في المناشدة – وهي بمنزلة القسم- فيكون الحذف في النثر أكثر والمناشدة مأخوذة من "نشدت فلاناً أنشدته نشداً إذا قلت له: نشدتك الله، أي سألتك بالله كأنك ذكرتته إياه فنشد أي تذكر"^(٢)، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته لمن أسند إليهم اختيار الخليفة: "أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن أتحمّل أقاربك على رقاب الناس"^(٣)، ومن ذلك قول روح بن زنباع – وقد ألمته السياط – لمعاوية رضي الله عنه: "نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم مني ركناً أنت بنيته..."^(٤). أي لا تهدم. وقول أم محمد بنت مروان بن الحكم لعمر بن أبي ربيعة: "نشدتك الله أن تشهرني بشعرك، وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وابتاع بها حلاً وطيباً، فأهداه إليها، فردته، فقال لها: والله لئن لم تقبله لأنهيته فيكون مشهوراً، فقبلته"^(٥)، فيكون المعنى: أن لا تشهرني. ومثله قول فاطمة بنت عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: "قولي له: نشدتك الله والرحم أن فضحتني، ويحك ما شأنك، وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني"^(٦). وواضح أن المعنى: أن لا تفضحني، وإن عبرت بالماضي، ومنه قول الحريش بن هلال للمهلب بن أبي صفرة: أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك، فإن بالقوم جراحاً"^(٧). يريد أن لا تقاتلهم. وهذه كلها في عصور الاستشهاد. كما ورد عن أسير لمعن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) قوله: "يا أخا شيبان: نناشدك الله أن تقتلنا عطاشاً. فقال: أسقوهم .."^(٨). فإذا كان هذا الأسير بدويّاً

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ٢، ص ٥٦.

(٢) الجوهرى الصحاح (نشدة) مج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك مج ٤، ص ١٩٢، وفي المصدر نفسه مج ٤، ص ٤٣٤ ورد في قضية بيعة الإمام على قولهم: "نشدتك الله أن لا ترى ما نرى ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله!"، فزادوا (لا) في (أن لا ترى) وهو عكس حذفها.

(٤) الزجاجي، أماليه ص ٧.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ١، ص ٦٧.

(٦) المصدر نفسه مج ١، ص ٧٦.

(٧) المبرد، الكامل مج ٢، ص ٢٣١.

(٨) المرتضى، أماليه مج ١، ص ٢٢٦.

كأسره معن فهو حجة. وهو نص قد ورد في كتاب أقرب إلى النحو. وآثرت إدراجه هنا لمناسبته لما قبله.

ب- شواهد شعرية: قال العباس بن مرداس السلمي:

فدى لك أُمي إن ظفرت بقتله وأقسم أبغي عنك أمًا ولا أبا^(١)

يريد: لا أبغي.

قال محمد بن حازم الباهلي، وهو بصري حضري لا يستشهد به، وإنما يستأنس به:

آليت أشرب كأسًا ماحج لله ركب^(٢)

أي: لا أشرب.

وقالت حبيبة بنت عبد العزى العوراء:

أولي على ملك الطعام أليّة أبدأ ولكني أبين وأنشد

قال التبريزي: (أولي) لا أولى، من الإيلاء، وهو الحلف وحذف حرف النفي لأمن اللبس^(٣)، وهذا على توجيهه والله لا أولى.

وقال آخر:

والله يشفي ذات نفسي حاجمُ أبدأ ولا مما إخال لدود

أي: لا يشفي^(٤).

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي، وقد حلف أن يشرب الخمر صرفًا على غير طعام:

معاذ الله يدعوني لحنثٍ ولو أقفرت أيامًا قنار

أي: لا يدعوني^(٥).

ولأبي حنبل جارية بن مر الطائي، وقد أجاز أمرًا القيس:

لقد آليت أغدر في جذاع ولو منيت أمات الرباع

أي: لا أغدر^(٦).

وقال آخر:

لعمرك أنسى روعتي يوم أقتدٍ وهل تترك نفس الأسير الروائعُ

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ١٣، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه مج ١٢، ص ١٦٠.

(٣) أبو تمام، ديوان الحماسة مج ٢، ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين مج ٢، ص ٥٩٧. الحاجم: المداوي. ولاءمها: وافقها، واللود: الذي يسقي فيلد في شق فمه.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧١.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٥٣. وأمات: أمهات.

- أي: لا أنسى^(١).
وقال المغيرة بن الأخنس في يوم الدار:
والله أتركه ما دام بي رمق
حتى يزايل بين الرأس والعنق
أي: لا أتركه^(٢).
وقالت الخنساء:
فأليت أبكي على هالك
وأسال نائحة مالها
أي: لا أبكي^(٣).
وقال عامر بن الطرب العدواني في الخمرة:
أقسمت بالله أسقيها وأشربها
حتى يفرق ترب القبر أوصالي
أي: لا أسقيها^(٤).
ولباعت بن صريم اليشكري:
إني ومن سمك السماء مكانها
والبدر ليلة نصفها وهلالها
آليت أثقف منهم ذا لحية
أبدأ فتنظر عينه في مالها
أي: لا أثقف^(٥).
ولقيس بن عاصم حينما سكر وغمز عكنة ابنته فحرم الخمر:
فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها أبداً نديماً
أي: لا أشربها^(٦).
ولحسان بن ثابت:
أقسمت أنساها وأترك ذكرها
حتى تغيب في الضريح عظامي
أي: لا أنساها^(٧). وللهمذلي:
فإما أعش حتى أدب على العصا
فوالله أنسى ليلتي بالمسالم
أي: لا أنسى^(٨).

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين مج ٢، ص ٥٨٩ وأقنذ: قيل ماء، وقيل موضع. والروائع جمع رائحة، وهي ما يربيع ويخيف.

(٢) الدباسي، الشعر في مكة مج ٢، ص ٧٨٢.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد مج ٦، ص ٣١.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٩.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد مج ٦، ص ٦٨، وأبو تمام، ديوان الحماسة مج ١، ص ٢٠٧.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ١٢، ص ١٤٩، وابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٩.

(٧) حسان بن ثابت، ديوانه ص ١٠٨.

وقال مقيس بن صبابة في الخمر (وهو مثل بيت قيس بن عاصم السابق):
فلا والله أشربها حياتي طوال الدهر ما طلع النجوم
يريد: لا أشربها^(٢). وهما مثل السابق في القضية الأولى (فلا والله تهبط تلعة).
وللعجبر السلولي:

وعاذت بحقوي عامر وابن عامر والله [قد] بتت علي يمين
تناولونها أو يخضب الأرض منكم دم خر عنه حاجب وجبين

أي: لا تناولونها^(٣).

- وأعود إلى حذف (لا) في غير القسم .
قال خراش بن زهير:

وأبرح ما أدام الله قومي بحمد الله منتطقًا مجيدا

أي: لا أبرح^(٤).

وقال خليفة بن براز:

تنفك تسمع ما حييت بهالك حتى تكونه

أي: لا تنفك^(٥).

وذهب ابن عصفور إلى أنه ضرورة حيث أضمر (لا) النافية في غير جواب القسم^(٦).
سبقت الإشارة إلى أن أكثر النحاة يربطون بين حذف (لا)، والقسم بالذات، وهو
ظاهر كلام الزمخشري حيث أورد بيت (تنفك تسمع) في الفصل المخصص للقسم مع
أبيات حذف فيها (لا) مع القسم، ولم يصرح بعدم تقدير قسم فيه مما يرجح أنه يعدّ
(تنفك جواب قسم، والتقدير: والله لا تنفك)، كما قدروا ذلك في البيت السابق (تلاقونه)
أي والله لا تلاقونه، وبيت ابن هرمة السابق (ولا أراها تزال)، أي: ولا أراها والله
تزال، مع ورود تقدير آخر فيه، وهو أن (لا) موجودة لم تحذف، بل فصل بينها وبين
تزال ب(أراها)، ويضعف هذا التقدير الأخير أننا نكون أيضًا فصلنا بين العاطف (و)

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين مج ٢، ص ٦٠١.

(٢) ابن حبيب، المحير، ص ص ٢٤٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني مج ١١، ص ١٤٨.

(٤) السيوطي، همع الهوامع مج ٢، ص ٦٦، والأشموني، شرحه على الألفية مج ١، ص ٢٢٨، وابن عقيل، شرحه ألفية ابن مالك مج ١، ص ٢٦٤.

(٥) الزمخشري، المفصل في علم العربية ص ٢٦٨، وابن بعيش، شرح المفصل مج ٧، ص ١١٠، وابن مالك الابن، شرحه ألفية أبيه ص ٥١، والسيوطي، همع الهوامع مج ٢، ص ٦٦.

(٦) انظر: البغدادي، خزنة الأدب مج ٤، ص ٤٨، وعبد الحميد، منحه الجليل مج ١، ص ٢٦٤.

وبين الفعل (أرى) إذا لم نجعل العاطف داخلاً على (لا) نفسها. ولكن هذا الذي رجحته من كلام الزمخشري ذهب البغدادي إلى خلافه حيث نقل عن الرضي معلماً على بيت (تتفك تسمع...): "وظاهره أن حذف النافي ... يجوز حذفه من هذه الأفعال سواء وقعت جواب قسم كالأية والبيت الذي بعده، أم لا كهذا البيت، فإنه لم يتقدمه شيء، وهو الظاهر أيضاً من كلام الزمخشري في المفصل، ومن كلام ابن هشام في شرح الشواهد. ولكن ابن يعيش قيد حرف النفي بكونه (لا)، وأنه لا يحذف من هذه الأفعال إلا إذا وقعت جواب قسم ... وذلك لأمن اللبس"^(١)، وقال أيضاً: "قد مثل بهذا البيت [يعنى ابن يعيش] تبعاً لصاحب المفصل، وتتفك فيه ليست جواب قسم"^(٢). وواقع الأمر عند الزمخشري ما ذكرته، أما حقيقة الحال عند ابن يعيش فكما قال^(٣). غير أن ما قاله ابن يعيش من أنه (لا يحذف النافي إلا مع القسم) ليس رأيه وحده، بل هو رأي الأكثرية، كأبي حيان "إن كان جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، جاز حذف (لا)"^(٤)، والأشموني: "ولا يحذف النافي معها قياساً إلا في القسم كما رأيت، وشذ قوله: وأبرح ما أدام"^(٥). كذلك وصف العيني بيت (وأبرح ما أدام ..) بالشذوذ وذلك "لأن (لا) لا تحذف فيه إلا بعد القسم"^(٦)، وغيرهم.

أما بيت (وأبرح ما أدام الله قومي....) فقد مرّ كلام ابن عصفور والأشموني والعيني بعدم تقدير قسم فيه، كما صرح بذلك المرادي^(٧)، وكما صرح به المتأخرون كالجرجاوي^(٨)، والصبان^(٩)، وعبد الحميد^(١٠)، وغيرهم. ومن هذا البيت (قيل لا حذف والمعنى أزول عن أن أكون منتظماً مجيداً، أي صاحب نطاق وجواد ما أدام الله قومي فإنهم يكفونني ذلك... [وعقب البغدادي على ذلك بقوله]: "ودعوى عدم الحذف تعسف وقع في أشد ما فر منه"^(١١)، كما "قال بعض النحاة إن أبرح في البيت غير

(١) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٧، وأيد البغدادي الرضي بقوله: لله دره ص ٤٨. وانظر: ابن هشام، مغني اللبيب

مج ٢، ص ٦٣٧ حيث جعل (تلاقونه) حذف من غير قسم.

(٢) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤، ص ٤٧.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل مج ٧، ص ١٠٩-١١٠.

(٤) أبو حيان، ارتشاف الضرب مج ٢ ص ٢٨٨.

(٥) الأشموني، شرحه على ألفية ابن مالك مج ١ ص ٢٢٨.

(٦) شرح الشواهد للعيني مج ١ ص ٢٢٨.

(٧) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٨.

(٨) انظر، الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٣-٤٤.

(٩) انظر الصبان، حاشيته على الأشموني مج ١ ص ٢٦٤.

(١٠) انظر، عبد الحميد، منحة الجليل مج ١ ص ٢٦٤.

(١١) البغدادي، خزنة الأدب مج ٤ ص ٤٨.

منفي في التقدير فالمرفوع فاعل، والمنصوب حال، ومعناه أستغني بحمد الله عن أن أكون منتطقاً مجيداً ما أدام الله قومي"^(١). وهو تفصيل إعرابي لما انتقده البغدادي، قصد منه الحيلولة دون وقوع حذف (لا) قبل الفعل المضارع في غير القسم، وهذه الأمور الثلاثة – أعني – كون النافي (لا)، والفعل بصيغة المضارع وتقدم القسم، أشار إليها ابن يعيش^(٢)، والأشموني^(٣)، بعضها بطريقة صريحة، وبعضها بطريقة ضمنية والمرادي ذكرها صراحة^(٤)، وتابعهم المتأخرون كالجرجاوي^(٥)، والصبان^(٦)، وعبد الحميد^(٧)، وغيرهم. ويظهر من كلام الأشموني أنها متى توفرت هذه فحذف (لا) قياس، فإن فقد شرط منها كالبيت (وأبرح ما أدام الله) فحذفها شاذ، لعدم تقدم القسم^(٨). كما وصف المرادي هذا البيت بالشذوذ، لأن النافي لا يحذف إلا بعد القسم^(٩)، وكذلك الجرجاوي^(١٠)، وعلل ابن يعيش تحديد (لا) من بين حروف النفي فقال: "وإنما لم يجز حذف غيرها، لأنه لا يجوز حذف (لم، وما) لأن (لم) قد تكون عاملة فيما بعدها والحرف لا يجوز أن يحذف ويعمل. وكذلك (ما) قد تكون عاملة في لغة أهل الحجاز"^(١١)، وأخذ البغدادي على هذا بأن الكلام هنا في حروف النفي الداخلة على الأفعال وما الحجازية داخلة على المبتدأ والخبر فأين هذا من ذلك^(١٢)، والصحيح أن تقدير (لا) في كل الأبيات السابقة التي حذف منها النافي أسبق إلى اللسان، ولكن تقدير حرف ناف غير ما مثل (ما) لا يباه المقام، بل ساوى ابن معط بين (لا، وما) في هذا الحذف عند أمن اللبس، وأنشدوا (لمجهول):

فوالله ما نلتم وما نيل منكم
قالوا أصله (ما ما نلتم)^(١٣).

- (١) الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٤.
(٢) ابن يعيش، شرح المفصل مج ٧ ص ١٠٩، نص على القسم، وكون المحذوف (لا).
(٣) الأشموني، شرحه للألفية مج ١ ص ٢٢٨ نص على القسم.
(٤) البغدادي، خزانة الأدب مج ٤ ص ٤٨.
(٥) الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٤.
(٦) الصبان، حاشيته على الأشموني مج ١، ص ٢٢٨.
(٧) عبد الحميد، منحة الجليل مج ١، ص ٣٦٥.
(٨) الأشموني، شرحه للألفية ابن مالك مج ١، ص ٢٢٨.
(٩) البغدادي، خزانة الأدب مج ٤، ص ٤٨.
(١٠) الجرجاوي، شرح شواهد ابن عقيل ص ٤٤.
(١١) ابن يعيش، شرح المفصل مج ٧ ص ١٠٩، وانظر، ابن هشام، مغني اللبيب مج ٢، ص ٦٣٨.
(١٢) البغدادي، خزانة الأدب مج ٤ ص ٤٧.
(١٣) ابن هشام، مغني اللبيب مج ٢، ص ٦٣٨.

ويمكن أن يكون بيت النابغة:

تزال الأرض إما مت خفًا وتحيا ما حييت بها ثقيلًا

مثل بيت (وأبرح) حيث فسره بعضهم "إن مت صارت الأرض خفيفة بموتك، وإن تحيا بقيت ثقيلة"^(١)، فتكون لا حذف منه من غير تقدير قسم على الأرجح.

وأما (فلا وأبي الدهماء زالت عزيزة) ففيه (زال) فعل ماضٍ، وحذف منه النافي (لا) على رأي من قال بذلك كما مر تفصيله، وذكر هناك أن المرادي جعله شاذًا أيضًا، لكونه غير مضارع. وهذا يعني أن الحذف مع توفر هذه الشروط عند هؤلاء قياس، والحذف عند فقد شيء منها شاذ أي مخالف للقياس، وقد بين بعضهم كما سبق شواهد شاذة للحذف مع عدم وجود قسم، وكذلك الحذف مع الفعل الماضي، لكنهم لم يأتوا بشاهد شاذ لكون النافي المحذوف غير (لا) بصفة محددة، ويظهر أنه هذا فيه شيء من الصعوبة.

على أن العربية ليست وحدها في هاتين الظاهرتين، بل تشاركها العبرية^(٢). ثم تحسن الإشارة إلى الفعل الذي حذف منه (لا) أيخص (يزال ويبرح، ويفتأ، وينفك) الناسخة، أم أنه يعم كل الأفعال؟ بالرجوع إلى الشواهد السابقة في هذه الظاهرة بما فيها النصوص النثرية نجدها بلغت خمسة وأربعين شاهدًا. منها آية (أن تضلوا) بغير قسم (وأبرح ما أدام الله قومي، و: تنفك تسمع ما حييت) صرح أكثر من واحد من النحاة بأنها في غير القسم، وثالثها (تزال الأرض إما مت خفًا) هذه الشواهد كلها منها تسعة فقط جواب القسم فيها فعل ناسخ، أي بنسبة تساوي حوالي ٣٠% وهذا يعني أن الفعل المضارع الواقع جوابًا للقسم لا يشترط فيه أن يكون فعلًا ناسخًا لكي تحذف منه (لا)، وإن كانت كتب النحو الخالص تدرج الظاهرة تحت باب كان وأخواتها وبخاصة الأربعة السابقة (يزال، يبرح يفتأ، ينفك)؛ لأن مرد ذلك، فيما يبدو، يعود إلى الشاهدين الرئيسيين في الظاهرة عند النحاة، وهما الآية الكريمة تالله تفتأ تذكر يوسف، وبيت امرئ القيس: (فقلت يمين الله أبرح قاعدًا) وهما كما ترى يتعلقان في هذه الأفعال الأربعة فغلبوا هذا الجانب.

(١) المرتضى، أماليه مج ١، ص ٩٧.

(٢) برجشتراسر، التطور النحوي ص ص ١٧٤-١٧٥.

:

- القرآن الكريم.
الأشموني؛ علي بن محمد
شرحه على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب
العربية) من غير تاريخ .
وبهامشه: ١- حاشية الصبان على شرح الأشموني .
٢- شرح الشواهد للعيني .
- أنيس؛ إبراهيم
من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.
برجشتراسر؛ ج.
التطور النحوي، تعليق: رمضان عبد التواب، مطبعة المجد، القاهرة ١٤٠٢ هـ -
١٩٨٢م .
- البغدادي؛ عبد القادر بن عمر
خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، دار صادر - بيروت - (صورة من
طبعة بولاق).
أبو تمام؛ حبيب بن أوس
ديوان الحماسة، بشرح التبريزي، مكتبة النوري، دمشق، من غير معلومات
أخرى.
- التنوشي؛ عبد الباقي عبد الله بن المحسن
القوافي، تحقيق: عوني عبد الرزاق، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الثانية
١٩٧٨م.
- الرجاني؛ عبد القادر
المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر -
بغداد ١٩٨٢ .
- الرجاوي؛ عبد المنعم
شرح شواهد ابن عقيل، مطبعة عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب
العربية)، من غير تاريخ
ابن الجزري؛ محمد بن محمد

- النشر في القراءات العشر، عناية: على محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد
بمصر، من غير تاريخ.
الجوهري؛ إسماعيل بن حماد
الصاحح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر،
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
حاتم الطائي
ديوانه، تحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة (من غير تاريخ
).
ابن حبيب؛ أبو جعفر محمد بن أمية
المحبر، تحقيق: إيلزه ليختين شتيتز، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد
١٣٦١هـ - ١٩٤٢م .
حسان بن ثابت
ديوانه، تحقيق: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة، تاريخ المقدمة
١٩٧٣م.
الحصري؛ أبو إسحاق القيرواني
زهر الآداب، وثمر الألباب، عناية: زكي مبارك، مطبعة حجازي، القاهرة،
الطبعة الثانية (من غير تاريخ).
الخطيب
ديوانه (عن ابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني)، المؤسسة العربية للطباعة
والنشر - بيروت (من غير تاريخ).
أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي
ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النحاس، مطبعة
المدني بمصر، طبعة أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
الدباسي؛ عبد الرحمن
الشعر في مكة في الجاهلية و صدر الإسلام (رسالة دكتوراه، جامعة الملك
سعود، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
الرازي؛ محمد بن عمر
التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
الزجاجي؛ عبد الرحمن بن إسحاق

الشاذليات: أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود

- أماليه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، المؤسسة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى - ١٣٨٢ هـ.
- الزمخشري؛ محمود بن عمر
-الكشاف عن حقائق التنزيل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٦ م. وبهامشه: الانتصاف فيما يتضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن محمد بن المنير.
- المفصل في علم العربية، دار الجيل. بيروت، الطبعة الثانية، من غير تاريخ.
- السكري؛ الحسن بن الحسين
شرح أشعار الهذليين، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، ومحمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة بالقاهرة، مطبعة المدني بالقاهرة، من غير تاريخ.
- السندوبي؛ حسن
شرح ديوان امرئ القيس، المكتبة الثقافية بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م.
- سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
الكتاب، المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة .
- السيوطي؛ عبد الرحمن
-الاتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت (مصورة طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق، عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٥ م.
- الصبان؛ محمد بن علي
حاشيته على الأشموني (انظر: الأشموني).
- الصولي؛ محمد بن يحيى
شرحه لديوان أبي تمام، تحقيق، خلف رشيد نعمان وزارة الثقافة والفنون - العراق، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، من غير تاريخ .
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م.
- عبد الحميد؛ محمد محيي الدين

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

-الانتصاف من الإنصاف (بهامش الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري) دار الفكر (من غير تعيين للمكان والتاريخ).

-منحة الجليل (انظر: ابن عقيل).

ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد

العقد الفريد، تحقيق، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م.

ابن عقيل؛ عبد الله

شرحه على ألفية ابن مالك، من غير ذكر للمطبعة، الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (وبهامشة: منحة الجليل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد).

العكبري؛ عبد الله بن الحسين بن عبد الله

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

أبو علي الفارسي؛ الحسن بن أحمد

-المسائل البصريات، تحقيق، محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

-المسائل العسكرية، تحقيق، محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.

العيني؛ محمد بن أحمد

شرح الشواهد (انظر: الأشموني)

أبو الفرج الأصفهاني؛ علي بن الحسين

الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، من غير معلومات أخرى.

الفراء؛ يحيى بن زياد

معاني القرآن، تحقيق، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب، من غير تاريخ (الجزء الثاني)، وتحقيق عبد الفتاح شلبي، وعلى النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م، (الجزء الثالث).

ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل

تفسير القرآن العظيم، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

المالقي؛ أحمد بن عبد النور

الشاذليات: أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي فرهود

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق، أحمد خراط، دار القلم بدمشق الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن مالك الابن؛ محمد بن محمد بن مالك شرحه على ألفيه أبيه، منشورات ناصر خسرو - بيروت (مصورة من مطبعة طهران ١٣١٢هـ).
- المبرد؛ محمد بن يزيد -الكامل في اللغة والأدب، الناشر: مكتبة المعارف - بيروت - (من غير تاريخ).
- المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت (من غير تاريخ).
- المرادي؛ الحسن بن قاسم الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - طبعة ثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المرتضى؛ علي بن الحسين أماليه (غرر الفوائد، ودرر القلائد) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- المقري؛ أحمد بن محمد -نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.
- (٤٤) ابن المنير ، أحمد بن محمد -الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (انظر ، الزمخشري ، الكشاف).
- نصار؛ حسين معجم آيات القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- الهروي؛ علي بن محمد الأزهية في حروف المعاني، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

مجيء النافي قبل القسم وحذفه بعده

ابن هشام؛ عبد الله جمال الدين بن يوسف بن عبد الله
مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،
مطبعة المدني، القاهرة (د.ت)
ابن يعيش؛ يعيش بن علي
شرح المفصل، المطبعة المنيرية بمصر (من غير تاريخ).